الشيخ الجنرال

قصة جهاد
قائد ملحمة مخيم جنين
الشهيد محمود طوالبة

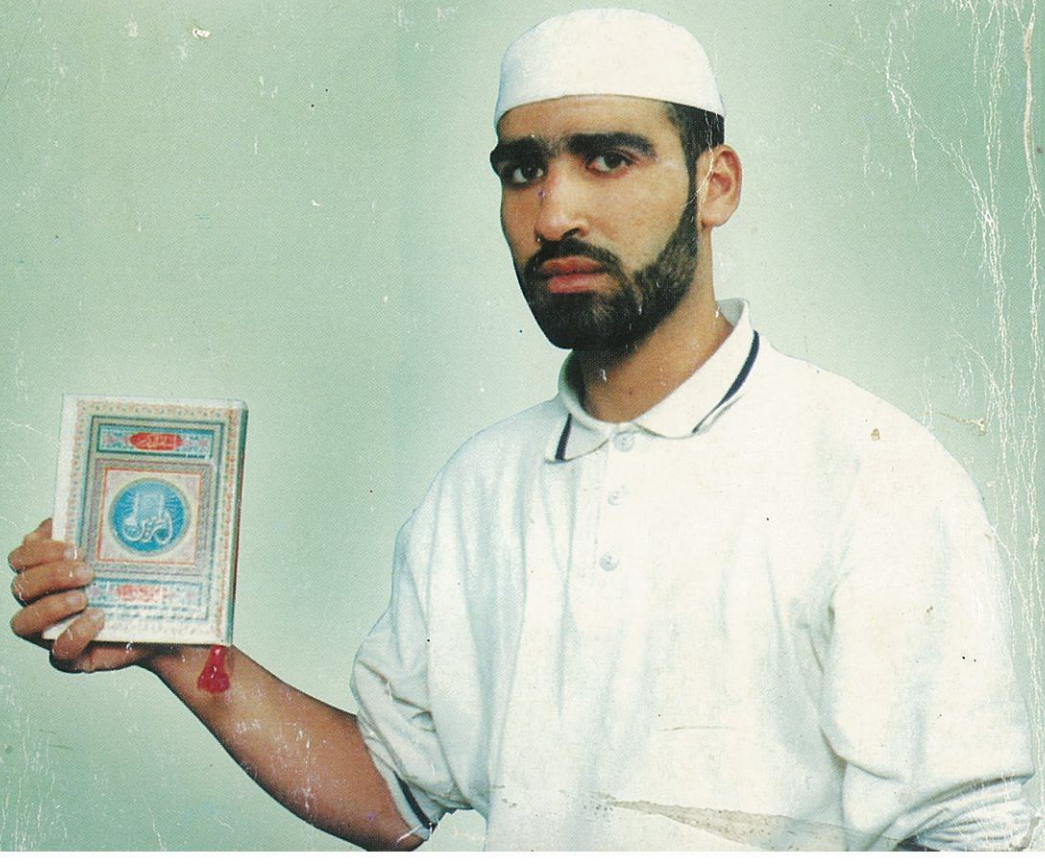

الشيخ الجنرال

قصة جهاد

قائد ملحمة مخيم جنين

الشهيد محمود طوالبة

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م

اعداد واصدار

مركز جنين الجديد للدراسات والاعلام

(رُبَّ همّة أحيت أمة)

«الإمام عليّ رضي الله عنه .»

(رُبَّ عمر اتسعت آماده ، وقلّت أمداده ، و رُبَّ عمر قليلة آماده كثيرة أمداده)

«الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله .»

بسم الله الرحمن الرحيم

«الإهداء»

إلى روح المعلم والمؤسس الشهيد د . فتحي الشقاقي الذي شقّ خطّ التحوّل الإسلامي نحو الجهاد المسلح في فلسطين ، وأرسى فلسطين بوصلة لنهضة ستأتي إن شاء الله ، ولحظة إجماعٍ لأمّة قتلتها الفرقة . . .

وإلى المعلم الذي ورث التركة فأطلق جيل أسامة ، وأطلق خيل النشيد ، واستل من سيرة النبيّ ﷺ سيف السرايا رجاءً بفتح كبير . . . فكانت ملحمة جنين المخيّم و الحافلات المدمرة ، وكانت ملحمة الخليل . . . وملاحم بفضل الله ستأتي إيذاناً بالنصر ووعداً بالفرح الآتي . .إلى القائد الامين د . رمضان عبد الله . . . وإلى قائد الملحمة وجنرال الانتفاضة الشيخ الشهيد محمود طوالبة . . .وكل الذين جاهدوا في الملحمة ، مَن استشهد منهم ومَن ينتظر . . .وكل الاستشهادين الأبطال على امتداد الوطن والأمة . . . اليهم جميعاً نهدي هذا الكتاب، ومعه كل الحب والتقدير .

مقدمة :

قبل البدء ... ملاحظات مهمة ...

هذا الكتاب لامس – في مادته وطريقة عرضه – بعض السلبيات حيناً ، وفي احيان أخرى اكتفى بالإشارة اليها من بعيد ، وفي كل هذا وذاك كان الدافع مقتضياً عملية التأريخ نفسها ، وضرورة تسجيل الاحداث ذاتها ، لأنها كانت جزءاً من الواقع الذي عاشه أوعايشه الشيخ الشهيد محمود رحمه الله تعالى ، ولأنه من حق القارىء أن يعلم الملابسات المختلفة التي أحاطت بهذه الشخصية العظيمة الفذّة ...

الحديث عن المعركة جاء مجملاً ، أما دور الشيخ محمود فيها فجاء مفصلاً ، وإن كنا على يقين أنه قد فاتنا الكثير او غفلنا عن الكثير ، ولم نتحدث عن دور القوى والمقاتلين إلا من باب (حكم الضرورة) ، أو (الاستطراد) ويشمل هذا سرايا القدس . وإن كنا مقتنعين تماما أن تلك الأدوار بحاجة إلى تسجيل وتأريخ ، لكن ليس هنا مكانها ...

في معظم فصول هذا الكتاب ، وخاصة الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس ، حاولنا وضع جهود طوالبة ودوره ، من خلال استطراد مفصل إلى حد ما ، في سياق العمل العسكري للجهاد الإسلامي في منطقة جنين ، وهذا لا يقلل من دور القوى الأخرى في منطقة جنين ، كما لا يقلل من دور الجهاد الإسلامي في المناطق الأخرى ، وتكفي الإشارة – هنا – الى أن أول عملية في انتفاضة الأقصى كانت لحركة الجهاد الإسلامي في قطاع غزة ، كما يكفي أن نستذكر دور الشهيد القائد محمود الخواجا الذي كان وراء أول عملية إطلاق نار قُتل فيها صهاينة بعد قدوم السلطة إلى القطاع بقليل ، ليضع ذلك حداً للجدل الذي ثار حول مشروعية العمل المقاوم آنذاك ، ويكفي أن نتذكر العمليات التي وقف خلفها مثل : (نتساريم – هشام حمد) و (كفار داروم – خالد الخطيب) و(بيت ليد – أنور وصلاح) ، وقبل ذلك عمليّات عديدة أبرزها (أسدود – علي العيماوي) التي قتل فيها عشرات الجنود الصهاينة ...يكفي أن نتذكر كل ذلك او بعضه لندرك ، ويدرك القاريء معنا ، أننا ما قصدنا ، ولن نقصد أبداً ، تهميش دور أيّ كان ، فرداً او جماعة ،

تنظيماً او حزباً او غير ذلك. ويرى معدّو هذا الكتاب أن الشهيد القائد محمود الخواجا ربما كان أهم شخصية قيادية ميدانية في العمل العسكري الفلسطيني ، لكنه لم يعطَ حقه ولم ينشر ذكره كما يجب، وما زلنا نأمل ان يبادر إخوانه الذين عرفوا تجربته الى تسجيلها ونشرها ...

وفي السياق نفسه لا يمكن أن ننسى معركة الخليل التي نفذتها سرايا القدس هناك ، وهذا ينطبق بأحجام مختلفة على جميع مواقع الجهاد الإسلامي في الخليل وطولكرم والقدس ونابلس ...

اعتمد هذا الكتاب ،في جزئه الخاص بمحمود ، في مصادره على شهادات أهل القائد الشهيد الشيخ محمود وشهادات إخوانه في سرايا القدس وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ، وشهادات مقاتلين من أجنحة عسكرية أخرى، وشهادات أُناس عاديين عايشوا الأحداث ، ومصادر ووثائق أقل أهمية تم الرجوع اليها في مناسبات محدودة ومحددة في السياق ...

إضاءة :

(هذا هو الطريق)

(كلمة الأمين العام لحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين بمناسبة استشهاد الشيخ محمود إثر معركة المخيم)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين ، أما بعد ...

فإلى أم البطل ، أم الشهيد القائد محمود طوالبة قائد سرايا القدس في جنين ... وإلى والده العزيز ، وإلى إخوانه وأخواته الأعزاء ، وإلى زوجته الصابرة وطفلته وطفله الذي أتمنى عليكم أن تسموه (محمودا) ليبقى خالدا فينا ... إلى أحباب محمود وأصدقائه وإخوانه ... إلى أهلنا الأبطال في مخيم جنين ، مخيم العزة والكرامة والبطولة والفداء ... .

إليكم جميعا نزف تهاني ملايين العرب وملايين المسلمين والملايين من أحرار العالم وتبريكاتهم جميعاً ،باستشهاد القائد البطل ، قائد سرايا القدس؛ محمود طوالبة النورسي ، وجميع الشهداء الأبطال : (ابو جندل) الفارس المغوار ، وطه الزبيدي ، ومحمود أبو حلوة ، وكل الأبطال الذين سطروا بدمائهم الزكية أروع صفحة من المجد والنصر في زمن الهزائم والانكسار ، إلا أنت يا أخي محمود ، فماذا عساي أن أقول في غيابك ؟ وأنا الذي اعتدت أن يأتيني صوتك عبر الهاتف ليبعث فينا الأمل ، ويبعث فينا العزم ، ويبعث فينا الإصرار على المضي في طريق ذات الشوكة ...

ماذا يمكن أن أقول في محمود؟ وأنا الذي لن يسمع صوتك بعد ... إنني أشعر اليوم أن كل الكلمات وكل العبارات أصغر من قامتك أيها العملاق ، أيها الفارس البطل ، أيها الجبل الأشم ، أيها الصخر الذي كان

يمشي على الأرض باسم محمود ... واليوم تنقش في قلوبنا وعلى أوتار أرواحنا ، تُنقش في قلوب الملايين الذين راقبوا مشدوهين هذا المخيم القلعة الذي صمدطيلة عشرة أيام في وجه ثالث أقوى جيش في العالم ماذا أقول يا محمود ، وأنا أشعر أن لا أحد يتفوق عليّ في هذا المصاب بك سوى أمك الثكلى الصابرة ؟ صبرنا عشرة أيام يا محمود ، نحن إخوانك وأحبابك ، وكنا كالأطفال نحلم ، ونحاول أن نقنع أنفسنا بأنك لم تمت ، وأنك ما زلت حيا ، وأن صوتك سيأتينا من جديد ، من هناك ، من المخيم مرة أخرى ، نعم ، أنت في كل الأحوال ما زلت حيا ، وما زلت فينا تنبض بالحياة ، بالقوة والعزيمة ، بالنصر ... وعندما طيّر الإعلام لنا نبأ استشهادك ، وسألوني ماذا أقول في هذه المناسبة؟ يومها قلت الكثير ، حاولت أن أقنع نفسي لحظتها بأنك ما زلت تسمعني ، لكني قلت أيضا : كل شرايين الحكام والجنرالات الركع لا تصلح أربطة لحذائك يا مخيم جنين ... لا تصلح أربطة لحذائك يا محمود ... لا تصلح أربطة لحذائك يا أبا جندل ...

أنتم بإيمانكم بالله ، أنتم بثقتكم بشعبكم وأمتكم ، كنتم أقوى من كل الجيوش ، وأقوى من كل العروش ... كنتم ، وما زلتم ، بارقة الأمل لهذا الشعب ، ولهذه الأمة بالنصر والخلاص والتحرير ... بالأمس كنت أقرأ في إحدى الصحف عن الطفل (شمس) من أبناء هذا المخيم الصامد البطل الأشم ، شمس الذي جمع بقايا الصواريخ والقذائف والأكواع ، وقال لوالده أنه يريد أن يرسلها لمحمود طوالبة ، فيسأله والده لماذا ؟ فيجيبه (شمس) البالغ من العمر ست سنوات : حتى يحمينا من اليهود يا أبي ...

(وشمس) يخبئ سره عند أخته ، يخبئ أكواعه وباقي القذائف ، ويقول : لا تقولي لأبي ، أريد أن أرسل هذه لمحمود طوالبة ، ويقولون بأن محموداً قد استشهد ، (وشمس) لا يقبل ، ولا يريد أن يصدق بأن محموداً قد استشهد ، نعم يا شمس ، ويا عبدالله بن محمود ، محمود لم يمت ... محمود لم يمت يا أهلنا في المخيم ، ستجدونه في كل مكان ، ستجدونه في شربة مائكم ، وفي كسرة خبزكم ، وفي حليب أطفالكم ، سيظل محمود أسطورة وحقيقة ورواية يتناقلها الأبناء ، ويرويها الرجال ، وترويها الأمهات والشيوخ والأطفال جيلاً بعد جيل ، وسيحفظ الجميع ، وتحفظ الأجيال كلها سيرة الرجال الأبطال ...

سيقف الشيوخ ويشيرون بعكاكيزهم للصبية في الشوارع : هنا وقف الأبطال ، هنا قاتل محمود ، هنا

طاردوا أبا جندل ، هنا صبوا الرصاص على رأسه ... لكن هنا وجد الأمل ، ووجدت بشارة النصر بيد الرجال الذين وقفوا ساعة العسرة ، ودافعوا دفاع الرجال عن حلمهم ، وشعبهم ، وأهلهم ، وأرضهم ، ومخيمهم ... لم يترددوا لحظة في اختيار الشهادة ، اختيار الانتصار على الذات ، الانتصار على الدنيا ، الانتصار على طول الأمل والأماني ...

ما زلت أتذكر صوتك يا محمود ، وأنا أحاول إقناعك منذ الغزو الأول للمخيم في آذار الماضي ، وأقول لك يا أخي هذه معركة طويلة ، هذه ليست آخر جولة بيننا وبينهم ، هذه معركة كرّ وفرّ فلا تعطي العدو فرصة لينال منك يا محمود ، مازلت أذكر صوتك وأنت تقول لي ، وتمازحني ، إطمئن ، إن شاء الله هذه كرّ لا فرّ فيه يا ابا عبدالله ، لا زلت أذكر إصرارك على بقائك في المخيم ، قلت لي : المخيم الذي دافع عني وآواني وحماني من الظلمة ومن سجونهم أوَ أتركه ! ! سأموت واقفا فيه مع أهلي وشعبي وإخواني ... . وقبل الغزو الأخير ، الغزو الثاني ، اتصلت بنا يا محمود ، وقلت ، عندما حاولنا أن نثنيك عن عزمك ، قلت لنا : اتصلت بكم مودعا ، وإن شاء الله نلقاكم في الجنة يا إخوتي ... كنت دائما على موعد مع الشهادة تواقا لها وتحلم بها ، كانت هاجسك وأمنيتك التي نلتها بجدارة بإذن الله ، وساعة الحسم قلت لإخوانك من حولك : في السابق كنت أرسل الاستشهاديين ، كنت ارسل أبناء الناس ... من هم أبناء الناس يا محمود ؟ إنهم أهلك ، إنهم شعبك الذين يفدونك بدمهم وأرواحهم ... قلت : كنت أرسل الاستشهاديين ليفجروا أنفسهم ، وليقتلوا هذا العدو الكافر لينالوا الشهادة في سبيل الله ...

آن الأوان ، آن الأوان أن أفعل هذا الأمر وأطبقه على نفسي ... فأخذت قرارا لا يقدر عليه إلا الرجال الرجال من أمثالك يا محمود .

جنرالات العدو قالوا قبل العدوان وأثنائه أن هدف الحملة ضد مخيم جنين رأس محمود طوالبة ، واليوم بعد أن نلت الشهادة لا يظن هؤلاء القتلة ، لا يظن قتلة الأنبياء أنهم انتصروا ... لا والله خسروا ، أنت الفائز يا محمود ، لقد فزت ورب الكعبة ... لقد انتصرت يا محمود ، وانتصر مخيم جنين ، وانتصر شعب فلسطين ... وإنهم القتلة يعترفون بذلك ، وهم يحصون قتلاهم وجرحاهم الذين اصطادهم الأبطال في الكمائن ، نقول لهم لا تظنوا أن استشهاد محمود طوالبة و(أبو جندل) وكل الشهداء الأبطال يعني

خاتمة الصراع بيننا وبينكم ، لا ... . لا تظنوا ذلك، رويدكم فمحمود طوالبة قائد سرايا القدس في جنين وفي شمال الضفة الغربية لم يمت يا قتلة الأنبياء ، سيطلع لكم محمود من جديد ، وستتواصل قوافل الاستشهاديين مجددا ، وسينفجرون في قلب الكيان كما انفجر راغب جرادات بطل سرايا القدس في قلب حيفا في ذروة الهجوم على المخيم ، لم يتوقعوا أن تأتيهم سرايا القدس من حيث لم يحتسبوا ، كانوا يظنون أن رأس سرايا القدس ، رأس محمود طوالبة ، رأس الاستشهاديين ، كان تحت سيفهم ، وتحت صواريخهم ، وتحت قذائف دباباتهم ، فمن أين لسرايا القدس أن تسيّر لهم الاستشهاديين لينفجروا في (باصاتهم) في قلب حيفا ... ؟ ! !

ففاجأتهم سرايا القدس في ساعة العسرة ، وستفاجئهم من جديد حتى تقول لهم في كل بقعة من ارض فلسطين ، سينفجر فيكم محمود من جديد ، محمود الذي أرسل إخوانه من منطقة جنين ، سبعة عشر استشهاديا بمن فيهم (أخاه مراد) الذي يقبع في سجنه الآن ، سيرسل لكم بأيدي إخوانه وعلى يد تلاميذه الاستشهاديين من جديد ... فيا إخوان محمود ، ويا أهل محمود ، ويا شعب محمود ، ويا رفاق أبي جندل ، دم هؤلاء الأبطال أمانة في رقابكم تسألون عنها عندما تلقونهم بين يدي الله هناك في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، فهيا يا رجال ، هيا يا شباب ، هيا يا أبطال الجهاد ، يا أبطال فلسطين ، ضمدوا جراحكم ، وانهضوا ، ونظموا صفوفكم ، واثبتوا لهم أن كل واحد في المخيم ، كل واحد في جنين ، كل واحد في فلسطين هو محمود طوالبة ، سيطلع لهم في كل يوم ، وفي كل لحظة . .

هذا هو الطريق ، وهذا هو الخيار ... جهاد نصر واستشهاد من القسام إلى محمود طوالبة إلى النصر سائرون سائرون سائرون بإذن الله .

والله أكبر والنصر لنا والعزة للإسلام والمسلمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

أبو عبد الله

الفصل الاول

الجذور

(مخيم جنين ... النشأة والتكوين)

مقدمه:

مرج بن عامر أخصب سهول فلسطين يُعَدُّ بداية الثلث الشمالي لفلسطين، وعلى احدى زواياه الجنوبيه الغربيه تضع مدينة جنين رحالها واعمدتها كمدينة قديمة ساهمت طرق التجاره والحركات السياسية على مر التاريخ بالاضافة لبيئتها الزراعيه في تجذيرها ، فقد كانت تُعَدُّ مفتاحاً لثلاثة ممرات تضاريسية مختلفه ، فهي بداية هضاب، وسلاسل جبال نابلس من ناحيه ، وبوابه تشرف على مرج بن عامر باتجاه البحر المتوسط حيث افق مرج بن عامر من ناحية ثانية ، اما الثالثه فهي احدى مدن جوار غور الاردن ، وقد اكتسبت هذه المدينة على مر التاريخ اهميه تجاريه وسياسيه وزراعيه اسهمت في ديمومة بقائها رغم صبغة التغير التي تتسم بها الازمنه والعصور ، وقد توسعت هذه المدينه في القرنين التاسع عشر والعشرين لتستوعب الزيادة الطبيعية في عدد السكان ، وخرجت من حجم البلده القديمه ، السياط والمسجد الكبير والبساتين، الى رقاع اخرى شرقاوغربا ، وساهمت نهايات العصر التركي في تسجيل كثير من هذه القطع للملاك والاشراف واعوان السلطان والميسورين في حين بقيت بعض المساحات اراضي أميرية تابعة للدولة .

النشأة :

عندما شرع المشروع الصهيوني في تشييد كيانه في معظم ارض فلسطين التاريخيه في نهاية العقد الرابع من القرن العشرين ، كانت مدن الشعب الفلسطيني وقراه وتجمعاته في تلك الاراضي المذكورة تلتهم بانياب الوحش الصهيوني الذين عاثوا فيها قتلا وتشريدا وحرقا ،ليتمَّ فصل مهم من فصول العنصريه ، احدى سمات الصهيونيه العالميه ومشروعها ، وهذه الحالة كانت شامله وممتدة من حدود لبنان شمالا حتى ام الرشراش (ايلات) جنوبا .وكانت نتيجتها أن فرَّ المستضعفون من ابناء هذا الشعب جراء هذه الوحشيه طلباً للأمان، وأملاً في نصرة ابناء الامة، وكان لمنطقة جنين نصيب في استقبال افواج من اولئك المشردين من أكثر من ستين مدينه وقريه وتجمع منكوب ، فتوشحت اراضي محافظة جنين بخيام النكبة واحزان الهائمين على وجوههم، وكان لمنطقة جنزور جنوب جنين (٣كم)نصيب في استقبال مجموعات من النازحين نزلوا في خيام بلغ تعداد سكانها عام ١٩٤٨ حوالي (٢٥٠٠) شخص، وفي عام ١٩٥٠م ،

عندما سادت بلاد فلسطين والشرق الاوسط احوال جوية ثلجية عاصفة عُرفت حينها – بالمصطلح العامي– سنة الثلجة، اوشك اللاجئون في منطقة جنزور على الهلاك ، فتدخلت الحكومة الاردنيه التي كانت تسيطر على الضفه الغربيه حينها لدى وكالة الغوث، وقامت – بالتعاون معها – بنقل اولئك اللاجئين الى منطقة في غرب المدينه بجوار محطة سكة الحديد التركيه القديمه ، واسكنت اولئك اللاجئين في (بركسات) واسعه بناها الانجليز. في عهد الانتداب كمساكن لجنودهم ، وقد أطلق على هذا المخيم في البداية – اسم مخيم المحطة – انحدر أهله من خمس وخمسين مدينة و قرية فلسطينية وهي : زرعين، إجزم ، السنديانة ، المنسي ، أبو شوشة ، أم الزينات ، أم الشوف ، أم الفحم ، بريكه ، البعنه ، بلد الشيخ ، بيت دجن ، بيسان ، خبيزة ، الخضيرة ، تل الشوك ، جسر الزرقا ، حواسه ، حيفا ، دالية الروحة ، دير طريف ، الريحانية ، سولم ، شفا عمرو ، الشيخ مونس ، صبارين ، صفورية، عرب الجواميس ، عرب الصوابره ، لد العوادين ، عرعره ، عين حوض ، عين الغزال ، الغبية ، الفرادبس، قانون، قنير ، قومية ، قيساريه ، الكباره ، كفر قرع ، كفر لام ، الكفرين ، اللجون ، المجيدل ، المزار، مصمص ، المقيبله ، الناصره ، نورس ، هوشة ، واد حنين ، يافا ، يافة الناصرة ، ياجور .

التكوين:

المساحة :قامت وكالة الغوث باستئجار أرض المخيم وتحديد مساحته ب ٣٧٥ دونما مربعا لاستيعاب آلاف اللاجئين الفلسطينيين الوافدين إليه من باقي مناطق المحافظة والمخيمات الأخرى للاستفادة من خدمات الوكالة ، ولسهولة المكان للسكن ، وتعود أرض المخيم المستأجرة هذه إلى نوعين من المالكين :

أولاً : أرض أميرية تابعة للدولة وهي تبلغ ثلثي مساحة المخيم

ثانياً : أرض مملوكة تعود ملكيتها لأفراد عائلات النفاع وعبد الهادي وأبو سيف وهي تقدر بثلث المساحة الكلية

ويُعَدّ مخيم جنين أكبر مخيمات الضفة التسعة عشر مساحة ، يليه مخيم بلاطه، ثم مخيم طولكرم .

السكان :

ازداد عدد سكان مخيم جنين من ٢٥٠٠ شخص سنة ١٩٥٠ ، إلى ٤٥٠٠ عشية نكسة ١٩٦٧م إلى أن وصل في نهاية أيلول ٢٠٠٢ إلى (١٣٦٩٨) شخصا حيث يُعَدّ المخيم الثالث في الضفة من حيث عدد السكان بعد مخيم بلاطه الذي يتجاوز عدد سكانه ثمانية عشر ألف نسمة، ومخيم طولكرم ستة عشر ألف نسمة ، و تبلغ نسبة الاكتظاظ في مخيم جنين حسب آخر إحصائية سكانية نسبة (سبعة وثلاثين) شخصا للدونم المربع الواحد مع الإشارة إلى أن ربع سكان المخيم قد نزحوا عنه الى الاردن عندما حدثت نكسة ١٩٦٧ .

التضاريس:

مخيم جنين يقع على تلتين صخريتين يعلوهما مسطح مرتفع يعرف بالجابريات، وفي أسفل المخيم (المنطقة الشمالية) منطقة سهلية أو شبه سهلية باعتبارها إحد أطراف مرج بن عامر، وبين التلتين الصخريتين واد عريض، وعلى جانب تلك التلتين من الشرق والغرب مرتفعات صخرية تعرف بجبل(أبو ظهير) وخلة الصوحة ، ومن الغرب جبل الدكتور خالد الاسير ، والمكونات التضاريسية للمخيم بالمساحة المذكورة (٣٧٥) دونماً مزدحمة بالسكان اللاجئين ، وهناك انحدار شديد نسبيا من سقف المرتفع المعروف بالجابريات من الجنوب إلى مركز المخيم ووسطه من أكثر من مسرب وطريق، بالإضافة الى أنه لا يمكن أن يشاهد كل المخيم مرة واحدة من أية نقطة أرضية واحدة نظرا لصعوبة تضاريس.

الوضع الديموغرافي :

تختلف نسبة الازدحام في مخيم جنين والتي يبلغ معدلها (٣٧) فردا للدونم الواحد باختلاف المكان على الخارطة، فمثلاً المنطقة المسماة بالساحة وحارات مكاتب الوكالة والسكة وحارة الحواشين تبلغ أكبر نسبة ازدحام فيها والتي تصل من (٤٨-٥٠) شخصا للدونم الواحد ، في حين تقل هذه النسبة بشكل ملحوظ في المنطقة العلوية الجنوبية من المخيم إلى ما يقارب (٢٤) فردا للدونم الواحد ، ولعل من أبرز أسباب ذلك نشأة المخيم في المنطقة الشمالية إبتداءً ،ثم سهولة الحركة والتنقل فيها . .

الأحياء والحارات :

أولا : المنطقة الشمالية : حارة جبارين ، الساحة ، مكاتب الوكالة ، التموين ، السكة ، المدارس الابتدائية ، الحواشين ، التحدي ، شارع برقين .

ثانيا : المنطقة الشرقية : أبو حجاب ، الدمج ، استيتي ، الهندي ، الأنصار

ثالثا : المنطقة الغربية : عبد الله عزام ، أبو عيطه ، الحويطي ، الفران

رابعاً : المنطقة الجنوبية : شارع مهيوب ،حارة خبيزة ، خلة الصوحة ،غربي طلعة الغبس

خامساً : المنطقة الوسطى : واد الحدى ، جورة الدهب ، حارة السمران ، جارة الصباغ ، الضبايا

* * *

الفصل الثاني

السيرة الذاتية للشيخ محمود

اولاً : عناوين للمرور:

« الشمائل والصفات الشخصية »

للدخول إلى كينونة زاخرة بالدين والخلق والصدق والتقوى ، وإلى قلب ناصع البياض ، وإلى نفس شفافة توّاقة ، وإلى تلك السيرة الرائعة من العطاء بلا انقطاع والتضحية بلا تردد ، والبذل بلا شح ، والمجاهدة المتواصلة ، والدعوة الدؤوبة ، سنحاول التكثيف ما أمكن لنعرض السيرة الشخصية لمحمود ببعض العناوين التي تمنحنا مركبا نبحر به في شخصيته وقصة حياته ...

الإيمان الصادق وحب الله ورسوله ﷺ:

فقد كان محمود محبا لله ورسوله ﷺ، وقصة حياته تحكي لنا إيمانا صادقا ، ولا نزكي على الله أحدا ، كان يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما استطاع ، ويعمل للإسلام ما استطاع ، ويحاول أن يترجم في سلوكه توجيهات القرآن ، وسلوك الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، حدّثتنا زوجته كيف كان يطلب منها أن تشتري لحما لتوزعه على الفقراء ، في حين أنه كان يحرم نفسه من ذلك ، وكيف كان يقدّم للمحتاجين بعض حاجيات البيت الأساسية دون تردد ، وكان يداوم على تلاوة القرآن وصيام النوافل .

ذكر الآخرة وموقف الحساب:

لفقد كان يعدّ لهذا اليوم ويتّقي كرباته بالصدقة والخلق الحسن وصلة الرحم والمعاملة الحسنة والدعوة إلى الله ، ومع كل ذلك بذل النفس ، بعد بذل المنزل ، رخيصة لله سبحانه وتعالى ، كان محمود – كما ذكر ثابت المرداوي– يوصي الاستشهادي الذي يرسله لتنفيذ عملية ويرجوه بإلحاح شديد أن يشفع له يوم القيامة عند الله عز وجل ...

في يوم من أيام المعركة الاخيرة في المخيم قال لأخيه في الله عبد الرحيم فرج : إنني أشم رائحة الجنة من هنا ، وتعاهدا على الشهادة .

حب الشهادة :

كان يملأ قلبه بحب الشهادة حتى فاض بما فاض به من عطاء وتضحية ، توجه لإياد الحردان طالبا ان يقوم بعملية استشهادية لكن (إياداً) – فيما يبدو – كان يعدّه لشيء آخر ، وعندما سجن لدى السلطة كان أكثر ما يضايقه أنه ابتعد عن ساحة الجهاد ، وأن الاعتقال ليس في حسابه ، بل كل حساباته يبنيها على أنه يريد ان يستشهد ، وعندما قال له الدكتور رمضان عبدالله ، الأمين العام للحركة حفظه الله : أنّ الحرب كرّ وفرّ ، قال : بالنسبة لي هي حرب كرّ بلا فرّ ... لم يكن خيار الشهادة بالنسبة لمحمود اختيارا صعبا أو مخيفا ، بل كان رغبة عارمة تسيطر على كل أبعاد نفسه ...

التواضع :

كان محمود يكره الكبر والغرور وحبّ الظهور ، وكان متواضعا إلى حد كبير ، لا يتكبّر على أحد ولا يحتقر أحداً ، يراجع نفسه ويعود للحق ولا يخجل بذلك ، ذات مرة دار حوار بينه وبين أخ له عن شخص ، كان لمحمود موقف من بعض أخطائه وتصرفاته ، فقال له محاوره تذكر قول الله سبحانه : (كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم) (النساء : ٩٤) فتراجع عن موقفه من فوره وقال صحيح كلنا كنا كذلك ..

الرجولة :

مع تواضعه كان محمود رجلا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، شجاعا ، مقداما ، آمن أن الموت بأجل ، وأن الرزق مقدّر ، وأن الضرر والنفع بيد الله سبحانه وتعالى وحده ، فكان لا يهاب شيئا ، ولا يخشى أحدا سوى الله ، ويتذكر قول الله سبحانه وتعالى : (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) (التوبة : ١٣) ، كان في تواضعه لا يقبل الذل ، كان كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه (يعجبني المسلم إذا سيم الخسف غضب لنفسه) ، وهذا ربما فهمه سيدنا عمر من قول الله سبحانه : (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) (الشورى : ٣٩) كان محمود غاضبا من بعض الأشخاص الذين خدعوه وكان يتوعدهم حتى جاءه هؤلاء الأشخاص يعتذرون ، ورأى ضعفهم ، فتمثل قول الله سبحانه :(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين)

(الشورى : ٤٠) . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (العفو عند المقدرة) .

الزهد :

تقول زوجته عنه : (لقمته غير مشروطة ، حتى وإن كانت حبة زيتون فيحمد الله عليها كثيراً ، وكان يوصيني بشراء اللحمة وتوزيعها على الفقراء ، أما هو فيرفض أكل الدجاج أو اللحم ، وقال لي :(لا أريد في هذه الدنيا سوى شيء واحد ، أن أعيش فقير المال غنيّ الإيمان بالله) .

الصدق :

كان صدق محمود يتعدى لسانه إلى عمله ، وما نظنه إلا أنه كان يملأ قلبه ولا نزكّي على الله أحدا ، حتى في سجنه كان يصنع أشكال آر بي جي من الكرتون وورق الجرائد ، ويحاول أن يقارب وضعها الحقيقي على أمل أن يستطيع صناعتها عندما يخرج من السجن ...

حسن المعاملة والخلق الحسن :

عندما وصفه بعض من تحدّثوا عنه قالوا :(كانت ابتسامته تسبقه في شوارع المخيم وحواريه) ، كان يحترم الكبير ، ويحنو على الصغير ، محبوبا من الناس ، علاقاته مفتوحة على الجميع صغارا وكبارا ، وحتى أثناء المعركة وسط المخاطر يستأذن إن أراد دخول بيت ، يهتم بحاجات الناس ، ويخاطر بنفسه ليوصل لهم التموين ، وأنقذ بعض العائلات رغم أن الصواريخ كانت تنزل على منازلهم التي كانت تحترق ...

العطف على الفقراء والمساكين :

كان عطفه على الفقراء يرافقه في كل أوقاته ، يكثر من الصدقة ويتفقد أحوال المحتاجين وقصته مع إحدى عجائز المخيم هو وصديقه عبد الرحيم فرح تحاكي قصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع العجوز ، ولعلهما كانا يقتديان بهما والله أعلم ...

كان حتى في السجن إذا رأى إسرافا يتذكر الفقراء والمساكين ، ويغضب عندما يرى كميات الطعام

الزائدة، ويصرّ على أن يكون الطعام على قدر الحاجة ، وقديما قال ابن المقفع : (ما رأيت إسرافا إلا وبجانبه حق مضيّع) .

كان رحمه الله يتمثل قول الله سبحانه :(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) (آل عمران : ٩٢) .

صلة الرحم :

كان يحرص على صلة رحمه في كل الأحوال ، ويكبر من شأن هذا الأمر ، وكان بارّا بوالديه ، يحرص على رضاهما ، ويطلب من والدته الدعاء له ، ويحرص على أن يساعد إخوانه وأخواته .

الحياء والحرص على الحقوق :

كان محمود حييّا ، وصفوه بأنه لا ينظر إلى النساء إن تحدّث معهن ، وفي المعركة لم يكن يدخل بيتاً حتى يستأذن ، وصدق رسول الله ﷺ عندما مرّ برجل من الأنصار يعظ أخاه في الحياء (أي ينهاه عنه) ، فقال له ﷺ :(دعه فإن الحياء من الإيمان) ، وكان يهتم بحقوق الناس . ويحرص عليها ، ذكر صاحب إحدى المكتبات أن محموداً كان يحرص على أن يوصل له دَيْنه ، ويتأكد أنه لم يتبقَ له عليه شيءٌ حتى عندما كان مطاردا ومهددا بالقتل، وكلما قال له : لا تخاطر بنفسك والدَيْن غير مهم أصر على أن يسدد دَيْنه كله .

المناصحة وحب الهداية :

كان محمود يحرص على أن يقترب الناس من دينهم ويهتم اهتماما شديدا بأن تعم الهداية الجميع ، في السجن اهتم بالجنائيين وبأفراد الشرطة فكان ينصحهم بالصلاة ، والعديد منهم التزم بالصلاة، وأخذ يحافظ عليها ، وكان عندما يزلّ بعض الأخوة يراجعهم جانبا ، وينصحهم ويذكرهم بالله ، وصدق رسول الله ﷺ : (الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ، قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم) .

ولعل الحديث الآتي يقدم صورة واضحة عن محمود الذي كان يقتفي سنة رسول الله ﷺ، فعن عمرو

بن عنبسة – رضي الله عنه – قال : قال رجل : يا رسول الله ، ما الإسلام؟ قال: أن يسلم لله قلبك، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ، قال : فأي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان ، قال : وما الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: فأي الإيمان أفضل ؟ قال : الهجرة، قال : وما الهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء ، قال : فأي الهجرةِ أفضل؟ قال : الجهاد ، قال : وما الجهاد؟ قال : أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم ، قال : فأي الجهاد أفضل ؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه) ، قال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه أحمد بإسناد صحيح ورواته محتج بهم في الصحيح .

هذه الشمائل والصفات حاولنا أن نكشّف فيها سيرة محمود وقصة حياته عساها تكون مفاتيح، أوعناوين للمرور إلى عالمه الرائع والرحب والمتفرد ...

وصفه أبو جندل، وكان قد تحدّث مع شقيقه عبر الهاتف أثناء المعركة، فقال: إنه ليس كأولئك القادة الفاسدين والهاربين ، إنه قائد من نوع مختلف .

ثانياً :

(لحظة البداية ... رحلة اللجوء والتشرد)

عام ١٩٤٨ م كانت قرية نورس مثلها مثل مئات من القرى الفلسطينية على موعد مع العصابات الصهيونية التي كانت تمعن قتلا وذبحا وتشريدا ضد العزّل المجردين من كل سلاح ، والممنوعين من أن يملكوا أي إمكانية للمقاومة ، تواطأ على ذلك كل القوى الدولية المستعمِرة والأنظمة العربية المستعمَرة ، والجيوش التي منعت السلاح وصادرته بحجة أنها هي من سيقاوم ، فكان ما كان ، ما علم وما لم يعلم مما يكشف عنه كل فترة من مفاجآت وحكايات وحقائق ومعلومات ...

وبدأ مئات الألوف من الفلسطينيين رحلة اللجوء ، والتي لما تنته بعد ، وأصبح أفراد الرحلة يعدّون بالملايين فيما أطلق على عام الرحلة (١٩٤٨) عام النكبة ...

كانت العصابات الصهيونية قد حصلت ، على مدى ثلاثة عقود ، على التدريب والسلاح والكثير من الأراضي التي منحتها لهم حكومة الانتداب البريطاني بعد أن طردت منها الفلاحين الفلسطينيين أصحابها الذين ورثوها كابرا عن كابر ...

وفيما كان جنود الاحتلال البريطاني يوفرون السلاح والتدريب للصهاينة كان الفلسطيني الذي يعثر بحوزته على قطعة سلاح يحكم بالإعدام ! ! . كان الانتداب البريطاني يعمل بكل قوته وجبروته لتهيئة الأوضاع في فلسطين المحتلة لإقامة وطن قومي لليهود وفقا لوعد بلفور الذي تحوّل إلى قرار لعصبة الأمم نتيجة لتقاطع الاستراتيجيات الاستعمارية التي أرادت فرض التخلف والتجزئة على المنطقة العربية الإسلامية ...

هكذا كانت كل الأحوال تفرض على الفلسطيني أن يتشرد ، ويتهجر ، ويتحول إلى لاجىء ، وهكذا كان على محمد خليل طوالبة وعائلته أن يتشردوا مع آلاف الأسر الفلسطينية ليعيشوا حياة اللجوء والتشرد والفقر والبؤس الذي سيتوارثه أبناؤهم وأحفادهم لأجيال عديدة وحتى اللحظة الراهنة ...

ولأن قرية نورس الواقعة بمحاذاة قرية صندلة قريبة من مدينة جنين كان قد اختار محمد خليل الإقامة

مع أسرته المكونة من خمسة أنفار في هذه المدينة قريبا من قريته التي أصبحت حلما موجعا بالعودة والرجوع ، ثم تحول عام ١٩٥٥م للإقامة في مخيم جنين حيث لا زال يقيم أبناؤه وأحفاده ...

بتاريخ ٢/ ١١ / ١٩٥٠م رزق محمد خليل بولده أحمد الذي بعد سنوات قليلة سيتلقى الدراسة في مدرسة وكالة الغوث الدولية في مخيم جنين ، لكنه ما إن يبلغ الصف الخامس حتى يغادر مقاعد الدراسة ليبدأ العمل لأجل مساعدة والده في إعالة الأسرة التي كبرت ، وكانت ككل الأسر اللاجئة منقوعة في الشظف والبؤس والفقر ...

يقول أحمد : (قد تفتحت عيناي لأشاهد مناظر البؤس ومأساة اللجوء وحياته ، كانت أسرتنا قد أقامت في بيت هو عبارة عن (خُشّة) صغيرة تتكون من غرفة جدرانها من الطين وسقفها من الزينكو ومطبخ ، وككل البيوت الفلسطينية للاجئين بدون ماء أو كهرباء أو حمامات ، كانت هناك حمامات جماعية للرجال وأخرى للأطفال ، لا تملك كلماتي القدرة على الوصف ... مخيم بائس يفتقر لكل مقومات الحياة ، شوارعه تعيسة ولا يوجد فيه مستشفى ، وإنما عيادة صحية صغيرة لوكالة الغوث ...

بدأت اعمل في كل مهنة شريفة لمساعدة والدي الذي عمل في بيع الخضار على عربة متنقلة، وبالكاد كان يتمكن من توفير أدنى مستلزماتنا ، ثم انضممت إليه وعملت معه ...

عام ١٩٧١ ، في هذه الظروف الصعبة تزوج أحمد من الفتاة تفاحة أحمد محمد من قرية مركة القريبة من جنين ، والتي تنحدر من أسرة فلاحة بسيطة كان عمرها إذ ذاك ١٩ عاما فيما كان أحمد قد ناهز الثالثة والعشرين ، وقد تأخر زواجهما بسبب ظروف الحياة البائسة في المخيم ...

بدأ الزوجان حياتهما بالسكن في بيت من الطين ، سقفه من القصب ، ويتكون من غرفتين ومطبخ ... بعد عام من الزواج رزقا بابنتهما البكر ظريفة ، ثم ميسون ، ثم محمد ، ثم محمود ، ثم رائد ، ثم مراد ، ثم علاء ، ثم خليل، ثم عبدالله ...

يتذكر أحمد أنه انتقل بعد زواجه للعمل في محل لبيع الخضار في مدينة حيفا بأجر زهيد .. ثابر أحمد حتى تمكن بفضل الله من جمع مبلغ من المال من عمله فاشترى منزلا صغيرا في حي الحواشين ...

اتسعت العائلة ، وزادت الالتزامات والمشاكل المعيشية ، فسافر لعمّان بحثا عن عمل ، تسنى له العمل

في محطة الفوسفات بأجر زهيد ، ولأن العمل الجديد لم يغير من واقع حياة الأسرة شيئاً فقد ازداد ألمه وحزنه، لكنه بينما كان يتفقد الصحف قرأ إعلانا عن وجود أماكن عمل بأجور ممتازة في الجماهيرية الليبية، فشدّ الرحال إليها تاركا أسرته في مخيم جنين ، حيث أقام هناك ستة شهور ...

واجه أحمد المزيد من الصعوبات في رحلة الشقاء والعمل . ويضيف: (عملت في عدة مهن ، لكن المرتب لم يكن مناسبا ، فحزمت حقائبي وعدت لأسرتي وأقمت معها وعملت في البناء ، لم تتغير الأمور وازدادت حياتنا شقاءً فرحلت مع زوجتي وأطفالي للأردن مرة أخرى ، ومرة أخرى في محطة الفوسفات الأردنية ، وأمضينا عاما كاملا في عمّان، ولأن وضعنا لم يتحسن عدنا للمخيم ، بدأت بالعمل في عدة ورشات للبناء في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، وصممت على الحفاظ على حصول أبنائي على التعليم لأعوضهم عما حرمت منه ، وفرحت كثيرا عندما رأيت محمداً ومحموداً يدرسان ...

الميلاد والنشأة :

في مخيم جنين وفي تلك الظروف التي كانت تعيشها أسرته ولد محمود طوالبة في ١٩/ ٣/ ١٩٧٩م، كان الرابع في الترتيب بين أخواته وإخوانه ...

تقول والدته :

(تعلم محمود في مدرسة وكالة الغوث ، ومنذ الصغر كانت علاماته جيدة وحظي بمحبة معلميه جميعا لأنه نشط ومجتهد ...)

وعندما اندلعت الانتفاضة الأولى كان قد بلغ من العمر ثماني سنوات ...

تعددت هوايات الفتى ، فمن صيد الطيور والحيوانات البرية ، إلى تصنيع فخاخ الصيد ، ثم قام بصناعة خرطوش يذكر ذووه أنهم احتفظوا به حتى الاجتياح الكبير للمخيم .

تقول أخته ميسون التي تكبره بخمس سنوات : (طفولته كانت هادئة وعقله وتصرفه كان دوما أكبر من سنه حتى نال محبة الجميع وتقديرهم ، ومنذ صغره كان حنونا طيبا وأحب كل فرد في الأسرة بطريقة خاصة) ...

الحرمان والبحث عن أسباب الرزق :

كان الوضع التعليمي لمحمود جيدا ، لكنه آثر ترك الدراسة ليبدأ رحلة الشقاء والمعاناة بالعمل في مهنة (القصارة) في داخل الخط الأخضر ...

قبل ذلك كان يساعد شقيقه محمداً بالعمل على عربة في حسبة جنين ، حينها كان عمره اثنتي عشرة سنة ، فيما كان محمد قد بلغ السادسة عشرة من عمره .

كانت الحياة في المخيم قاسية تلك الأيام وكانت الظروف المعيشية العامة متدنية ، كما أن والدهما الذي عمل في حينها في تجارة الخضار كثيرا ما عانى الخسارة (بسبب ركود الحال) كما يقول محمد ...

تقول والدة محمود :

عاش محمود معنا رحلة العذاب والشقاء ، فأثرت على دراسته وتعليمه ، وبدأ يدرك أسباب المعاناة وأبعادها الكامنة في الاحتلال ، بدأ مسيرة حياته العملية في ورشة للقصارة في مدينة حيفا ، وبعد أول مرتب حصل عليه من عرق جبينه عاد سعيدا ، أهداني إياه : أبشري (يامّا) فبإذن الله سنساعدك ونخلصك من حالة الضيق والضغط والألم هذه ...

وسرعان ما أتقن المهنة وأصبح (معلما) يعمل لديه عدد من الشباب ، فذاع صيته في جنين والناصرة وحيفا والقدس وأصبح اسمه مشهورا في المهنة هذه ...

كان يعمل ويضع (فلوسه معي دون حسيب أو رقيب ، وعندما قلت له أريد أن أسجل لك ورقة بمالك من أموال معي حتى لا يضيع حقك إذا حصل لي مكروه ، غضب وقال : (لا حول ولا قوة إلا بالله) ما أقدمه لك هو من الله عز وجل وأنت حرة فيه وإذا قدمتيه لإخوتي جزاك الله عنهم وعني كل خير وأنا مسامحك » . .

وفور حصوله على أجرته من العمل – يذكر شقيقه محمد – يبدأ بالسؤال عن نواقص البيت ولوازمه ويساهم في توفيرها ، وكان يحب أن يساعد ولو على حساب نفسه ...

الطفل يتلمس طريقه نحو المقاومة :

عندا اندلعت الانتفاضة الأولى كان عمره ثماني سنوات ، رغم ذلك وفي السنوات التالية شارك الطفل

- كسائر أترابه - في المواجهات والمسيرات والفعاليات، وعندما بلغ الثانية عشرة، وبينما كان يتصدى لقوات الاحتلال بالحجارة خلال مظاهرات طلابية، تم اعتقاله وأمضى فترة في السجن - لم يتذكر شقيقه محمد الذي يروي القصة كم كانت - وقد أثرت هذه المرحلة عليه كثيرا، وازداد حقدا على الصهاينة المجرمين.

في الصف الثاني الإعدادي بدأ ينقطع عن المدرسة ويتوجه مع أحد رفاقه لعمارة قريبة ، ويمضون فيها وقتهم في تصنيع المواسير الشبيهة بالبنادق ، تقول أخته أنها عندما كانت تسأله عن الهدف من ذلك يرد : (نريد مقاومة اليهود). كان حريصا على التزود بالمعلومات حول تصنيع الأسلحة التي أصبح أشهر مصنعيها في المخيم ...

وذات مرة تأخر كثيرا في العودة للمنزل ، وعندما سئل عن سبب التأخر كان جوابه ببراءة الطفل والسعادة تغمر وجهه : (تمكنت من اختراع عبوات ومواسير صغيرة لقتال اليهود ، لقد اقتربت ساعة النصر والجهاد) .

كان محمود على علاقة مميزة بابن الجيران (أسامة أبو الهيجاء) - الذي سيصبح الاستشهادي الأول في مخيم جنين في عملية مزدوجة لسرايا القدس في الخضيرة كان معه فيها الاستشهادي البطل علاء الصبّاح ...

كان محمود وأسامة يذهبان إلى المدرسة معا ولا يفارق أحدهما الآخر إلا عند النوم ، كما أنهما اشتركا معا في تصنيع المواسير، وكان يغلب على حديثهما الكلام عن مقاومة اليهود ...

وتقول والدة محمود أنها فوجئت عندما أبلغها رفاقه آنذاك أنه لم يعد يذهب للمدرسة بشكل دائم، بل أصبح يسعى للمقاومة ومحاربة المحتل ، وفي أحد الأيام حل مواسير البيت وصنع منها سلاحاً ، وفي هذه المرحلة بدأ يرتاد المسجد ، وإذا ما سألت عنه فإنك تجده إما في العمل - إذ ترك المدرسة نهائيا في الثالث الإعدادي ، وإما في العمارة يصنع الأسلحة (المواسير) ، وإما في حلقات الذكر والوعي في المسجد ، وقد كان يحظى بثقة المشايخ وأئمة المساجد وحبهم وتقديرهم ...

وتضيف والدة محمود : (لم يكن عمل محمود وإخلاصه لعائلته ليشغله عن تأدية واجبه ورسالته ،

فواصل مسيرة الجهاد والنضال، مما عرّضه للاعتقال مرتين ولفترات مختلفة ، وكان ذلك في الانتفاضة الأولى فأمضى فترة في التحقيق، وتعرض لظلم الصهاينة واضطهادهم ، الأمر الذي ما زاده إلا قوة وإرادة وإيمانا وعزيمة وتمسكا بالحق ، وكان والده قد اعتقل في تلك الفترة وتحديدا في عام ١٩٨٩م وأمضى شهورا عديدة في سجون العدو ...

ثالثاً :

(في خط الدعوة إلى الله سبحانه)

عرف محمود الطريق إلى الله في سن مبكرة ، فكان يحرص على الصلاة في المسجد ، وكان يحب تلاوة القرآن وحفظه . ورغم أنه التزم الصلاة منذ صغره إلا أنه عندما بلغ السادسة عشرة من عمره ازداد إقبالا على تلاوة القرآن الكريم والكتب الدينية ، ولم يؤثر عمله داخل الخط الأخضر على التزامه بالصلاة والفرائض كما كان يجري للكثيرين .

وكان في ذلك الوقت يشتري أشرطة دينية يمضي وقته بعد العودة من العمل في سماعها حتى يحفظها عن ظهر قلب ثم يوزعها على أصدقائه ، خاصة من يعملون داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، ليس هذا فحسب ، بل كان يحثهم على الالتزام بالدين ، ثم بدأ ينظم جماعات شبابية للدعوة وهداية الناس إلى أحكام دينهم والتزام فرائض ربهم سبحانه ، فشكّل حلقة في مسجد المخيم بدأت تنتقل من منطقة لأخرى ...

ترك عمله داخل الخط الأخضر رغم أن دخله منه تحسن في الأشهر الأخيرة ، وافتتح بسطة للأشرطة والكتب الدينية في مدينة جنين ، وقد أقامها في شارع الحسبة قرب لجنة أموال الزكاة في جنين ، كان يوفر أشرطة متنوعة ، لم يتردد في توزيعها على الطلاب والطالبات والشباب الفقراء الذين يعانون ظروفا صعبة مجّانا ، فهو كان قد كرّس حياته للدين رغم ظروفه الصعبة ، ورغم عدم توفر أي مصدر آخر للرزق له ولأسرته ، فهو يؤمن بقوله تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون . .) ، وحب الله جعله لا يفكر بالدنيا بل رضا الله والتقرب إليه وبالدار الآخرة كما كان يردد دوما .

ذات يوم جاءت طالبة من جنين تريد (كاسيتا) غنائيا لهاني شاكر ، فأخبرها بعدم توفره لديه ، ونصحها أن تسمع (كاسيتا) دينيا أهداها إياه دون ثمن ، تقول هذه الطالبة : (عندما سمعت الشريط انقلبت حياتي وعدت لأشكره ، احمر وجهه رحمه الله إذ كان خجولا واستمر يزودني بكتب وأشرطة دينية) .

وذكر طلاب من جنين أنه كان يوزع الكثير من الأشرطة الدينية مجاناعلى شكل هدايا ، ويكون سعيدا بذلك ، وكان يقول لمن يتكلم معه بذلك: (لا توجد خسارة ، لأن الدنيا والأموال زائلة ، أما عمل الخير والدعوة والهداية فإن ثمنها عند الله كبير) .

وقال بعض أئمة المساجد في جنين والمخيم أنه زود المساجد التي يعملون فيها بأشرطة وكتب ، وحرص على التواصل مع حلقات الذكر والتعليم ...

ولم يقتصر على ذلك بل كان يرى أن الدعوة لا تقتصر على الشباب بل ينبغي أن تكون سفينة النجاة في خدمة المجتمع ، فكان يكرر الزيارة لامرأة مسنة تدعى أم سليمان ناهزت الثمانين عاما ، يقدم لها المال والمواد التموينية ، وكان يحضر مصحفا ويتلو عليها لكي يسمعها كلام الله سبحانه ، وتقول أم سليمان: (عندما كان يأتي الأطفال الصغار كان يتلو عليهم القرآن والأحاديث ، وكان ينص عليهم بالصلاة وكنت أقول له: (هؤلاء صغار لا يفهمونك) . فيقول : هذا ما أمرنا الله به ، وكان يجري بينهم مسابقات في الأحاديث وآيات القرآن ، وكان يعطيهم أشرطة تنص على الدين) .

وتقول أخته الكبيرة ظريفة : (كان يتردد علينا دوما فيتحفنا بأحاديثه وعظاته التي تركت أثرا كبيرا فينا ، وحتى أنه عندما كان يأتي كان يتجمع أهل زوجي والأصدقاء للاستماع إليه إذ تميز بنهج محبب وفريد في الدعوة إلى الله وزرع روح الإيمان وحب الجهاد في قلب كل فرد فينا وكأنه كان يؤهلنا للحظات استشهاده ووداعه) .

وهو كان منسجما مع ما يدعو إليه ، تروي والدته : (أنه كان يمضي الليل في تلاوة القرآن والصلاة ، ويؤدي الصلاة في مواعيدها ، وأدى العمرة مع زوجته وكانت حاملا في الشهر السادس) .

أحب محمود رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يحاول ما استطاع أن يقارب سيرته إلى حد أن زوجته تروي أنه (بقي لفترة طويلة لا يأكل لحما أو دجاجا ، يعيش على القليل ويتصدق على الفقراء والمحتاجين تيمنا بالرسول ﷺ وإذا حصل على مساعدة أو هدية يبحث عن صديق أو جار محتاج ويقدمها له رغم أنه قد يكون أشد حاجة وأصعب حالا . اشترى عدة كاملة للقصارة عندما كان يعمل فيها بمبلغ كبير ، وعندما أصبح مطاردا قدّمها هدية لصديق ، وأبى ان يأخذ ثمنها) .

ويصفه والده فيقول : (محمود رحمه الله وهب حياته للدعوة والجهاد ، كان يتنقل من منطقة لأخرى يحث الناس على العودة إلى الله والإيمان ، وامتلك روحا كبيرة وقوة إيمان وشخصية جعلته يؤثر بكل من يعرفه ، حتى أنه إذا جلس معه شخص غير مؤمن أو غير ملتزم بالصلاة يصلي فورا وتختلف حياته ، وقد التحق غالبية شباب حارتنا بحلقات الوعي والإرشاد والإيمان التي شكلها محمود وأصبحوا من أكثر الشباب تمسكا بانتمائهم للإسلام والجهاد) .

نظر محمود في أحوال الناس وفي حال الشباب من جيله خاصة ، فرأى حالة الضياع والتيه وانهيار منظومة الأخلاق ، وكل ذلك كان بعضا من عطاءات أوسلو اللعينة ، كان ذلك قبل انتفاضة الأقصى بسنوات قليلة ، فأخذ يركز على الشباب الذين لا يصلون ، ويزورهم في بيوتهم يهديهم إلى الإسلام بالوعي والكلمة والأشرطة ، ويذكر شقيقه محمد أنه كان (إذا سمع شيئاً سيئاً عن شاب يتوجه اليه فورا ويخاطبه ويهديه ، لم يكن يهزأ بأحد أو يقلل من قدر إنسان ، وتمكن من هداية عدد كبير من الشبان وإعادتهم إلى طريق الإسلام والخير والصلاح ، إلى الحد الذي أصبحت كل امرأة تواجه مشكلة مع ابنها بسبب جهله وطيشه تتوجه للشيخ محمود الذي يساعدها ويحل مشكلتها ، فيجلس مع ابنها الذي يخرج أكثر وعيا وإيمانا والتزاما بالإسلام .)

رابعاً :

(في البيت ومع الأرحام)

كي نترك للحديث أن يجري على السجية سنسمع فقط لشهادات ذويه يحدثوننا كيف عايشهم وعايشوه ... يقول والده : (علاقتي بمحمود كانت مميزة ، فكان نعم الإبن المخلص الحنون الذي لم يشك يوما أو يتألم بل دوما يقول أحلم باليوم الذي ترتاح فيه أسرتي وتنتهي معاناتنا) .

أما والدته فتتذكر أنه الوحيد من بين أشقائه الذي كان يبادر لمساعدتها في قضاء الكثير من أمور المنزل، وتضيف : أحيانا كنت أخرج إلى السوق أو إلى الحارة وعندما أعود أتفاجأ بمحمود يغسل وينشف الغسيل وينشره ، وقد برع في ذلك أكثر من شقيقاته ، وعندما كنت أطبخ (كوسا) كان يجلس معي ويقلدني ويساعدني حتى أنه تعلم فرم الملوخية، وأصبح (ينعمها) أكثر مني ، واستمر في ذلك حتى كبر، وعندما كان يعود من العمل لا يرتاح بل يساعدني في بعض الأعمال .

محمود رحمه الله يتميز بأنه حنون كثيراً ، فكان يتودد لي كثيراً ، وعندما يغيب يوما يحضر في اليوم التالي ويعتذر ويقبلنا ، بل كان يعمل ويضع فلوسه معي دون حسيب أو رقيب ، كما كان يقبلني ويدعو لي بطول العمر ، لم يغضبني أو يزعلني أبدا وعندما أمرض يلازمني ويساعدني ، ويقرأ القرآن وينصحني بتلاوته لأن فيه شفاء وعلاجا لكل الأمراض .

بعد زواجه أحببت أن أسكنه وحيدا ، لكنه عاد للسكن معنا ، وأصر على الحياة المشتركة فازدادت محبته في قلبي ، لم يبخل علينا بقرش واحد رغم زواجه بل دوما يساعدني في تحمل أعباء الحياة فكان نعم الابن المخلص الهنيّ .

وعن علاقته بشقيقه محمد الذي يكبره يقول محمد : (لم نكن أخوة فحسب بل أصدقاء نعمل معا ، ندرس معاً ، نلعب معا ، نشتري هدايا لشقيقاتي، ونتقاسم ثمنها ، ونحاول أن ندخل الفرحة لقلوب الصغار ، ونعوضهم عما حرمتنا منه الحياة وظروف القهر والتشرد والاحتلال) .

وتصفه زوجته فتقول :(علاقته مع عائلته كانت ممتازة خاصة مع والدته ، فكان يوصيني بأمه خيرا ،

ويؤكد على محبتها واحترامها ، ويذكرني أنها ربته بدموع عينيها ، وتعبت عليه كثيرا حتى أصبح شابا ، كما أنه أحب شقيقه محمداً كثيرا ، وأتذكر أنه قال لي :(محمد ضحى بحياته وترك المدرسة صغيرا لأجلي وإخوتي ، وشقي وتعب وعمل في الخضيرة من أجلنا ، محمود كان لا ينسى شيئاً ويقدر الجميع) .

ولشدة حرصه على البر بوالدته حين علم أنها بحاجة لثلاجة فقدم لها ثلاجة منزله الخاصة وبقي وزوجه دون ثلاجة ...

ونواصل مع شهادات ذويه ، تقول شقيقته ميسون : (في عام ١٩٩٠ تزوجت ، فحزن محمود على فراقي كثيرا وكان حينها في الحادية عشرة ، وأصر على مرافقتي لمنزل زوجي وفي يوم الزفاف حضر لبيتي و(نقطني) عشرين شيقلا ثم جلس بجانبي يبكي على فراقي .

وقد حافظ على صلتي وزيارتي بشكل دائم ، وكان لدى عودته من العمل داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م يزورنا ويتفقد أطفالي ، ويحضر لهم الهدايا ، ويأخذهم للاستوديو ويلتقط لهم الصور ، كما أنه لم يبخل يوما علي بشيء ، فكان يقدم لي الفلوس بشكل دائم ، فهو حريص على صلة الرحم ، يتصرف بتفتح بصيرة ، وإذا أغضبه موقف أو أزعله أحد يسامحه وينام حتى يذهب غضبه .

بعد عدة سنوات بدأنا بالبناء ، فلم يتأخر محمود عن واجبه ، ورغم تعبه كان يزور بيتنا ، ويساعد زوجي بالبناء ، وقد ساهم في بناء أجزاء من منزلي وقصارته . وحرص على صلة الرحم حتى وهو مطارد إذ كان يعطينا جزءاً من وقته وحياته . وقد كانت علاقته بشقيقاته مميزة ، وكذلك مع أنسبائه .

في إحدى المرات حضر للعشاء لدينا بعد منتصف الليل ، فأمضى ربع ساعة تحدث فيها فقط عن معاني الشهادة والجنة ، وعندما كنا نطلب منه الحذر كان يردد : (روحي ليست بيد شارون ، روحي بيد الله ولن أختبىء) .

ونواصل شهادات ذويه لنستمع هذه المرة لشقيقته الكبرى ظريفة ، تقول :(كانت حياتنا صعبة وأبي غير قادر على توفير جميع مستلزماتنا ، فضحّى أخي محمد - وهو الأكبر بين أشقائي - بمستقبله ، وترك المدرسة ، وبدأ يعمل ، ففتح بسطة صغيرة ، ثم محلا تجاريا متواضعا ، أما علاقته بمحمود فكانت متميزة وقوية ، وعندما انضم محمود للعمل حافظ على رابطة الأخوّة الصادقة مع محمد حتى أنهما كانا

يضعان نقودهما معا ولا نشعر بفرق بين فلوس محمد ومحمود فجيبهما واحد ، وكانا يدا واحدة في السراء والضراء ، وأما محمود فقد تميز منذ الصغر بالشجاعة وقوة الشخصية والإيثار وحب مساعدة الآخرين ، وساهم في تزويج محمد ، وفرح كثيرا لزفاف شقيقه الأكبر .

عندما تزوّجْت كان عمر محمود ستة عشر عاما ، فبكى بشدة لمغادرتي البيت ، وأصر على مرافقتي ، وجلس قربي على منصة العرس ، ولم يتمكن من إخفاء حزنه ، وشعرت بألم شديد وعيناه لا تتوقفان عن النظر لي ووداعي بصمت . ولكنه حافظ على علاقته بي ، وتردد علي دوما ، وكان يتحفنا بأحاديثه وعظاته التي تركت أثرا كبيرا فينا) .

خامساً :

(الشيخ محمود زوجاً وأباً)

في ١٣/ ٥/ ١٩٩٨م تزوج محمود من ابنة خالته الفتاة سماح جودت سليم أبو الوفا من قرية الزاوية القريبة من مدينة جنين ، وقد دامت فترة الخطبة سنة ونصف السنة بسبب ظروف الحياة القاسية ، وعند استشهاده كانت قد أمضت أربع سنوات زوجة له ...

ونترك لسماح التي أصبحت أم عبدالله تحدثنا عن محمود الزوج :

(من يتعرف على محمود ، ويسمع حديثه لا يمكن إلا أن يأسر قلبه وعقله ويحبه ويقدره كثيرا ، فهو خلوق ، متواضع ، بسيط ، خجول ، معطاء ، كريم ، طويل النفس ، صبور ، حليم ، متزن . عندما خطبني كان يعمل في القصارة في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، وزياراته لنا كانت محدودة بسبب ظروف عمله الصعب والقاسي، ولكن وجدت فيه مثالا للشاب المؤمن المخلص الواعي النادر في هذه الأيام وفي هذا الزمان الصعب ، عندما كنا نجلس أو نخرج لنتمشى أو لزيارة أحد أو شراء شيء سواء خلال الخطوبة أو الزواج لا يتحدث إلا عن الإسلام والدين والجهاد والآخرة ، فيقول لي: (يا سماح انظري ما أحلى الدنيا ولكن الآخرة أحلى وأجمل) . وخلال خطبتنا وزواجنا لم أره تأخر عن الصلاة، وكان يكثر ذكر الأحاديث حول الآخرة والدنيا ...

وعندما قرر الزواج طلبت منه أسرته إقامة حفل ليبقى ذكرى ، وليشاركوه فرحه ، خاصة وأن الموضة آنذاك كانت إقامة حفلات موسيقى ودبكة ، فوافق ولكنه اشترط أن يكون حفل نشيد ديني، وبالفعل أحضر فرقة الشهداء ، وكان حفلا كبيرا ومميزا ، وحتى عرسه كان مناسبة للإيمان والإرشاد والهداية ...

وكان حلمه أن يرزق بولد يسميه عبدالله، ثم أن ينال الشهادة، فقلت له : لماذا عبدالله ؟ لنسميه مراداً فرفض وقال : عبدالله ، فجميعنا عبيد الله، وأطلق على الإبنة الأولى (دعاء) ، وقال لي: السبب أن كل شيء في الكلام والحديث والصلاة والعبادة يبدأ بالدعاء لله ، فدعاء هي دعوة مفتوحة لتقربنا لله والجنة

والخير والثواب .

وتواصل أم عبدالله : (منذ زواجنا اعتاد محمود يوميا قراءة القرآن واختتام جزء منه ، وإذا لم يتمكن من الختمة يكملها بفتح شريط لعدة ساعات يمضيها في سماع القرآن والدروس الدينية ، وقد أكد علي واجب قراءة جزء من القرآن يوميا والتزمت بذلك ، وسألتزم بكل وصية لمحمود لأنه لا يرشدنا إلا للإسلام والإصلاح والخير ، حتى عند النوم لا يغفو إلا على صوت القرآن الكريم ، وكان يحتفظ بمكتبة كبيرة من الأشرطة الدينية ومن الكتب ، أما التلفاز فكان لا يتابع إلا محطة إقرأ وتلفزيون المنار ، وينهاني عن مشاهدة المحطات الأخرى ، لأنها لا تنشر إلا الفساد ، وبالفعل شطبنا جميع المحطات ، ولم نتابع الأخبار والبرامج الدينية إلا من المحطتين المذكورتين .

ورغم عمله الشاق فإنه لم يكن ليتأخر لحظة واحدة عن مساعدتي ، فإذا مرضت يصبح طبيبي وممرضي حتى أتشافى ، وإذا زعلت فرج كربي ، ويخفف ألمي ، وإذا كثر الشغل يساعدني في تصريف أمور البيت ، لم يكن يخجل من مساعدتي رغم انتقاد بعض الناس له ، فكان يجلي ويكنس ويغسل ويطبخ ، وأجلي انا وإياه الصحون وأحيانا يغسل دعاء ، وأنا ألبسها او العكس ، ويطبخ أيضا ، وفي إحدى المرات انتقده صديقه ، فقال له : العيب هو العيب . أما مساعدة أسرتي فواجب ، فالرسول عليه الصلاة والسلام وعلى آله كان يساعد زوجاته أيضا .

واعتاد على اختيار اللون الأخضر في لبسه وبيته وحياته ، وعندما أسأله عن ذلك يقول : إنه لون الجنة ، لذلك حاول أن تكون حياتنا خضراء سعيا لجنة الله الأكبر والأجمل كما كان يقول دوما . .

بعد زواجنا طلبت منه هدية الزواج شهرعسل جميل ، فقال لي : ما هي الهدية ؟ فقلت له : أداء العمرة ، وبالفعل سافرنا معا للعمرة ، وبعت ذهبي لأنه لم يكن لديه نقود كافية لذلك .

تميزت حياة زوجي بالبساطة ، فلم يتكبر على أحد أو على نعم الله عليه وإن كانت بسيطة ، بابه مفتوح للجميع ، وكذلك قلبه ، ولقمته غير مشروطة حتى وإن كانت حبة زيتون فيحمد الله عليها كثيرا ، وكان يوصيني بشراء اللحمة وتوزيعها على الفقراء ، أما هو فيرفض الدجاج أو اللحمة .

مع مرور الأيام طلبت منه شراء بيت ، فغضب وقال لي : لا أريد في هذه الدنيا سوى شيء واحد ،

أن أعيش فقير المال غني الإيمان بالله ، لا أريد شراء بيت أو أرض لأنها جميعا فانية ، كل شيء يذهب ويبقى وجه الله .

في المناسبات كان محمود يهديني كتباً دينية وأشرطة إسلامية، ويطلب مني توزيعها على الأصدقاء والأهل ، وفي لحظات اجتماع الأهل أو الأصدقاء معه كان حديثه فقط عن الله والإيمان والجهاد) .

عبد الله وسط المعركة :

رزق محمود بدعاء قبل الانتفاضة، أما عبدالله فقد رزقه الله به في هذه الانتفاضة، ولميلاده قصة تبرز (الإنسان) في محمود حتى أثناء القتال ، وتترك هذه المرة والدته تحدث ، تقول أم محمد : (عندما هاجمت قوات الاحتلال مخيم جنين في ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٢م كانت زوجة محمود في أيام حملها الثاني والأخير من محمود ، وقد داهمتها آلام المخاض في ٤/ ٣ خلال الاجتياح ولم أتمكن من نقلها للمستشفى، فتحدثنا مع محمود بالبلفون واطمأن عليها ، ولكنه لم يتحدث سوى للحظات لأنه كان في قلب المعركة ، زوجته تكاد تنجب مولوده الثاني وهو يقاتل في سبيل الله والشهادة ، وبعد طول انتظار وفشل كافة المحاولات لنقلها للمستشفى بسبب العدوان وإطلاق النار الصهيوني أنجبت زوجته طفلا أسمته عبدالله بناء على طلب محمود وتوصيته ، وبعد الولادة اتصلت به وأبلغته عبر الهاتف ففرح كثيرا وأخذ يكبر فاجتمع المقاتلون حوله ، وعندما علموا بالنبأ فرحوا كثيرا ، وهنأوه ، ووزّع عليهم حلوى رغم القتال والمعركة العنيفة احتفاءً بالمجاهد الصغير عبدالله كما قرر تسميته.

وأخذ المقاتلون يمازحونه قائلين : محمود طوالبه ولده في المعركة جاء يقول كواع كواع وليس واء واء كباقي الأطفال .

وقد حزنت كثيرا أنا زوجته عندما لم يتمكن محمود من العودة للمنزل لمشاهدة زوجته وطفله ، فحملت الولد متحدية كل الظروف، وتسللت من حارة لأخرى ومن بيت لبيت رغم القصف والحصار بحثا عن محمود حتى التقيته في حي الدمج، فاندفع نحوي سعيدا لمشاهدة عبدالله فقبّله ، وسألني : هل لحسنّموه تمرا وفق السنة النبوية الشريفة، فقلت : لا ، فطلب من إحدى نساء الحي حبة تمر وحنكه بها ، ثم أذّن في

أذنه اليمنى، وأقام الصلاة في اليسرى، وأخذ يدعو الله أن يحمي عبدالله، وأن يمده بالإيمان ليواصل مسيرته.

بعد انسحاب العدو وانتهاء الاجتياح عاد محمود للمنزل والفرحة تملأ قلبه ، وبارك لزوجته وهنأها بمولودها ، موصيا إياها بتربيته على السنة والجهاد ، ثم حلق له رأسه على السنة النبوية الشريفة، وقد كانت علاقته بعبدالله مميزة حتى أطلق عليه لقب رأس المال ، ويعني أنه إذا استشهد فإن عبدالله سيواصل مشواره ، وقال لزوجته : (الخطيّة برقبتك ، يجب أن تكبّري رأسمالنا عبدالله وتنظميه وتحافظي عليه مهما كانت الظروف ليحمل راية الجهاد والمقاومة) .

كان محمود ذا تأثير آسر إلى الحد الذي تشعر معه أنه ينقل طباعه وانطباعاته إلى من حوله ، ونعود مرة أخرى إلى زوجته التي كانت وهي تتحدث سعيدة ومبسوطة لا يوجد في صوتها ولا في كلماتها روح للحزن أو معنى للألم ، ولدى السؤال : كيف تتحدثين بهذه الروح وزوجك فارقك للأبد ؟ ! ابتسمت وقالت : نعم أنا مبسوطة لأنني زوجة شهيد مجاهد مؤمن ، عندما كنت أسأله ماذا سأعمل إذا استشهدت ؟ ! يرد علي قائلا : (اصبري لأننا سنلتقي في الجنة إن شاء الله ، فقلت له : إنك إن غبت عني فترة قصيرة أبك ، فماذا أفعل على فراقك أو ما الذي يمنعني من البكاء ؟ ! فقال لي : الرسول عليه الصلاة والسلام بكى، ولكن احذري النواح والعويل، واصبري، وصابري، وتذكري أنني ذاهب للقاء وجه ربي، فلا تحرميني بدموعك الجنة، ولا تؤخري لقائي بوجهه الكريم ، وعندما سألته : ولكن سأتغلب كثيرا بحياتي وتربية أطفالي فأشفق علينا ، قال لي : الله معك ومعهم وسييسر لك أمورك ...) .

لذلك كله أنا سعيدة لأن زوجي استشهد وهو يجاهد لتحقيق فرض الله (الجهاد) ، وأي كرامة أكبر من ذلك ؟ ! وأنا سعيدة لأن رؤياه تحققت، فرغم فقدانه فإن الله سبحانه ييسر أموري ولم أتغلب منذ رحيله بشيء) .

سادساً :

(مع الجيران والفقراء والمحتاجين)

كان محمود ذا قلب مرهف حساس، تلتقط روحه المناظر المحزنة والمواقف المؤلمة فينطلق معها حزنا وألما ولا يتوقف عند ذلك، بل يتعداه إلى محاولة المساعدة ، ولو على حساب نفسه وأهله ، بل إن هذه النفس الطاهرة كانت تغالبها حالة من الجيشان العاطفي ليس فقط على البشر وإنما يتفاعل مع جميع مخلوقات الله ...

يزين قبر العصفور بالورود :

عندما كان محمود في الصف الثاني الإعدادي عثرت شقيقته ميسون على عصفور فاحتفظت به ، وقام هو على رعايته لكنه مات ، فأصر محمود على دفنه وزيّن قبره بالورود وحزن عليه كثيرا ووزع (طوفة) عن روحه ...

وتنمو هذه الروح معه، وينضج القلب مع نضج صاحبه الذي تحدّثت عنه زوجته، وهي أكثر الناس اطلاعا على حاله فتقول : (علاقة الشهيد مع جيرانه كانت ممتازة ، إذ كان يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ولا يتوانى عن مساعدة المحتاج والفقير ولا عن تلبية دعاء أحد ، وفي العيد كان يستيقظ باكرا ، فيزور جميع الجيران ويعايدهم فردا فردا ، حتى أثناء مطاردته لم يتخلَ عن هذه العادة، بل كان يعايد الشهداء ، ويزور أضرحتهم، ويزور ذويهم ثم يتابع رحلته المعتادة ...) .

من صور كرمه، رغم ضيق يده، أنه تعرف إلى أحد الأشخاص الذي يعيل أسرة مكونة من خمسة أنفار، فأشفق عليهم، وساعدهم إلا أن الرجل توفي ، فتكفّل محمود بأحد أطفاله للأبد ، وكان يفكر به، ويكسوه قبل أولادي ، وسأبقى أحتضنه وأكفله على عهد محمود كما أوصاني رحمه الله .

كان يحزن كثيرا إذا شاهد إنسانا مهموما أو محتاجا ، فلا يغمض له جفن حتى يساعده ، حتى أنه تبرع بسرير ابنتنا دعاء لأحد الأطفال الأيتام ، فقد كنت أجلس مع أخته ظريفة التي كفلت طفلا وأخذت

تتحدث أنها تفكر في شراء سرير للطفل ولا تستطيع لوضع زوجها المالي ، وبدون سؤالي أو مشاورتي ودون تردد توجّه محمود للغرفة، ونقل دعاء من السرير الذي كانت تنام فيه،

وأهداه للطفل ، وفي حادثة أخرى، وبعد ولادتي لدعاء ، أهدتني إحدى النساء (حرام صوف) ، فشاهده محمود فسألني كم حراما لدينا ؟ فقلت : ثلاثة ، فقال : واحد يكفي ، وزّعي الاثنين على الفقراء ، فقلت له : يا محمود ، كيف ذلك ؟ فقال : فرّجي على الناس ليفرّج الله عنا يوم الحشر والقيامة، وفي مرة ثالثة فوجئت بمحمود يحمل اسطوانة الغاز ويخرج بها ، ولما سألته أين تذهب بها ، قال لي : التقيت بجارنا وشكى لي عدم قدرته على شراء غاز ، وسأقدم له غازنا ، فقلت له : ولكن لا يوجد لدينا غيره؟ ! فقال : بإمكاننا أن نعيش دون غاز وأعطاه للرجل وهو سعيد .

وفي يوم من ايام الصيف حضر لبيتنا أحد الجيران ، ولم يكن عندي سوى قنّينة واحدة – وكان قد قدّم الثلاجة لوالدته – فأعطاه محمود إياها ، فقلت له ماذا سنفعل بدون ماء ، إنها لابنتك دعاء ، فقال: إن الله يرزقنا من حيث لا نحتسب ... وقد اعتدت بعد معرفتي الجيدة به على عدم معارضته لحبي وتقديري الكبير له وقوة إقناعه واقتناعي أن ما يفعله هو الخير وهو الأفضل .

وعندما أخذ يتقاضى مخصصا من حركة الجهاد الإسلامي بعد أن أصبح مطاردا للمحتلين كان يتبرع بغالبية مخصصه للفقراء والمحتاجين ...

تتحدث شقيقته ظريفة عما اكتشفوه بعد استشهاد محمود من حاله مع الفقراء والمحتاجين ، فلنصمت قليلا ولنصغ السمع : (محمود كان شهما ونموذجا نادرا للتضحية والإيثار ، يرفض استقبال أية مساعدة، وإن وصل لبيته أية تبرعات يحملها ويوزّعها على الفقراء حتى لو كان محتاجا ، بل إنه كفل عددا من الأيتام وحرص على دفع مرتب شهري لهم إضافة لكسوتهم ورعايتهم ، كل ذلك كان دون علم أحد حتى والدتي، وقد علمنا بذلك بعد استشهاده عندما حضرت بعض الأرامل وبعض نساء المخيم الفقيرات وأخبرننا بما قدّمه محمود لهن من مآثر ومساعدات، فعلمت ان مخصصه الشهري كان يوزّع نصفه على الفقراء) .

ذات مرة بعثت جمعية خيرية كمّية من التموين لمنزل الشيخ محمود ، وعندما وصل الموزعون منزله وضعوا الكمية بالباب وأشعروا أهل البيت، فلما رأى محمود ذلك طلب منهم الانتظار، ودخل المنزل

وعاد سريعا بعد أن احتذى حذاءه، وأخذ يرفع الأغراض التي أحضرت إلى السيارة وساعدوه، وطلب منهم أن يرافقوه حتى إذا وصل أحد المنازل أنزل التموين فإذا به منزل لامرأة مسنة تدعى ام سليمان ...

حكاية أم سليمان :

وللشيخ محمود مع هذه العجوز التي تجاوزت الثمانين عاما حكاية ربما يحسن أن نسمعها ومن لسان أم سليمان نفسها ، فلنصغ معاً :

(قام الشهيد محمود طوالبة بإيصال الكهرباء لبيتي ، فقلت له : لا يوجد معي لأدفع ، فقال : هذا على حسابي الخاص ، وأوصلها ، رغم أنني لا أريد ، وكنت أنصحه بأن يبتعد عن هذه الأعمال (تقصد المقاومة) وأقول له لديك طفلة واسرة ، حافظ عليها وعلى بيتك . كان يجيبني (ينصّ) عن الدين والديانة ، فقلت له أريد أن أبعثك إلى القدس (لتنصّ) على الناس، فكان يزداد في (نصّ) القرآن والأحاديث ، وكان يقول لي باستمرار : الشهادة أفضل من كل شيء ، وابنتي وزوجتي الله يرعاهم ، هو الذي خلقهم وهو كفيل بهم ، لم أصدق لغاية الآن بأنه استشهد وعندي أمل كبير ان أراه قبل أن أموت ، كان ينادي عليه الجيش : سلّم نفسك ، وكان يقول لهم : حتى الشهادة ، وفي يوم من الأيام جاء إليّ هو وصديقه عبد الرحيم فرج، وكنت أقول لعبد الرحيم تزوّج فكان يقول لي بأنه يريد أن يتزوّج في الجنّة . وفي أحد الأيام جاء محمود إلي فقلت له : لا تطيل هنا فالعملاء يرقبونك ، فكان يقول لي : توكلي على الله، روحي في يد الله وحده لا بيد الجواسيس ولا بيد اليهود . كان شابّا جميلا ، طويل القامة ، وجهه مليء بالابتسام والإيمان ، كان يضحك باستمرار ، وكانت كلمة لا تفارق فمه وهي (توكلي على الله) . كان باستمرار يتفقدنا ويلبي كل ما نحتاج إليه ، لقد (تعطّلت)عن المشي حين علمت أن محموداً قد استشهد .

كان عبد السارة (هو عبد الرحيم المذكور آنفا) يقوم بزيارتي عندما أعلن عن محمود بأنه مطلوب رقم واحد ، ويقول لي : لقد أوصاني محمود بزيارتك وتلبية كل ما تحتاجين إليه . وكان محمود يعطيني المال ويقدم لي المساعدات التموينية ، وقد وهب نفسه لله عز وجل .

كان يحضر قرآنا ويتلو لكي يسمعني كلام الله ، كان يأتي إلينا فيأتي الأطفال الصغار ، فكان يتلو عليهم

القرآن والأحاديث وكان (ينص) عليهم بالصلاة ، وكنت أقول له : هؤلاء الأطفال لا يفهمونك . فيقول : هذا ما أمرنا الله به ، وكان يجري مسابقات بين الصغار في الأحاديث وآيات القرآن ، كان يعطيهم أشرطة تنصّ على الدين ، وكان يأتي عندي في الأعياد ، ويعطيني نقودا لكي أتعالج ولشراء حاجياتي ، محمود روحه في جنّات النعيم ، كانت معاملته جيدة مع جيراننا ، وجميعهم يحبونه . وفي كل ليلة أخاطب الكهرباء وأقول لها أنت ما زلت موجودة وين اللي وضعك ؟) .

الفصل الثالث

رحلة الانتماء والصعود في السلم القيادي

المكان : سجن جنين العسكري

الزمان : بداية الانتفاضة

(٣-١) : البدايات :

كان اللقاء بين محمود وحركة الجهاد الإسلامي عند بداية رحلته باحثا عن الشهادة ، في سجن جنين حيث الأبواب المقفلة، والجدران الصلدة، وإجراءات (الحرس الأوسلوي) تحاول أن تنال من روح ذلك الفارس الذي أسمته أمه (إياداً) ، لكنها لا تستطيع ، كان محمود عندما زار إياداً يبتغي مطلبا واحدا : أن يقوم بعملية استشهادية ... وكان الزمان بداية انتفاضة الأقصى ...

كان المشهد في مدينة جنين يحمل مقدارا من التناقض الذي يصل إلى الحد الذي يشرخ المشهد ، ويقذف بجملة من الأسئلة التي تنتفخ او تتهدج لها بعض الوجوه !!.

(٣-١-١) : حسرات بعضها فوق بعض :

على حاجز الجلمة يوميا كانت تسيل دماء فتيان المدينة شهداء وجرحى ، حتى بدا الأمر كرحلة تكرر نفسها كل يوم، لكنها في كل يوم في صباحه أو في مسائه أو في كليهما تشمل الحسرة واللوعة مزيداً من الأسر ومزيداً من الأمهات والأبناء والأطفال والشبان. وعلى الجانب الآخر من المشهد ، وليس بعيدا عن حاجز الجلمة، كانت حرية المجاهدين تختنق ، وأرواحهم تكتوي بالأسى والحزن مرات ومرات؛ مرة بالمشهد السابق، وأخرى بمشهد (الأخ) يقف لهم بالمرصاد حارسا لأمن الذي يقتل إخوانه في الموقع القريب !!! وثالثة يكتوون بحسرتها أكثر وأكثر حين يطغى الشعور بأنك مقيد بيد (الأخ القريب) ربما يقتلك العدو البعيد ، حسرات بعضها فوق بعض، لكنها ما كانت – رغم ذلك – لتحجب الرؤية عن ذلك القلب النقي الذي ما كان ليدع الفرصة دون أن يلتقطها ويركب صهوتها كما هي عادة الفرسان ...

وليزداد المشهد تشرّخا فقد جرت في تلك الأيام قصة غريبة ومثيرة مفادها ان أحد الأجهزة المتعصبة لأمن العدو، ربما أكثر من العدو نفسه، يعتقل في قرية قباطية شابا من مخيم بلاطة من حركة حماس اسمه محمد الخليلي (استشهد فيما بعد أثناء اقتحامه لمستوطنة حمرا في الغور بعد أن قتل العديد من الجنود والمستوطنين) ، تعرّض لتعذيب شديد ، حصل الجلادون من خلاله على ما يريدون ، ووصلت المعلومات للصهاينة مفصّلة بالأسماء والوقائع ، وبعد فترة قصيرة كانت القوات الصهيونية الخاصة تغتال محمود المدني (قيادي في

كتائب القسام من مخيم بلاطة) ، وتحاول اعتقال الشيخ نصر جرار (قائد كتائب القسام في منطقة جنين ، وقد استشهد في قرية طوباس فيما بعد) .

في تلك الأيام كان الشباب والفتيان قد بدأوا يدركون بعمق أن أساليب الاحتجاج الشعبي ليست كفيلة بجرح هذا الكيان وكسره ، وأن كل المقولات حول دور الرأي العام الدولي والمؤسسات الدولية أصبحت مملة ومبتذلة وقبل كل شيء مكلفة جدا إن في الوقت أو الأرض أو الجهد أو الدم ...

وفي تلك الأيام – أيضا – كانت سرايا القدس أول من حمل عبء الرد لترتفع المقاومة كعنوان أساس للانتفاضة ،وبدأ اسم (إياد الحردان) يتردد على ألسنة الصهاينة التي أخذت تهدد وتتوعد ، ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يهددون باغتياله ، أو يلمحون إليه ، بل يعود هذا الاستهداف إلى سنة ١٩٩٨م. وعلى لسان نتنياهو تحديدا ، لكن هذه المرة كان الأمر أشبه بالسعار . . .

وأصبح السجن حيث إياد قبلة لمن يريد المقاومة والقتال ولمن يبحث عن الشهادة ، وخاصة لأولئك الذين شاء الله سبحانه لهم أن يكونوا العمدة التي ارتفع على أكتافها مشروع (السرايا) في منطقة جنين ...

كان من هؤلاء القادة الأبطال الشهداء وائل عسّاف وأسامة التركمان ومحمد بشارات ومحمود طوالبة وعبد الرحيم فرج وغيرهم من المخيم ومن غيره ...

وإذن فقد كانت من هنا رحلة محمود مع الجهاد الإسلامي ، وكان يرافقه من هذه البداية الشهيد عبد الرحيم فرج (أو عبد السارة كما هي شهرته في المخيم) ، وكانت قد انطلقت رحلتهما تحديدا في الشهر الثاني عشر من عام الألفين للميلاد ...

أخذا يترددان على السجن لزيارة إياد وكان هو الآخر – في إجازاته – يزورهما على بسطة الأشرطة عند عمارة الزكاة مقابل حسبة جنين القديمة ، حيث كان يعمل عبد الرحيم مع محمود وزارهما أكثر من مرة في منزل محمود في المخيم، وكان حينها يخرج من السجن يرافقه الشهيد محمد بكر (أبو زريق) الذي كان في سرايا القدس سرّا ، أمّا ظاهرا فهو المرافق المفروض على إياد من إدارة السجن التي تقع في يد جهاز الاستخبارات العسكرية ...

رفض إياد مطلب محمود بأن يقوم بعملية استشهادية ، وأظنّه أدرك أن هذا الرجل سيناط به أكثر من

القيام بعملية واحدة على عظمة ذلك ، واستمر محمود وعبد الرحيم متصلين بإياد ، ويتصل بهما ، ويتواصلون في الله وفي سبيل الله إلى أن قضى إياد على باب السجن شهيدا ، وكان لاستشهاده وقع كبير على نفس محمود .

وندع زوجة محمود تحدثنا عن محمود في تلك الفترة وعن تأثره بإياد ، تقول :

(خلال زواجي به ازدادت حدة القمع الصهيوني لشعبنا وبدا محمود يتأثر بما يسمع ويشاهد من هموم شعبنا ومعاناته ومن مجازر العدو ، فقرر الانخراط في المعركة وفي النشاط الجهادي ، وبعد عام من زواجنا التحق بالجهاد الإسلامي ولم ينتم بحياته لأي فصيل آخر ... (دخل الجهاد الإسلامي عن قناعة وإيمان وبعد دراسة ، ولكن نشاطه العسكري كان سريًا ...) ، تغيّرت حياة محمود وتحركاته بعد التحاقه بحركة الجهاد الإسلامي ، فصرت أسمع أسماء جديدة مثل إياد حردان وغيره ممن اكتشفت أنهم مجاهدون ومقاتلون عظماء ، وبعد استشهاد إياد أبلغني محمود أنه تأثر بمواقف إياد وبطولاته كثيرا ، وأنه استمد منه الكثير من المعرفة ، وأنهما كانا ينسقان للقيام بأنشطة مختلفة ، ولاحظت مدى تأثره بعد استشهاد إياد إثر اغتياله من العدو ، فغضب ، وزعل ، وسمعته ، وهو يصلي تلك الليلة ، يبكي ، ويقسم على الثأر والانتقام) .

(٣-١-٢) : قدوته : محمد ﷺ..

ونموذجه المعاصر : إياد الحردان ..

يقول محمد - شقيق محمود - : (كان قدوته الرسول ﷺ وشخصيته المفضلة من الناس الذين عرفهم رفيق دربه إياد الحردان) .

ولم يكن محمود وحده الذي اكتوى بالحزن والألم باستشهاد القائد إياد الحردان ، بل جنين كلها تحولت إلى غضب عارم : وهاجمت الجماهير مبنى المقاطعة ، وأصر المتظاهرون على الإفراج عن الشيخ عبد الحليم عز الدين (أبو القسام) ومحمد الخليلي إلى أن اضطرت السلطة لذلك ...

وعقب استشهاد إياد اتصل محمود ، من فوره ، بثابت المرداوي ، كان ذلك في الشهر الرابع من سنة ألفين

وواحد ...

تلقى محمود سلاحا ، وكلّف دورا مهماً لترتيب أمور السرايا في المدينة وفي المخيم، وأظهر قدرة وإصرارا ونشاطا منقطع النظير ، خاصّة في تجنيد المجاهدين الجدد واستيعابهم في الأدوار المختلفة لعمل السرايا ، وبطبيعة الحال نقل سلاحا لأخيه وصديقه ورفيق دربه عبد الرحيم فرج الذي كان قد حصل على دورة عسكرية وعمل عدة سنوات في (القوة ١٧) ، والذي عُرف - كمحمود - بالتديّن الصادق والمداومة على صيام الاثنين والخميس ...

وكان بأكورة مشاركة محمود في العمل الاستشهادي ترشيحه لصديقيْه (أسامة أبو الهيجاء وعلاء الصباح) للقيام بالعملية الاستشهادية الأولى في منطقة جنين في انتفاضة الأقصى، ونفذاها في مدينة الخضيرة داخل الخط الخضر ...

وبحكم الطبيعة المنفتحة للعمل التنظيمي داخل حركة الجهاد الإسلامي والتي تحرص على استيعاب الطاقات الجادة ، ولإتاحة المجال لها لتكون في موقعها اللائق أصبح محمود بشكل سريع في الصف القيادي الأول ، وأتيح له المجال ليتعلم الخبرات الموجودة ، وليتواصل مع اصحاب التجارب من مجاهدي السرايا ، ومن لهم قدم سبق أو خبرة ، ثم أتيح له الاتصال بقيادة الحركة في الخارج والذين دعموه على صعيد الخبرة وعلى غيره من الأصعدة كما فعلوا مع العديدين سواه ...

كان محمود مجاهدا صادقا وجادا بكل ما تعنيه الكلمة ، فالعمل الجهادي بالنسبة له كل شيء ، حتى زياراته لصلة أرحامه ، وعلاقاته بالناس ، ومداعبته للأطفال كان يفيض فيها في الحديث عن الجهاد والشهادة ، ولعله كان يتمثل قوله تعالى: (فقاتِل في سبيل الله لا تكلّف إلا نفسك ، وحرّض المؤمنين ، عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا ، والله أشدّ بأسا وأشدّ تنكيلا)سورة النساء الآية : ٨٤)

اتسعت دائرة علاقاته ليتعرّف إلى محمد بشارات ووائل عسّاف ومحمد ياسين وزيد بسيسي وأيمن دراغمه وغيرهم ...

وتوالت العمليات الاستشهادية وغير الاستشهادية التي شارك فيها محمود ، وفيما كان شارون

يخطب في (الأولمبياد اليهودي) ، ويطالب يهود العالم والرياضيين اليهود بالقدوم الى إسرائيل ، ويتبجح بأنه قد وفّر الأمن وأنه سيستمر بذلك إلى الأبد ، فيما كان يتبجح بذلك وصله الخبر وهو على منصة الخطابة : أكثر من عشرين قتيل وجريح من العسكريين الصهاينة في محطة قطارات (بنيامينا)٠٠ إنه نضال أبو شادوف يعلن أن الأمن في الكيان الصهيوني قد أصبح مجرد وهم وخرافة ...

ثم تلت ذلك عملية محمد بكر نصر (أبو زريق) الاستشهادية في كريات موتسكين ، وشارك محموداً في هذه العمليات ثابت المرداوي والحاج علي الصفوري ومحمد ياسين ، وكان للشهيد ياسر صوالحه دور في عملية كريات موتسكين ...

(٣-٢): محمود : قائد القتال الشعبي بلا منازع :

كان محمود مع الوقت قد بدأ يبرز كقائد للقتال الشعبي في مواجهة الاقتحامات الصهيونية المتوالية ، وكان يحضر المتفجرات والعبوات الصغيرة والكبيرة ويوزع الرصاص على المقاتلين وينظم صفوفهم ، كان دوره في كل ذلك رئيسيا خاصة في الاجتياحيْن الأخيريْن ...

وهناك ظاهرتان كان لهما أثرٌ مهمٌ في مقاومة الاحتلال ، وبث الذعر في نفوس جنوده ، كان محمود يقف خلف تعميمهما ، هما ظاهرتا الأكواع ولبس الأحزمة المليئة بالمتفجرات أثناء المقاومة ...

كانت الأكواع (أو العبوات اليدوية) معروفة في الأدبيات العسكرية الفلسطينية ، لكنّ محمودا كان أول من نجح في أن يضع الألوف منها في أيدي الأشبال ، وكان لهذه الظاهرة دور خطير في معارك المخيم ...

أما لبس الأحزمة فاستهدفت أمرين : أولاهما بث الذعر في صفوف العدو من خلال الإعلام ، وثانيهما استخدامها في مهاجمة وحدات العدو عندما يكون هناك مجال لذلك ...

وخلال هذه الفترة التي أصبح محمود فيها في الصف القيادي الأول للسرايا كان هناك منعطفان مهمان مرت بهما السرايا في منطقة جنين :

أولهما : توالي عمليتين فاشلتين ، الأمر الذي اتخذه بعض المغرضين من فصيلين من الفصائل الفلسطينية في مخيم جنين ذريعة ليصدروا بيانا يطالبون فيه الأجهزة الأمنية أن (تأخذ دورها) ضد

الجهاد الإسلامي، فكادت تنشب فتنة عاصفة داخل المخيم لولا أن الله سبحانه وتعالى لطف، وتم تفويت الفرصة على الذين ابتغوا الفتنة وقلّبوا لها الأمور . وتحرك الجهاد الإسلامي سياسيا وعسكريا على عدة محاور؛ فعلى المستوى السياسي والاعلامي ، بادر الجناح السياسي سريعا نحو تلك الجهات التي أصدرت البيان – الفتنة – وطالبها أن تصدر بيان اعتذار يُنفّس الاحتقان، وتتبرأ فيه من ان تكون ملحقات لأجهزة الأمن ، فأُصدر بيان يحمل اعتذارا ضمنيا ،وقد جاء حصيلة عدة جلسات من النقاش والحوار، وتدخل جهات عديدة وانكشاف الغمة عن أعين بعض الطيبين الذين أعلنوا تراجعهم مما ضغط الآخرين ووضعهم في الزاوية ...

وعلى المستوى العسكري كانت هناك عدة خطوات متتابعة وأحيانا متزامنة ، فقد تم إصدار قرار من قيادة الحركة بإيقاف العمل الاستشهادي ريثما يتم التحقق مما جرى ، وبطبيعة الحال لم يكن للقرار أي بعد سياسي على الإطلاق ، وكان يقتصر على موقع معين هو منطقة جنين .

كما تم تشكيل لجنة داخل الحركة لمناقشة تلك الأحداث واحدا واحدا ، وقد تبين أنه لم يكن لأي منها أية صلة بموضوع الاختراق المخابراتي الصهيوني ، وأنها كانت تعود – في مجملها – إلى تصرفات غير سليمة لبعض الأخوة البسطاء الذين تواجدوا في بعض مفاصل تلك المحاولات ، وإجمالا فمعظم هؤلاء الأخوة استشهدوا في عمليات بطولية، والذين لم ينالوا الشهادة منهم يحاكمون الآن في المحاكم الصهيونية بتهمة المسؤولية عن قتل عشرات الصهاينة ...

واستكمالاً لمشروع الوقاية من الفتنة، والخروج من الازمة فقد تمت المبادرة ،وبشكل سريع، للقيام بمجموعة من العمليات الجريئة والنوعية عبر هجمات على المستوطنين والجنود في الأغوار، قادها الشهيدان؛ ايمن دراغمه، ومحمد ياسين بتوجيه من ثابت المرداوي ...

وعليه فقد بدأ العمل، وبشكل مركّز، لتطوير نوع المواد المستخدمة في العبوات ونوع المتفجرات في الأحزمة ، وقد قاد هذه المحاولات، بنجاح، كل من الأخ محمود طوالبه ، والأخ ثابت المرداوي ...

تزامن مع ذلك كله حملة من العلاقات الشخصية والاجتماعية لمواجهة الإشاعات والدسائس وتوضيح الأمور للأنصار ولعموم الناس ، وتولّى هذا الدور الجهاز السياسي للحركة في جنين ...

بعد ذلك بقليل استؤنفت العمليات الاستشهادية بنجاح وتميزت بأنها أتت في ظروف الضيق والحصار التي كان يعيشها الشعب الفلسطيني عامّة ، وكانت تعيشها مدينة جنين خاصة كالعملية المزدوجة للشهيدين يوسف سويطات ونضال الجبالي التي جاءت عندما كانت الدبابات تطوق مدينة جنين ومخيمها ، وبعد مجزرة بيت ريما .

في هذا الوقت ايضا اتت العملية المزدوجة في العفولة للشهيدين ؛ مصطفى أبو سريّة ، وعبد الكريم أبو ناعسة ، والتي كانت مشتركة بين سرايا القدس وكتائب شهداء الأقصى ، لتضع العلاقات الوطنية البينية في منطقة جنين على صعيد متقدم ، وكان يقف خلفها بجدارة الحاج علي الصفوري من السرايا وعبد الكريم عويس من كتائب الأقصى ...

جاءت هذه العملية لتنقل العلاقات الوطنية الداخلية إلى موقع متقدم جدا ، ولتترك اثرا في سائر مدن الوطن المحتل وقراه ومخيماته ن ولتضع البيان – الفتنة – وما رافقه في موقع الماضي الذي لا يودّ أحد أن يتذكّره باستثناء أصحاب النوايا السيئة ، والذين اثبتت الأيام انهم جعلوا أنفسهم في عزلة لا يحسدون عليها ، فيما ابتعد بعضهم عن مثل هذا الموقع البائس ...

ثانيهما : قررت السلطة كسر شوكة الجهاد الإسلامي في منطقة جنين ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وخاصة أن رهانها على الأمريكان كان ما زال يعشعش في الصدور الخاوية غلاً من أوهام أكثر خواء ، وكان هؤلاء يضغطون ، ويؤجج الذعر والشعور بأن الزمن يتجاوزهم ، وقائع المقاومة ونجاحاتها ، وكان الأمريكان قد قدّموا مجموعة من أسماء قيادي سرايا القدس في منطقة جنين ضمن الأسماء الأولى في قائمة مطالبهم من السلطة وكان أول الأسماء – كما أعلن الصهاينة دوما – محمود طوالبة ...

(٣-٣) : محمود خلف قضبان الأمن الوقائي :

وبلغت هذه الحملة ذروتها بخدعة قبيحة ، لكنّها مع الأسف مرّت ، وكان سيناريو الخديعة أن يتوجه لمحمود بعض الأشخاص الذين بينه وبينهم ما يجعله يثق بهم وهم من نفس الجهاز الذي اعتقله ، هؤلاء يدّعون أنّ (خافير سولانا) ممثل الإتحاد الأوروبي في الشرق الأوسط سيأتي لمقابلة محمود في السجن

ليتأكد من انه سجين فعلا وهم يرجون من محمود أن يتعاون معهم في رفع الحرج عنهم من خلال البروز أمام سولانا كسجين ثم بعد ساعة أو ساعتين يذهب حيث يشاء ، في البداية كانوا يتحدثون أن مكان اللقاء مدينة جنين ، ثم ادّعوا أن الرجل لا يستطيع المجيء لانشغاله ، وأن المكان سيكون نابلس ...

عندما وصلوا إلى نابلس أبلغوا محموداً أنه معتقل ، وأن جهازهم سيوفر له شقة مريحة في إحدى العمارات ليقيم فيها تحت حراستهم !! ، فقال لهم : بإمكانكم أن تعتقلوني فقط بالقوة ، أما أن أعطي موافقتي على الاعتقال فهذا ما لن يكون ، وبالفعل تمّ اعتقاله ، ووضع في سجن الوقائي في غرفة واحدة مع القائد القرآني أيمن دراغمة ...

سرى خبر الاعتقال بين الناس ، فبدأ الجو بالاحتقان ، وأخذ يغلي قليلا قليلا ، ومع مغرب ذلك اليوم الموافق لتاريخ ١٤ / ١١/ ٢٠٠١م ، كانت الجماهير التي احتشدت حول مسجد مخيم جنين الكبير تنطلق هادرة وغاضبة نحو المدينة ، اصطدمت باحد مقرات الأمن الوطني ، لكنها واصلت المسير المتأجج إلى أن حاصرت مقرّ الأمن الوقائي المحاذي للمسجد الصغير في المدينة ، علت الهتافات والشعارات المهاجمة لهذا الجهاز وقائده ، وكلما شعر المتظاهرون أنه لا يوجد توجّه جاد لحل المشكلة كانت الحالة تزداد اشتعالا واضطراما ، فأحرقت السيارات والمركبات الخاصة بجهاز الأمن الوقائي وقذفت الأكواع باتجاه المقر لتتساقط عليه كالمطر ، حينها حاول بعض وجوه الخير المعروفة على مستوى المدينة والمخيم احتواء الغضب الجماهيري كي لا يتحول إلى عنف ماديّ ، وحصل اجتماع للجنة القوى الإسلامية والوطنية ، لكن الوضع استمر هائجا طوال الليل ،ومجدداً تدخل اخوة من فصائل عديدة لكن أخا الشيخ محمود هو الذي أمسك الامور جيداً ، حين راح يشكر الجماهير المحتشدة ، ويطلب منها العودة إلى المنازل على أمل أن تتحقق الوعود التي أطلقها بعض مسؤولي السلطة عبر الهواتف ...

في اليوم التالي ، وبعد أن تبين أن تلك الوعود فارغة ولم يُر منها شيء عاد الغليان مرة ثانية ليستمر بهذا الهدير والتأجج إلى نهاية اليوم الثالث ... أثناء ذلك انعقدت جلسات أخرى للجنة القوى الإسلامية والوطنية في منطقة جنين ، إذ كانت مظاهر الاحتقان والغليان ما زالت قائمة ، قدمت حركة الجهاد

الإسلامي طرحامفاده أن تكون القوى الإسلامية والوطنية في مقدمة حركة الشارع لتمتلك مشروعية قيادتها وتوجيهها بعيدا عن مخاطر الانفجار غير المحسوب ، وقد شارك الرفاق في الديمقراطية الرأي أن من حق الشارع أن يكون حاضرا وأن يقول كلمته ، لكنّ الآخرين كانت مواقفهم تتفاوت بين وجوب المطالبة بالإفراج عن الشيخ عبر الفاكسات والتلفونات والاقتصار على ذلك فيما كان آخرون يرون أن دور اللجنة ينبغي ان يقتصر على حدود مطالبة الشارع بالسكون والدعة !!.

وكان أن انتقلت المبادرة إلى يد لجنة القوى الإسلامية والوطنية في مخيم جنين، والتي امتلكت مؤهلات عديدة أفضل من السابقة هيأتها بجدارة لقيادة مسيرات الاحتجاج ومظاهره ، ووضعت برنامجا ينظم حركة الاحتجاج، وينمّي إمكانيات استمرارها ، وكانت الفعالية الأولى ضمن هذا البرنامج مظاهرة حاشدة تبدأ من مسجد مخيم جنين الكبير وتنتهي عند الدوّار الرئيسي للمدينة مرورا بمقر الوقائي .

كانت بعض الشخصيات التي تقود أجهزة السلطة في جنين تريد التصدي لحركة الشارع بالقمع حتى لو كان دموياً فاستنفرت أجهزتها ، وتم تكليف الأمن الوطني والشرطة بحراسة مقر الوقائي ، ففوجيء هؤلاء بالأطفال الذين يتقدمون المسيرة رافعين لافتات تحمل عبارة تقول : (حرمة الاعتقال السياسي تساوي فريضة الوحدة) .

فوجيء هؤلاء بالأطفال يوزعون الورود على أفراد الامن الوطني والشرطة المنتشرين في الشوارع ، فاسترخى هؤلاء الذين حُرّضوا ليقمعوا وينكلوا ، وفُوّتت على أولئك أغراضهم وما كانوا يبتغون، وختمت المسيرة بكلمة للقوى الإسلامية والوطنية التي طالبت الجماهير بالتفرق إلى بيوتهم واماكنهم مشكورين ، فما كان من الناس إلا أن توجهوا لمقرّ الوقائي ، يدفعهم الغضب العارم على استمرار احتجاز الشيخ محمود ، غير ان القائمن على المسيرة تمكنوا من احتواء الموقف فلم يصل الى حد الانفجار ...

استمرت المسيرات والتظاهرات وسائر الفعاليات بعد ذلك على مدى أسابيع متعددة خاصة أيام الجمع ...

(٣-٣-١) : الامين العام يرشد ويوجه:

كان الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين يتابع الأحداث بشكل مباشر فكتب الرسالة التالية مرشداً وموجهاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخوة الأعزاء في جنين القسام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أدعو الله سبحانه وتعالى أن تصلكم هذه الرسالة وأنتم جميعا بخير وفي حفظ الله ورعايته . .

ما حدث بالأمس كان عظيماً . . وفيه الخير الكبير للإسلام وفلسطين والجهاد إن شاء الله . هذا هو طريق الأنبياء . . طريق الابتلاء : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

وفي ضوء هذه التطورات المهمة والخطيرة أود أن ألفت انتباهكم إلى الملاحظات الموجزة التالية :

١ - إننا نخوض معركة شرسة وطويلة ومعقدة ، وهي بحاجة إلى درجة عالية من الإيمان ، والحكمة، والصبر ، وطول النفس ، والتواضع والمرونة المحسوبة بدقة في ظل التواصل والحوار مع كافة القوى والأطراف .

٢ - أياً كانت نوايا السلطة في اعتقال الأخ محمود ، أي سواء كانت لمجرد إرضاء اليهود والأمريكيين، أو السيطرة عليه تمهيدا لتصفيته ، أو حمايته من الاغتيال كما تزعم بحديثها الموجه للشارع الفلسطيني ، فإن ما حدث بالأمس سيزيد من إلحاح الصهاينة وإصرارهم على اعتقال الأخ أو اغتياله ، أي سيصبح مطلوباً حياً أو ميتاً أكثر من أي وقت مضى .

٣-إذا أقدمت السلطة على الإفراج عنه تحت ضغط الشارع ، فثقوا تماما أن تصفيته (على يد إسرائيل) ستصبح مطلبا وتحديا للسلطة ستدخل من أجله سباقا مع الزمن ، على الأقل لتثبت للناس انهم كانوا مخطئين حين ثاروا مطالبين بالإفراج عنه ، وأنه لو بقي في السجن لكان أكثر أمناً وأقل عرضة للاغتيال.

٤-هذا لا يبرر أن نقبل بمبدأ الاعتقال على يد السلطة لأننا لا نضمن كيف يمكن أن تتطور الأمور في سجونهم حسب تطور موقفهم الذي يسير نحو الأسوأ كما هو واضح .

٥ - بناء على ذلك ، إذا أقدمت السلطة على الإفراج عنه اليوم أو خلال الأيام القادمة ، فيجب الانتباه إلى أن لا يطلق سراحه في نابلس ، إذا كان فعلا معتقلا هناك . لأن إطلاق سراحه هناك وتركه للانتقال إلى جنين على مسؤوليته ، يعني حتما نصب فخ له لاصطياده ، إما بالاعتقال أو الاغتيال-لا سمح الله- فيجب الإصرار على إطلاق سراحه في جنين وتأمين وصوله بواسطة السلطة التي اعتقلته إلى قلب مخيم

جنين ، وأي خلل يحدث في ذلك تتحمل السلطة وجهاز الأمن الوقائي المسؤولية الكاملة عنه .

٦-إذا تم الإفراج عن الأخ محمود ، ووصل بسلامة الله إلى المخيم ، فمطلوب منكم تأمين مكان سري جدا له في المخيم ، غير المكان الذي ينزل فيه لحظة الإفراج عنه ... ومطلوب -كذلك- الحد من حركته بعد وضعه في مكان سري ، بل يجب أن يعتبر نفسه معتقلا لدى الحركة ، أي أن يعتقل نفسه بنفسه وإرادته، وما لم يحدث ذلك ، فالعواقب وخيمة ، وإصرار العدو على التخلص من المجاهدين أكبر مما تتصورون ، وإمكاناتهم المرصودة لذلك أكبر وأكبر . .

٧-لا يعني تركيزنا على قضية الأخ محمود أن نغفل الآخرين ، فيجب أن لا ننسى انفسنا فيفاجئنا العدو ونحن مستغرقون في معالجة الاعتقال بحادث اغتيال لا سمح الله لهذا الأخ أو ذاك . لذلك مطلوب من الجميع وبالذات (العريس)-يقصد ثابت المرداوي- أن يأخذ حذره . . إيماننا بالله كبير ، وقناعتنا راسخة بأن الأعمار والأرزاق بيد الله عز وجل ، ولكن لا بد من الأخذ بالأسباب ، وعدم إعطاء فرصة للعدو لتحقيق إنجازات وانتصارات سهلة على حساب إهمالنا وتقصيرنا ، فاغتيال أي مجاهد في هذه المرحلة ، لا سيما الأخوة المطلوبين الذين اصبحوا رموزا بطولية في ضمير الشعب وعقله ووجدانه ، سيشكل فاجعة للناس، وسيدخلنا في محنة شديدة لا سيما أن الأمور تتجه إلى أوضاع وظروف قد لا تسمح لنا بالثأر والرد الموجع كما كان الحال في السابق .

أخوكم أبو عبدالله

١٥/ ١١/ ٢٠٠١م

(٣-٣-٢) : الحملة الظالمة تدخل طور المؤامرة القذرة

لم يقتصر الأمر على اعتقال الشيخ محمو،د بل بدأت الحملة تتسع بشراسة خاصة بعد العملية الاستشهادية التي نفذها الشيخ سامر شواهنه قرب معسكر (٨٠) ، لتختم بما يشبه السعار المجنون في محاولة لخلق فتنة دامية في المخيم .

إنهم يغازلون أنطوني زيني :

كان السيناريو هذه المرة ينطلق من استغلال اختفاء أحد شباب المخيم في ظروف مريبة لتدّعي بعض الأجهزة أنّ هذا الشاب لدى الجهاد الإسلامي ، وتمت إثارة عائلته للوقيعة بينها وبين عائلة أخرى من المخيم ، في نفس الوقت كانت الأجهزة قد حشدت أعدادا كبيرة من عناصرها لدخول المخيم تحت حجة فض الاشتباك بين العائلتين ، ومن ثم تقوم بالسيطرة على المخيم وقواه . لكن قيادي الجهاد الإسلامي ومعهم العديد من وجوه الخير كانوا قد انتبهوا لما يدبّر ، فبادروا الى جمع وجوه العائلتين ببعضهم البعض ، وأصدرت حركة الجهاد الإسلامي بيانا يؤكد – بوضوح – أن لا صلة للحركة باختفاء الشاب ، وجرى اتصال بين الشيخ (أبي القسام) وبين مسؤول في أحد الأجهزة كاشفه فيه بان الحركة ستصدر بيانا تحدد فيه أسماءً معينة من المحسوبين على هذا الجهاز تقف خلف الموضوع إذا ما واصل هذا الجهاز إخفاء الشاب وإثارة الفتنة ...

هذه الخطوات جعلت من أعدّوا للسيناريو السالف يقفزون عنه لتبدأ الأعداد الكبيرة التي حشدوها هجوما عنيفا على المخيم ، فتصدى لهم الشباب والأشبال ، وبادر عبد الكريم السعدي (نجل الشيخ بسام وشهيد السرايا بعد عدة شهور) بمهاجمة دبابة إسرائيلية كانت تشارك بحصار المخيم ، فأربك هذا الاشتباك أولئك الذين يهاجمون المخيم إذ خافوا أن يظهروا كأنهم يقاومون الجيش الإسرائيلي !!.

تراجعت الأعداد الكبيرة المحشودة لمحاربة أهلها مذعورة أمام هبّة المخيم الذي أصيب ثلاثة من فتيانه ، أحدهم أدّت إصابته الى شللٍ نصفي !!.

كانت هذه الحملة ضد المخيم قد تزامنت مع زيارة أنطوني زيني لتكون غزلاً دموياً مع الشيطان الأمريكي ... !!

في اليوم التالي أصدرت القوى الإسلامية والوطنية في المخيم بيانا شديدا يهاجم من تولّوا كبر الحملة الظالمة على الأهل من أجل أن تقرّ عينُ (الغريب العدو) ، ووقّع البيان باسم (تحالف القوى الإسلامية والوطنية للدفاع عن الشرفاء والمقاومين) .

(٣-٣-٣) : سجن نابلس المركزي... ملتقى الأحرار :

مع نهاية هذه الحملة الفاجرة كان قد تجمّع في أحد أقسام سجن نابلس المركزي الموجود في مبنى المقاطعة من خيرة مطاردي الجهاد الإسلامي في منطقة جنين أيمن دراغمه ومحمود طوالبه ومحمد ياسين، وعلى بعد –ربما– أقل من عشرين مترا منهم، كان يقبع الحاج علي الصفوري ، فيما كان محمد أبو طبيخ سجينا في أحد سجون السلطة في جنين ...

في أحد الأيام أسرّ بعض حراس السجن للشهيد محمد العانيني أنه وصلتهم توجيهات بأن لا يتصدّوا لقوات العدو إن هي اقتحمت السجن ... وفي مثل هذه الأجواء كان الحاج علي يخرج إلى ساحة محددة للفسحة بحراسة ما يقارب عشرة عناصر من جهاز الأمن الوطني ، وفي إحدى الليالي كان صوت طائرة من نوع F١٦ يدوّي في سماء المقاطعة ، اقترح الحاج علي على ضابط الأمن الوطني المشرف على وحدة الحراسة تلك أن يغيّر جنوده مواقعهم ، وأن يبتعد الحاج أيضاً عن هذا الموقع ، وكانوا جميعاً يجلسون على (مصطبة) بئر مياه في تلك الساحة ، اقتنع الضابط بكلامه ، وبعد قليل كان دويّ انفجار هائل يصخّ الاسماع، ويصيب المكان الذي جلسوا فيه بالضبط ، أصيب بعضهم إصابات خفيفة ، كتب الله النجاة للجميع من القتل إذ ذاك، ومن الأسر ايضاً .

تسلّق محمد ياسين جدارا وقفز خارجاً ، ولحق به من نفس المكان أيمن ، وتسلّق محمود باب القسم وقفز خارجاً ، ولحق به آخرون ، جرحت يده لكنّه حصل وإخوته على حريتهم التي تاقوا لها كثيراً ، وتماماً مثل ذلك تمكّن الحاج علي من الإفلات، واتصل من فوره بناصر عويس أحد قادة كتائب شهداء الأقصى ، فبعث له بسيارة نقلته إلى مخيم بلاطة ...

(٣-٤) : وعاد فرسان الجهاد :

في صباح اليوم التالي كان أيمن دراغمه ومحمد ياسين في مخيّم جنين ، وبعد يومين وصل الحاج علي الصفوري، وأُطلِق الرصاص تكريما لهم ، وبعد أيام وصل محمود طوالبة الذي ما إن أطلّ حتى التفّ الناس

حوله، وحملوه، وتحوّل الحشد إلى مسيرة حاشدة ، وبدأ إطلاق النار، كما انطلقت الحناجر بالهتاف ... لتبدأ مرحلة جديدة أخذت تطفو على سطحها تهديدات العدو ووعيده ، وفي مقابل ذلك كانت تتشكّل تطوّرات جديدة على ساحة المقاومة ...

(٣-٥) : عودة إلى الوراء ... المطاردة ومحاورة الأهل:

تقول زوجة محمود :(لعدّة شهور خلال الانتفاضة حرص محمود على عدم الظهور العلني ، وتابع نشاطه السري دون علمي ، بل لم يكن يشارك بالمسيرات حتى فوجئنا جميعا بالعدو ينشر خبراً مفاده أن (محمود طوالبة) مسؤول الجهاد الإسلامي يجنّد منتحرين لتنفيذ عمليات في إسرائيل ، وذلك بعد اعتقال شاب من الهاشمية خلال محاولته تفجير نفسه قرب العفولة ، وفي التحقيق معه اعترف أن الذي جنّده لسرايا القدس، ودرّبه، وسلّمه حزاما ناسفا هو محمود . لم يعلق محمود على ذلك ، ولكن شكله وتحركاته تغيرت، وخاصة أن وسائل الإعلام بدأت تردد اسمه كثيراً ، وأجهزة الأمن الصهيوني وضعت اسمه على رأس قائمة المطلوبين ...

أصبح يتحرك كثيرا ، وكل يوم أشاهده مع ناس جدد ، ولأن غرفتنا معزولة عن باقي البيت لم يكن من السهل معرفة الأشخاص الذين يأتون إليه ، ولكن بيته بقي مفتوحا ليل نهار يستقبل ويودّع ويقرأ القرآن ويتلو الأحاديث وقصص الجهاد) .

(أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) : أما كيف تصرّف بعد أن أصبح مطارداً ؟

فتجيب زوجته، بعد أن حدّقت في صورته وابتسمت: عندما نشروا اسم محمود وثابت المرداوي في التلفزيون والصحف، وأتذكر تلك اللحظة، كنت اجلس أنا ومحمود نتابع التلفزيون عندما قال المذيع أن طوالبه ومرداوي اخطر مطلوبي الجهاد الإسلامي لإسرائيل، فضحك طويلا، فقلت له بغضب: (بيقولوا عنك مطلوب رقم واحد وبتضحك ؟ !) فقال : (رقم واحد والا ألف، لن يقصّروا عمري، وشارون ضعيف ولن يغير في قدري ومصيري شيئاً ، فلا يوجد شخص يموت وناقص من عمره ساعة واحدة) ،

وردّد :(أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) ، بعد ذلك تغيّر نهج حياته ، بدأ يمارس دوره الجهادي علناً ، ورفض الحياة مختبئاً وهارباً ، وأصرّ على مواصلة المعركة والحياة مع أسرته فكان ينام في البيت .

قبل ذلك لم نكن نعلم أنه يصنع أسلحة وأكواعاً ومتفجرات ، ولكن كان قد صنع خرطوشاً قبل أن يصبح مطارداً ، كان ذلك في بيتنا ، لم أشاهده وهو يصنعه ، ولكن عندما عدت من السوق وجدته يعبىء مادة غريبة سالت على الأرض فخربت الموكيت والسجاد ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : خرطوش ، فبكيت وقلت له : حرام ، خرّبت الدار به ، فضحك وقال لي : اصبري فالله سيعوّضك خيراً منه .)

بدأ محمود يواجه ضغوطات من أهله الذين خافوا عليه ، وخشوا أن يصيبه أيّ مكروه ، تذكر زوجته : (عندما علمت أن محموداً ترك العمل وبدأ يتدرب على السلاح ويصنع الأكواع قلقت عليه وخفت ، وبدأت بمجادلته وطلبت منه التوقف عن ذلك ، فقال لي : اقرئي القرآن جزءاً جزءاً ، ستكتشفي مدى أهمية كلمة الجهاد وعظمتها ، إنه فرض . . ففعلت ، قرأت القرآن والأحاديث واستمعت لأحاديثه ، فبدأت نفسيتي تتغير ومعارضتي تقل ، ولكن في أحد الأيام قلت له : يا محمود إذا استشهدت أمك ستموت فلماذا تؤلمها وتؤلمنا ، فكان يقول : الله سيصبرها ويصبركم ، إنني أريد أن أقابل الله بوجه حسن مجاهداً ، فقلت له : إن شاء الله .

وتغير موقف الزوجة بعد محاوراتها لزوجها ومعاينتها لإصراره على طلب الشهادة ، فتقول رداً على سؤالنا :

(أجل تمنيت له الشهادة من قلبي ، وباركتها له من كثرة ما شاهدته يريدها ، اعرف الكثيرين ممن يمسّكون على الحياة بأرواحهم وأيديهم ، ويكرهون ساعة الموت والفراق ، أما محمود فكان مختلفا ، يبكي في سبيل الشهادة ، يصلّي للقاء ربّه ، يجاهد لنيل المكانة العالية ، محمود كانت حياته الشهادة ، يقول لي دوماً : عندما يشنّ العدو هجومه على المخيم لا أريد الحياة ، سأقاوم ، وأجاهد ، وأقاتلهم ، لأنه لا يموت أحد ناقص من عمره ساعة ، ويستدل لذلك بمجموعة من الآيات والأحاديث ، هذا الحب وتلك العظمة التي مثّلها

زوجي جعلتني أدعو الله بصدق أن يحقق أمنيته، وقد باركت له بالشهادة) .

مثل هذه التجربة تكررت مع والدته التي تروي: في بداية مطاردته لأجهزة الأمن الصهيونية كنت أخاف عليه كثيراً من الاغتيال، وعندما أقول له: يا ابني اترك . هالطريق مش إلنا ، إحنا فقرا ، وخلّينا نعيش على قد حالنا وبس ، وليش أولاد الأغنياء ما يقاتلوا ويحرروها ؟ ! ! ، كان يغضب ويقول لي : لا دخل لنا بالآخرين ، فالله خلق لكل فرد عقلا يمكنه أن يفكّر ويتدبر به ، ونحن نريد الآخرة والشهادة في سبيل الله . وعندما أقول : إن قول ابنتك دعاء لك كلمة بابا أحسن من كل الدنيا ، كان يقول : نعم ، ولكن الله فوق الجميع وهو خلقنا ويسير حالنا وسواء أعشت أو استشهدت فهو يتولى دعاء ووالدتها وأنت وعائلة كل شهيد .

وكل مره أجادله وأناقشه محاولة إقناعه بتغيير حياته ووضعه وترك خيار الجهاد كان يقنعني بالآيات القرآنية عندما أطلب منه ذلك ، فاحزن ، ولكنّه كان يقول : لا تحزني فهو قلب الأم الذي وضع الله فيه كل أشكال المحبة والرحمة ، ومن يوم ليوم تغيّر حديثي وتغيرت حياتي وآمنت بكلّ كلمة يقولها فباركت له الشهادة منذ فترة طويلة وشعرت أنه ليس ابن عيشة أو حياة بل سيرحل قريبا ونفقده في أية لحظة ، وفي الفترة الأخيرة عندما كان يطلب مني الدعاء له بالشهادة لا أتردد البتة بذلك ، بل أقول بفخر وإيمان :(اللهم أكرمه بالشهادة) .

وتتذكر أنه خلال مطاردته كان محمود يصنع أكواعاً وعبوات فطلبت منه الحذر والتراجع عن طريقه واستبدالها ببناء جامع ولكنه قال لي : لا يمكن أن يسدّ ذلك عن الشهادة ومكرمتها ، فأقنعني وأصبحت أتمنى أن يعلمني تصنيع السلاح لمقاتلة العدو معه.

(٣-٦) : حوار حول زر التفجير :

في أحيان كثيرة كان يبكي عندما يتذكر رفاقه الاستشهاديين ، ويتحدث عن كراماتهم ومنزلتهم ، ويدعو طويلا أن يرزقه الله لشهادة ، وفي إحدى المرات قلت له : أليس صعباً على الشخص أن يفجر نفسه، الله يجبر الشهيد على الانفجار ، فضحك، وقال لي : هنيئاً له الجنة ، فطريقه معبّدة بالنور والنوّار

لأنه حبيب الله وسيقابله ، وعندما يفجّر زر الحزام الناسف لا يتردد أو يشعر بالألم فلا يرى إلا الجنة ولا يشاهد سوى الملائكة تستقبله وتحتفي به .

بدأت أشجع محموداً على القتال والجهاد ، وانتهى أي شعور بالخوف أو الرعب أو الرهبة ، خاصة بعدما سمعت القصص التي تتحدث عن بطولاته ومقاومته الشجاعة والباسلة ، ولم أطلب منه تسليم نفسه أو الاستسلام رغم خوفي الشديد عليه فقد أسلمته لله .

(٣-٧) : شطب من قاموسه : إسرائيل والجبن والهرب :-

كان محمود خلال المطاردة كما وصفه شقيقه محمد مجاهداً صلباً من نوع آخر ، لم يكن يعتقد أو يؤمن بقضية المستحيل أو اللا ممكن ، وشطب من قاموسه كلمات الخوف وإسرائيل والجبن والهرب ، وآمن بنهج الله وبقوله تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

خلال مطاردته كثر الحديث عن تهديدات العدو باغتياله ، فكان الشبان والأهالي يخافون عليه كثيراً ، ولكن عندما كان يتحدث أحدهم عن الموت يحذره منه ، يغضب ويقول : لا مجال فهو قضاء الله وقدره لا يؤخر ولا يؤجل ، سأموت سواءٌ أكان ذلك في مغارة أم مطارداً أم في سيارة ، فهذا قدر الله) .

ويقول والده : (عندما علمت أنه مطلوب طلبت منه الحذر ، فقال لي : كل فلسطيني مطلوب للعدو ، وعلينا أن نقاتل ونجاهد ونقاوم ، والله معنا ، وعندما لمست روح الإصرار والتحدّي لديه تركته ولم أراجعه مرة أخرى ، وكان قلبي ولساني يدعوان له بالسلامة والتوفيق والنصر ...

محمود – دوماً – كان يتحدّث عن الشهادة ، ويتلو علينا السور القرآنية والأحاديث النبوية التي تحثّ على الجهاد ، وتبرز مكرمة الشهيد ومنزلته الكبرى ، فسمعته عدة مرات يدعو الله أن يرزقه إياها . كان زاهداً في الدنيا ، ويوزّع المواد التموينية على الجميع إلا على بيته ، وعندما يحضر رفاقه بعض المساعدات لأسرته يرفضها رغم أن وضعها لا يختلف عن باقي الأسر ورغم حاجتها الماسة كان يحملها ويوزّعها على المحتاجين .

(٣-٨) : محمود يرسل شقيقه لتنفيذ عملية استشهادية :

رغب مراد طوالبه أن ينفذ عملية استشهادية ، فعرض ذلك على أخيه محمود ، فسارع إلى تجهيزه وإعداده وتسليمه من ثم إلى القائد الشهيد محمد ياسين الذي نقله بمساعدة الشهيد مصطفى ياسين إلى حيفا . . . لم يكتب لهذه العملية النجاح ، وتم الحكم على مراد بالسجن الفعلي لمدة ثلاثة عشر عاماً ، ومراد ليس الوحيد من أشقاء محمود في السجن بل-أيضاً-رائد ومحمد وعلاء . . . لكنها كانت اختباراً قاسياً لصدق محمود وإخلاصه، كما ألقمت حجراً لكل من درج لسانه - ولعاً بالعدو - على مهاجمة القادة الذين يرسلون الاستشهاديين ...

وكما يقول والد محمود : فقد برز مدى حب محمود لشعبه وإيمانه بقضيته وبالجهاد عندما أرسل أخاه مراداً لتنفيذ عملية استشهادية داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م . ويواصل هذا الوالد الكشف عن معدن ابنه، فيقول: عندما سألته كيف ترسل أخاك ؟ ! خاطبني قائلا : أخي ككل فلسطيني طلب الشهادة والجنة ، ولم أكن ابنك لو حرمته منها ، لذلك انطلق بعد أن ودّعني، ولكن مشيئة الله كانت أن يكتشف أمره، ويعتقل في حيفا .

وحول نفس الموضوع تقول والدته : إيمانه وعظمته جعلاه لا يتورع لحظة عن التضحية بالغالي والنفيس في سبيل القضية والوطن حتى أنه فخّخ شقيقه مراداً وأرسله لتنفيذ عملية استشهادية ، فاختار يوم خطبة شقيقيْه وقد أخفى عنا الأمر ، وبعد الخطبة أبلغنا أن مراداً اعتقل ، وكان حزيناً لفشل العملية ولكن عندما سألته كيف تقبل أن تفرّط باخيك ؟ ! ضحك وقال : مثله مثل جميع شباب فلسطين ، مجاهد يطلب الشهادة التي لا يوجد شيء يوازيها ولكن قضاء الله وقدره.

وفي نفس السياق تقول زوجته : لم أفاجأ عندما علمت أن محموداً أرسل شقيقه لتنفيذ عملية استشهادية ، فقد كان محمود مقتنعاً كثيرا بعظم رسالته ، ومثلما جهّز نفسه للشهادة لم يتأخر في تجنيد شقيقه ، وعندما اعتقل مراد ، ولم يستشهد ، بكى محمود بشدّة ، وزعل ، وسمعته يقول : كنت أتمنى له الشهادة لأن أجر الشهيد ورتبته عند الله كبيرة وعالية ، وعندما سألته : يا محمود كيف تتجرأ وترسل

أخاك للاستشهاد ؟ ! قال لي : إنه شاب فلسطيني مجاهد لا يختلف عني وعن أي مجاهد ، ولأنه مؤمن بالله وبرسالة الجهاد تطوّع للاستشهاد وتأدية الواجب ، صحيح أنه أخي ، ولكن القضية أكبر ، وأعظم وأهم ، مطلوب مني ومنك ومن كل فرد أن يجاهد ، وعندما طلب مني مراد تفخيخه فرحت كثيراً وعانقته وعبّرت عن سعادتي واعتزازي به ، وتعاملت معه ككل استشهادي مع محبة لا توصف لأن أخي يسير في دربي . لم أتردد أو أحاول تغيير رأيه بل شجّعته ، وتحدّثت له عن مكرمة الشهيد فبكى ، وانطلق الى حيفا راجياً لقاء ربّه ومعاقبة عدوّه والثأر لشهدائنا ولكن إرادة الله هي الأكبر ، فاعتقلوه ، اكتشف أمره قبل تنفيذ العملية.

وتواصل زوجة محمود : ذاع صيت محمود بعد إرسال شقيقه لتنفيذ عملية استشهادية ، وزاد حب الجميع وتقديرهم له ، وخاصة أن بعض المتسلّقين والأذناب للعدوّ كانوا يحاولون تشويه صورة المجاهدين الذين يقفون خلف العمليات ، وبعضهم يقول : لماذا لا يرسلون أبناءهم وأهاليهم للعمليات ، فجاءت عملية مراد لتخرس ألسنتهم وتؤكد أن العظماء كمحمود لا يعملون إلا وفق مصلحة شعبنا . .

الفصل الرابع

في سجون الظالمين

«شهادات تكشف جوانب مهمة من شخصية الشيخ محمود اثناء اعتقاله في سجون السلطة»

وضع محمود في سجن جنيد مع رفيق الجهاد أيمن دراغمه في غرفة واحدة، وبقيا فيها فترة من الزمن، كانا خلالها يتذاكران كتاب الله سبحانه، حيث كان أيمن يراجع -يومياً- خمسة أجزاء حتى لا ينسى شيئاً من القرآن الذي حفظه كاملاً في سجون الصهاينة، كما كانا -أيضاً- يتباحثان في أمور الجهاد، ويراجعان معاً ما عرفا من تجارب ...

(٤-١) : الشهادة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على قائد المجاهدين محمد بن عبد الله وبعد :

لكأن محموداً المعتقل والسجين هو محمود القائد والمجاهد والشهيد الشامخ كالجبال أينما وطئت قدماه.

عرفته عندما ساقتني الأقدار على يد الظالمين إلى سجن نابلس المركزي ، كان محمود لما يأت بعد ، فما زال في سجن الجنيد مع إخوة له ، لكني كنت قد سمعت عنه كثيرا من وسائل الإعلام ومن قصص البطولة التي يرويها عنه من عرفه ، وفي ليلة مباركة في ساعة متأخرة منها ، دخل علينا رجلان يحيط بهما مجموعة من عناصر الشرطة، ولم يكن أحد بحاجة إلى فراسة كي يعرف انهما محمود طوالبة وأيمن دراغمة؛ وجهان كوجه الإيمان، ونظرات مليئة بالرجولة، وحركة توميء بالقدر العظيم الذي حباهما الله إياه، حتى لباس محمود كان يحكي قصة جنرال (كما أسماه الأعداء) ؛ حذاء عسكري وبسطار وبنطال عسكري وقميص كاكي أي لون لباس العساكر ...

كنا لم ننم بعد ، فالطائرات تحوم بالقرب من المقاطعة ، والقلق باد على محيّانا جميعا باستثناء اثنين دخلا قبل قليل ، إذا التفتّ إليهما لا ترى إلا بسمة تعلو القسمات رضاً بقدر الله وقضائه ، فعرفت عندها أن لله خلقا هم عباد له تحت كل ظرف .

ناما ، ونمنا جميعا بعد ليلة خرق صمتها أزيز الطائرات، ولماأصبحنا أخذ الأخوان يحيطون بهما ويتعرفون عليهما ، ويبادلونهما السلام، وهما يفعلان الشيء نفسه ...

(٤-١-١) : الصلاة مع الجنائيين :

كان محمود يتحدث بتواضع قلّما تجد له نظيراً ، ولتواضع محمود داخل السجن قصص يطول الحديث

عنها ، ولكن إذا أردنا أن نختار قصصا ومآثر أسرد تلك الواقعة التي كنت طرفاً فيها ، وتركت في نفسي أثرا عظيما ، فلما كان عددنا لا يتجاوز العشرين ثار جدل بين المعتقلين حول صلاة الجمعة ، هل نصليها منفصلين داخل الغرفة أم نصليها مع الجنائيين في ساحة السجن ، وكان محمود ممن تحمّس للصلاة مع الجنائيين ومخالطتهم ، وكنت قد شرعت في ذم الجنائيين بأشدّ الأوصاف إيلاما ، الأمر الذي آلم محموداً فاخذ يدافع عن إنسانيتهم ، ويتحدث عن الواجب الشرعي الذي يفرض على المسلم الداعية أن يبذل كل جهد مستطاع لانتشال هؤلاء الغرقى ليكونوا إخوانا لك في الدين ، عندها عرفت ذلك السر الذي من خلاله أسر محمود القلوب ، لقد كان ينظر إلى البشر على أنهم صنفان –كما قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه– أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) .

وأما مآثر محمود فما أكثرها ولكنّ اثنتين منها تكفي ليعلم الجميع عمق العطاء والتضحية ، ففي ليلة اشتد فيها البرد القارس كان الأخوة يتدثرون بما وفرته لهم إدارة السجن من بطانيات مهترئة ، وكان محمود قد أهدي له غطاء للنوم من النوع الفاخر من أحد أصدقائه في الخارج ، فنظر في هذه الليلة الباردة إلى أحد إخوانه وقد ارتعدت أوصاله من البرد فما كان من محمود إلا أن ألقى بغطائه الفاخر على هذا الأخ، وأقسم عليه محمود ألا يعيده ، واكتفى هو بالبطانية ولما سئل محمود لماذا فعلت ذلك أجاب بلسانه الرطب :(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

لك الله يا محمود ، أين أهل الثراء منك ؟ أين الذين ملكوا الدراهم والدنانير ، فلقد كنت من المنفقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (سبق درهم مائة ألف درهم) .

وفي أحد الأيام ادّعت إدارة السجن أن الصهاينة أبلغوا السلطة أن محموداً يتصل بالخارج بهاتف خليوي ، وطلبوا منه أن لا يفعل ، وأن لا يحرجهم مع الصهاينة والأمريكان ، وبدأ بعض الحراس يقومون بمهمة التنصت بالقرب من شبابيك الغرفة ، فسمعوا شخصا يتحدث بالبلفون ، وإذا بهم يستنفرون ، ويتكاثرون على باب الغرفة وعلى رأسهم مدير السجن ، كان الشهيد سائد الأقرع من قرية بديا من إخواننا في «حماس» هو الذي تحدث حقيقةً ، لكنهم ظنوه محموداً ، وتحدّث معهم محمود كما لو أنه هو –فعلاً– من تحدث ، فلم يكن يتحمل أن يمس أي أخ، وأن يبرأ هو أوينسحب . وبدأ مدير السجن يرغي ويزبد

ويصيح : (مائة عين تبكي ولا عين أمي تبكي) . أي أنه ليس مستعدا أن يُعاقَب نيابة عن السجناء ، وبدأوا يتحدثون أن على محمود الخروج إلى الزنازين ، وفعلا جهّز نفسه، وهمّ بالخروج، لكنّ ضغط المساجين وموقفهم منع إدارة السجن من التمادي في ذلك.

(٤-١-٢) : محمود القائد الحازم :

لم يكن محمود يسعى إلى القيادة أبداً ، ولكن إذا أسندت إليه فهو أهل لها ، ففي السجن لا بد من النظام والترتيب وإلا زادت حياة السجين بؤسا وشقاءً ، لذلك عندما تولّى مسؤولية الغرفة التي كان يقطنها مع إخوانه شدّد على ضرورة النظافة واحترام حقوق الآخرين ، فلا يتصرف السجين وكأنه وحيد في الغرفة وكان حازما في هذا الأمر مما سهل العيش وأوجد المحبة بين الأخوة .

وإذا أردنا أن نتحدث عن علاقة محمود بإدارة السجن فهي علاقة غريبة عجيبة ، فمع أن محموداً كان يجاهر الشرطة بحقيقتهم ، وان ما يقومون به ظلم وتضييق على المجاهدين ، إلا انهم رغم ذلك كانوا يظهرون له المحبة والاحترام ، ويطلبون ودّه على الدوام ، ومرة أخرى يكون محمود ممن قال فيهم رسول الله ﷺ : (إن الله إذا أحب عبدا أمر جبريل فنادى في السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه ثم يكتب له القبول في الأرض) . ومرة أخرى يكون محمود ممن قال فيهم رسول الله ﷺ :(من أرضى الناس بسخط الله سخط عليه وأسخط الناس عليه ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس) .

لله درك أبا عبدالله ، فأنت –والله– نسمةٌ وضّاءةٌ يتروّح ظلالها المتعبون والضعفاء .

وللعلم مكانة عظيمة في نفس أبي عبدالله ، فكان يحب العلم ويوقر العلماء ، فلم يترك شريطاً دينياً (خطب) إلا وحفظه عن ظهر قلب سواء كان في السنة النبوية أو الخطب أو في سيرة الصحابة وتاريخ السلف . .

لا تنظر إليه في أغلب الأحيان حتى تجده قد وضع سماعة المسجل على أذنيه يسمع القرآن وهو في حالة من التواصل مع ما يسمع ، فإذا كان الوعيد عرفت ذلك في وجهه ، وإذا كان الوعد والبشارة عرفت ذلك على شفتيه الباسمتين ، ولقد كان يجلس محمود جلسات لتلاوة القرآن وأخرى لتدارس الحديث الشريف .

وللصمت معه حكاية ، فإذا حرك لسانه عرفت من بعيد أنه يحض على الشهادة والجهاد ولهما في قلب محمود مكانة لا تدانيها مكانة .

أما الفقراء فلم يزل يتذكرهم حتى في سجنه ، اذكر في رمضان حين كان الأخوة يهدى إليهم الطعام من خارج السجن ، لأن طعام الإدارة لا يؤكل ، يومها كان يتوفر الكثير من الطعام بعد الإفطار فيلقى به إلى القمامة فإذا بمحمود حزين غاضب ، فنسأله لماذا كل هذا الغضب ؟ فيجيب قائلا : نحن نأكل ما لذّ وطاب من الطعام وما نلقيه في القمامة اكثر ، في الوقت الذي لا يجد فيه آخرون ما يسدّ رمقهم ، فوالله لقد وجدناه على هذه الحال من الاحتجاج والرفض حتى اقتصدنا فرضي . فأين القادة السّمان والمسؤولون أصحاب الكروش من أبي عبدالله ؟ ! أين أرباب الفساد المالي والإداري من خلق محمود وزهد محمود ؟ ! أين الذين سرقوا أموال هذا الشعب من حنوّ محمود على الفقراء ؟ إنهم في ملايينهم يرتعون ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولم يكن محمود يعيش في زنزانة فكرية لا يعلم ما يدور من حوله ، وإنما كان صاحب رأي سياسي لا يخلو من عمق ، وكثيرا ما تحققت قراءاته السياسية للمستقبل ، أذكر أنه كان يقول : أبشروا فإن الطائرات ستفتح لنا أبواب السجن بإذن الله وقد تحقق ذلك أثناء قصف المقاطعة ، فخرجنا ، ولم يكن للظالم علينا منّة ، وكان يقول : إن الجيش الصهيوني سيدخل إلى مناطق السلطة ويفرض هيمنته على الأرض في محاولة منه أن يكسر إرادة هذا الشعب ، ولكن أنّى له ذلك ! ! وقد كان ما توقّعه محمود رحمه الله ، فهذا هو الجنرال محمود الذي عندما يأخذ قراراته العسكرية الحاسمة يكون مدركا لأبعادها ، مدركا خفايا الحرب والسياسة .

إنه أبو عبد الله الذي يعرف أين تقف قدماه وفي أي اتجاه يسدد حربته .

رحم الله أبا عبدالله فقد كان كربلائياً * في زمن كثر فيه خفافيش الظلام وحمائم السفاح والصفاح أو بعد ذلك كله يمكن لأحد أن لا يفهم ، ورغم كل ما تقدم ، أن أبا عبدالله كان رجلا لا يعرف اين يضع قدمه او الى اين يمضي وكيف يقضي ؟ ! رغم ذلك كله ، فقد كان يجد وقتاً كافياً لرياضته ، يروح بها عن نفسه او يقوي بهاذهنه وبدنه ، لقد كان يمارس مختلف الألعاب الرياضية من كرة الطائرة وكرة القدم وكرة السلة ويتحدى إخوانه في لعبة الشطرنج وكثيرا ما يروي الطرائف .

ليلة الهروب كنا قد ضغطنا على الإدارة لتبقي أبواب الغرف مفتوحة على بعضها وكذلك أبواب القسم، لأننا كنا ننوي أن نصنع (كنافة)، وبقيت الأبواب مفتوحة حتى الساعة الواحدة حين بدأ القصف على السجن...

قبل ذلك كان هذا الموضوع تحديدا (فتح الأبواب لنستطيع الخروج إن حصل قصف) موضوع جدل شديد يثير توتراً بيننا وبين إدارة السجن التي كانت ترفض فتح الأبواب، وكان أشد ما يحزّ في النفس أن الحراس كانوا يختفون تماما من القسم، ولا نرى أحدا منهم. عندما نسمع أزيز الطائرات كنّا نعلم أنهم غادروا المقاطعة... تلك الليلة لطف الله بنا بموضوع الكنافة إذ كانت الأبواب لحظة القصف مفتوحة، فتمكّنا من الهرب جميعا ولله وحده الحمد والمنّة ...

بقيت كلمة أخيرة أقولها في أبي عبد الله، أقول إن الحديث عن أبي عبد الله حديث يطول فليس لرجل مثلي أن يقوّم مسيرة أبي عبدالله المعتقل والمجاهد والقائد والشهيد، وقبل ذلك كله أبي عبد الله الإنسان. لكن الأمر الذي أكاد أجزم به في الحديث عن محمود أن مفتاح الشخصية عند هذا الرجل الفذ هو مفتاح الشهادة، فلقد كان يبحث عن الشهادة قبل النصر وقد صارحنا بذلك، ولا أريد أن أدخل في جدليّة أيهما أحق بالسبق ولكني اورد ذلك ليكون عونا للباحث والقارىء على فهم شخصيّة ابي عبد الله وما أفرزته من احداث ومواقف قد تشكل على بعض الذين لا يفهمون منطق الشهيد.

ولا أريد بهذا الرأي أن أكون وصيّا على فكر القارىء أو الباحث وإنما هو اجتهاد، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي، وذلك حال البشر جهد فصواب أو خطأ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

التوقيع

أحد الذين عاشوا مع الشهيد في سجنه

(٤-٢) : الشهادة الثانية :

المجاهد أ. ش - طالب في جامعة النجاح :

كان القائد الشهيد محمود طوالبة ينظر للمعتقلين كأسرة واحدة بعيداً عن الحزبيّة ، ويحاول إزالة الخلافات إن طرأت ، ويتحدث على أنه ينبغي أن ننظر إلى بعضنا البعض كأخوة دون حواجز أو سدود .

وكان رغم تقسيم أدوار العمل في المطبخ والشطف وغير ذلك يعمل مع الجميع ويشارك في كل شيء .كان يقدّم المساعدات المالية لجميع من يعرف أنهم محتاجون بغض النظر عن الانتماء ، بل كان يقدم حتى للجنائيين . وكانت علاقاته الشخصية مفتوحة على الجميع ليس فقط مع السياسيين وإنما أيضا مع الجنائيين، ولا ينظر اليهم بمنطق أنه لا مجال لإصلاحهم ، وعندما يسأل كيف تختلط بهم ؟ ! كان يجيب : ربما يخرج منهم شخص أفضل منّا جميعاً . .

كان متواضعا جدا ، وإذا ما سمع من يمدحه أو يكبر من شانه ، كان يحاول أن يقلل مما يسمعه الناس عنه ، ويقول : لا يأخذكم الصيت ... كان يستغل جزءا كبيرا من وقته مع بعض الشرطة والجنائيين ، وعندما سئل عن ذلك كان يقول :(بس يومين رايحين تسمعوا أخبار طيبة) ، وقد تغيّر هؤلاء كثيرا ، كانت علاقته بهم قوية، كانوا لا يصلّون فأصبحوا يحافظون على الصلاة ...

كان إذا تحاور مع أحد ، او تحدث ، يكثر على لسانه إيراد الآيات الشريفة وأحاديث الرسول الكريم ﷺ، كان يكثر من سماع الخطب الدينية والمحاضرات المسجّلة والمواعظ ، كان يوميا يسمع شريطين ، وكان يطالع الكتب ، وقام بتشكيل حلقة للذكر كان يشرف عليها هو بنفسه وأخرى للتلاوة تحت إشرافه أيضا ، وثالثة لحفظ القرآن جعلها تحت إشراف أخ آخر ، وكان يعطي دورة في اللغة العبرية ، ويتعاون معه أخ آخر في التدريس ...

في أحد الأيام جاءته هدية من خارج السجن ، حرام صوف وملابس ، فقدمها جميعها لي، وأصرّ أنآخذها ، وكان قد لاحظ حاجتي ...

كان متضايقا من أنه مقيد لا يستطيع عمل شيء ، كان يؤذيه أن الاعتقال يمنعه من فريضة الجهاد ، ومن أجل ذلك كان يشعر بحقد خاص على الذين اعتقلوه ...

وفي إحدى المرات زارنا أعضاء من المجلس التشريعي ووجهاء من نابلس، فطلب منهم محمود طوالبة

ومحمد ياسين أن يوصلوا رسالة للأجهزة مفادها (نحن جاهدنا وناضلنا والكل يشهد لنا ، ومن يفكر أن يجعلنا ندفع ضريبة جهادنا بالسجن سنجعله يدفع الضريبة نفسها بطريقتنا) ، وطلبوا أن تصل هذه الرسالة خاصة للوقائي والمخابرات ... كان لمحمود فلسفة خاصة في التعامل مع إدارة السجن تقوم على أن العلاقة بهؤلاء ينبغي أن تظل محتدمة وأن يشعروا أنهم يمنعون المجاهدين من جهادهم وأن ولاءهم لليهود أكثر من ولائهم لشعبهم ، لم يكن يعجبه أن يتعامل السجناء مع الإدارة بمودة حتى لا يفارق السجانين شعور الذنب والجريمة التي يرتكبون ...

في أيام الزيارات كان كثيرٌ من الأشبال يزورونه ، كان يأتي لزيارته ما يقارب العشرين على دفعات في اليوم الذي يخصص للزيارة ، وكانت الإجراءات تعرقل دخولهم دفعة واحدة ، فكانوا يدخلون أفواجا ، وكان يحدثهم ويشجعهم ، وكانوا فرحين لزيارته ... كان يمازح الجميع ، ولكن عندما وصل الأمر أن اثنين من الأخوة تمازحا بأيديهما نهانا عن ذلك بشدة ... كان يكره الغرور ، وينفر عندما يسمع أحدا يكثر من مديح نفسه ، ويرائي ، أو يحب الظهور ، وكان موقفه سلبيا من هذه النوعية من الناس ... كان يحب أيمن دراغمه ، وتربطه به علاقة مميزة ووثيقة . .

كان يشعر بالغصة عندما يتذكر أنه توجه لشخص من إحدى الفصائل أيام قصة الفشل الذي حصل معه ليستشيره ببعض الأمور ليرى إن كان أخطأ أم لا ، فلم يكترث له او يتعاطى معه ، وفي الوقت نفسه ذهب شخص من تلك الجهة إلى إحدى العائلات ليحرضها ، فما كان من تلك العائلة إلا أن صدت هذا الشخص ، وبعثوا وراء محمود ، وقالوا له : إنهم يفتخرون به ، وأخبروه بما قاله ذلك الشخص عنه ... كان محمود يشعر بالسعادة عندما يتذكر موقف هذه العائلة الكريمة ، وكان يقول عن نفسه أنه مستعدٌ لمساعدة الكل من أي فصيل كان ، ويحب أن ينجح الجميع في جهادهم ومقاومتهم ، وتبرأ نفسه أن يمنع خبرة عن أحد يحتاجها على درب الجهاد والمقاومة وخدمة الشعب ...

كان -رحمه الله- متدينا جدا ، يغضبُ إذا ما شعر أن حرمات الله تمس أو تنتهك ، في إحدى المرات تحدثت بشيء من التشكيك في أحد الأشخاص ، فغضب غضبا شديدا وقال لي : (لو أجت من غيرك) ! ! وبدأ يتحدث عن حرمة الغيبة وعظمة إثمها حتى تخيلت أنه إذا كان حساب محمود هكذا فكيف حساب الله عز وجل ؟ !

الفصل الخامس
محمود يقود الصمود

هجمة الصهاينة الرابعة على المخيم

* في ٢٨/٢/٢٠٠٢ كانت الدبابات والآليات الصهيونية تتقدم لتحاصر مخيم جنين، هذه المرة كانت الحملة الصهيونية قد تقدمت خطوات إضافية عن الحملات السابقة على جنين ومخيمها، أعلن الصهاينة أنهم سيدخلون المخيم وسيعتقلون المطاردين، كانت الحملة هذه المرة ترتكز على احتلال قوات خاصة للبيوت في أطراف المخيم، والانتقال من بيت لآخر باتجاه مركز المخيم لمحاصرة المطاردين والسيطرة عليهم، ويساند هذه القوات طائرات أباتشي تطلق النار من الجو، ودباباته تسيطر على محاور المخيم على الأرض، وكل وحدة من هذه القوات يرافقها قناص أو أكثر ...

ولنترك الشيخ بسام السعدي يرسم لنا صورة الوضع في ظل هذه الحملة : بعد سلسلة من العمليات الجريئة التي قامت بها المقاومة بالرغم من الحصار المشدد على جنين ومخيمها، أيقن الصهاينة أن لا مفر من الدخول إلى المخيم ومحاولة القضاء على المقاومة وقادتها، وخاصة الشهيد طوالبة الذي كان جميع المسؤولين الصهاينة يجمعون على خطورته ...

بدأ الاستعداد للاجتياح الرابع لمخيم جنين في بداية شهر آذار من سنة ٢٠٠٢م. حيث حصن المجاهدون المخيم تحصينا جيدا على الرغم من قلة الإمكانات، وبدأوا بتجهيز العبوات الجانبية والألغام الأرضية والعبوات المقذوفة (الأكواع) بكثرة، فجهزوا آلاف الأكواع، وقد تعاونت كل الفصائل، كل حسب مقدرته المادية والفنية في هذا التجهيز.

بدأ اجتياح المخيم الرابع وقبل الأخير، حيث حاصر الصهاينة المخيم من جميع الجهات تقريبا، وكان المجاهدون قد وضعوا أكياس الرمل كمتاريس على مداخل المخيم وفي أزقته، وساند المجاهدين عشرات الصبية الذين يحملون (شنطات) مليئة بالعبوات المقذوفة (الأكواع)، وتوزع المجاهدون على جميع جهات المخيم للتصدي للعدو، ودارت المعركة حامية الوطيس؛ قصف من مدافع الدبابات وطائرات الأباتشي، اقتحام وحدات القناصة لبعض البيوت على أطراف المخيم، استمر القتال الضاري في اليوم الأول طوال

النهار حتى منتصف الليل ...

قتل عدد من الجنود في اليوم الأول ، وجرح عدد أكبر بسبب المقاومة العنيفة التي أبداها المجاهدون ، وفيما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة ذهبت لأستطلع الموقف، وكنت أسير في شارع الحدّه كأحد السكان الذين لم يشاركوا في القتال ، فقال لي الشباب أن الجنود الصهاينة باتوا يسيطرون على الجزء الغربي والجنوبي من المخيم، ولم يبق إلا شارع الحدّه وحارة الحواشين، وحارة أبو طبيخ تحت سيطرة المجاهدين.

هنالك وأمام هذا الموقف انطلقت مبادرة من بعض الأخوة من أحد الفصائل، كان رأي هؤلاء الأخوة أن الانسحاب تحت جنح الظلام أولى من الاستمرار في القتال غير المتكافىء ، كانت القوة التي اشتركت في القتال من الأمن الوطني قد انسحبت قبل ذلك بساعات ، الكثير من المقاتلين من سائر الفصائل اقتنعوا بوجهة النظر هذه فانسحبوا ، ولدى محاولة هؤلاء الأخوة إقناع الشيخ محمود ، رفض – بشكل قاطع – وقال لهم: إن الله سبحانه يقول: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا). وسنبقى –هنا في المخيم– نقاتل حتى الشهادة. وبقي مع محمود مجموعة من المجاهدين عددهم قليل لا يكاد يتجاوز أصابع اليدين، كان لصمود هؤلاء الأخوة وقع عظيم لسببين: من جهة لم يجرؤ الجنود على مواصلة الاقتحام لداخل البيوت، خاصة أن بعضهم كان قد قتل وآخرون جرحوا ، ومن جهة أخرى عندما رأى الناس محموداً يظهر على شاشة إحدى الفضائيات ، ويتحدث من داخل المخيم ، مشيراً في حديثه إلى تخاذل السلطة التي لم يعجب بعض مسؤوليها في جنين كلامه هذا ، وكانت المحطات المحلية في مدينة جنين نقلت النشرة الإخبارية عن تلك الفضائية وبثتها ، عندما رأى الناس ذلك تدافع المقاتلون باتجاه المخيم وأصروا على الصمود ...

* يضيف الشيخ بسام السعدي :

صمود طوالبة وبعض إخوانه وبعض الصبية الصغار كان له أثر معنوي كبير في اليوم التالي للمعركة، حيث عاد المجاهدون من جميع الفصائل في اليوم الثاني إلى المخيم بل زاد عددهم عن اليوم الأول ، وعاد الشيخ محمود إلى الشوارع الرئيسية ومداخل المخيم يزرع العبوات في الأرض، ويحفر بيديه؛ هو والصبية

الصغار وبعض المقاتلين الذين كانوا يحبونه كثيراً ، كان ودوداً محباً للأطفال ، دمث الخلق محبوباً من الجميع ؛ السكان والفصائل المختلفة. صمد المخيم أربعة أيام أخرى واندحر الغزاة بسبب صمود المقاومة الأسطوري ، فقد قذف الله في قلوبهم الرعب ، واكتسب المجاهدون خبرة كبيرة في حرب الشوارع ، وخبروا الجندي الصهيوني وجبنه عن قرب ، كان الأولاد الصغار يصعدون على ظهر أي مبنى قريب من الدبابات ويضربونه بالأكواع (العبوات اليدوية) ، ومنهم من كان يمشي في سراديب الأقنية في المخيم ويضع العبوات الجانبية بجانب الدبابة، ويفجرها كما فعل الشهيد منير وشاحي (قائد أشبال سرايا القدس).

كان الجنود الصهاينة عندما يدخلون إلى ساحة حارة أو بيت يقذفه الصبية بعشرات القنابل المصنعة يدويا ، مما يدخل في قلوبهم الذعر والإرباك، مما ساعد المجاهدين كثيرا في الصمود والمواجهة.

انتهى الاجتياح الرابع وقبل الأخير ، وقد هزم الجنود الصهاينة ودحروا من المخيم، وتأكدوا أن الدخول إلى المخيم مغامرة كبيرة ، وكتبت الصحف العبرية مقالات مطولة عن هذه المعركة واعترفت بالفشل ، حيث قال قائد الحملة : (إن مخيم جنين هو اخطر مكان في العالم) . وقال الناطق باسم الحكومة الصهيونية : (طالما لم يتم القضاء على السمكتين السمينتين- كما سماهما ، ويقصد الشيخ الشهيد القائد محمود طوالبة والحاج علي الصفوري- فإن العملية قد فشلت) . أ . هـ.

بموازاة هذا الصمود الذي كان مثاله الأروع محمود طوالبه رحمه الله ، كان ثابت المرداوي ومحمد ياسين رحمه الله، وبعد أن شاركا في اليوم الأول، واشتبكا عن بعد أمتار قليلة مع وحدة من المشاة، أخبرهم الناس فيما بعد أن هذه الوحدة حملت اثنين من أفرادها مصابين أو قتيلين أثناء الانسحاب، والأرجح أن قائد هذه الوحدة قد قتل على يد محمد ياسين ...

بعد هذا الاشتباك انسحبا من داخل المخيم، وتمكنا من إطلاق عملية استشهادية نفذها الاستشهادي عبد الكريم طحاينة يوم ٢٠٠٢/٣/٥ م. في العفولة، لتكون الحملة -بذلك- قد أخفقت على كل المستويات ...

في نفس هذه الفترة، وقبل يومين من عملية العفولة الاستشهادية، كان القائد الشهيد أيمن دراغمة، والمجاهد الشهيد فؤاد بشارات، يرتقيان شهيدين في الأغوار يوم ٣/ ٣ / ٢٠٠٢ م. وهما يحاولان تنفيذ

عملية جهادية لرفع الضغط عن مخيم جنين ...

كانت نتيجة هذه الحملة استشهاد مجموعة من المجاهدين وإصابة آخرين ، فيما اعترف الصهاينة بمقتل قائد وحدة، وقناص، وإصابة آخرين ، وما لم نذكره أن العديد من الناس شاهدوا وسمعوا بكاء الجنود وصراخهم عندما كانت تنفجر الأكواع بينهم ، بل وشاهدوا كيف بال بعضهم على نفسه خوفا ورعبا !!.

* * *

الفصل السادس

دم يعانق النصر

المعركة المعجزة والشهادة

الإجتياح الأخير للمخيم واستشهاد الشيخ محمود

(٦-١) : استعراض عاجل :

منذ أن وطئت قدماه أرض المخيم بعد الهروب من سجن نابلس المركزي كان يتأكد لمن يحدق في وجه الشيخ محمود أن الرجل شهيد لا محالة . . . وكان يغلب عليه الاهتمام بالوقت والميل إلى الجد والعمل ، وأحيانا يعتذر من المشاركة في اجتماع يغلب على ظنه انه سيكون طويلا مع قلة الجدوى ، يحرص على أن لا يكون لأحد عنده مظلمة ، يراجع بعض الناس، ويعتذر منهم إن أحس أنه ربما قد جرحهم أو أخطأ في حقهم . . . وبدأ أيضا يختبر من حوله من شباب السرايا ببعض الاختبارات الخفيفة ليرى مدى التزامهم وطبيعة المفاهيم التي ينطلقون منها في الحرص على حمل السلاح ...

ومع اقتراب المعركة كانت هذه المواصفات وهذه الحال تصاحب الشيخ ، لكن كانت السمة الأبرز في سلوكه والتي يشف عنها ما سبق ذكره هي الاستعداد للمعركة القادمة، الاستعداد بكل ما تعنيه الكلمة وعلى كل المستويات من إجراءات عملية ومن طاقات ذهنية ، وقبل كل شيء التهيؤ الروحي العميق إلى الحد الذي كانت تصرفاته تنم عن أنه قد قرر الشهادة أكثر من أي وقت مضى . .

بعد اجتياح آذار بدأت الاستعدادات بوتيرة عالية ... كانوا في السرايا يتوقعون أن القادم ضخم ... وأساسا كان الشيخ محمود إذ كان ما يزال في السجن قد تنبأ أن الحكومة الصهيونية ستتخذ قرارا باجتياح المدن الفلسطينية بشكل ضخم للعمل على تصفية المقاومة ...

إذن ، فليأتوا ونحن في أتم الاستعداد إن أمكن ... هكذا كانت حال محمود وإخوانه ، أحضروا كميات ضخمة من المواد الأولية لصناعة المتفجرات ، أمضوا ليالي طويلة يدرسون ما جرى في اجتياح آذار ويستخلصون العبر ، وخلاصة تلك الاستعدادات والتحضيرات والعبر المستخلصة يجدها القارىء الكريم في قسم الشهادات وخاصة شهادة القائد الأسير ثابت المرداوي ...

في يوم ٢٩ آذار ، بدأت القوات الصهيونية اجتياحها لمدينة رام الله ضمن حملة أطلقت عليها اسم

(السور الواقي) ، معلنة أن هذه الحملة تتكون من ثلاث مراحل ، وكانت الحكومة الصهيونية توهم نفسها ، وتبذل الوعود للشارع الصهيوني أن المقاومة الفلسطينية ستصبح في خبر كان ، وأن المحتلين سينعمون بالأمن ، وسيحتفلون بالانتصار على (جثة المقاومة) !! .

وكان اجتياح رام الله ينم عن بداية دموية ، لعل الذين خططوا لحملة (السور الواقي) أرادوا أن يكون الأمر كما كان عام ١٩٤٨م. حيث رائحة الدم والجثث المنتشرة على جوانب الطرق تحطم النفوس وتحقق الهزيمة !! .

وعلى الجانب الآخر كان أحد قادة الأجهزة الأمنية – كما يروي د . نبيل الخطيب مراسل *mbc* في مقالة له في فصلية الدراسات الفلسطينية عدد (٥١) – قد طلب أن يحصل على قاذفات (آر بي جي) المضادة للدروع ، فجاءه الجواب سريعاً من قائد الامن الوطني (المتوفر قليل ، ونحتاج إليه للدفاع عن مقر الرئاسة) وطلب حرس الرئاسة الحصول على هذه الأسلحة فكان الجواب : (لن يصل الجيش الإسرائيلي إلى مبنى الرئاسة الذي يقيم فيه الرئيس) .

وبدأت الفضائيات تنقل صور الجثث الملقاة داخل المباني ، وكان واضحا أن مدينة رام الله قد انهارت ، وأن الجيش الصهيوني يمارس هوايته المفضلة؛ قتل العزّل والمحاصرين ، كان عدد الذين يلبسون بزات الشرطة الفلسطينية سبعة آلاف عدا غيرهم ممن لا يلبسون مثل تلك البزات ، لكنهم كانوا مجردين من كل الإمكانات باستثناء أسلحة فردية مع عدد قليل من الرصاص ... !!

وكانت هذه الأخبار تنتشر في كل مكان ، وكل يتفاعل معها على طريقته ... هنا في جنين وخاصة مخيمها الشامخ كان يزداد عدد الذين ينضمون إلى قرار الشهادة ... وكانت تجربة آذار ما تزال ماثلة بدروسها وعبرها ، وعلى رأس هذه الدروس أن بإمكان المقاوم الفلسطيني أن يكون نداً ، بل وبإمكانه أن ينتصر ، أو يزرع بذرة النصر القادم ... ينتصر بدحر العدو ، أو يزرع بذرة للمرحلة القادمة بكسر عنجهيته وإسقاط هدفه ، وإنْ بالشهادة ، وهذا الذي كان ...

إمتد الاجتياح ليشمل المدن الأخرى ، واصبح واضحا لأهل جنين ومخيمها أن الدور قادم عليهم لا محالة ... أفراد الأجهزة الأمنية المختلفة غادروا إلى بيوتهم وقراهم باستثناء قلة من ضمنهم حوالي ثلاثين من

الأمن الوطني لحقوا بالضابط البطل حازم كبها (أبي جندل) إلى المخيم بانتظار (الملحمة).

كان الشيخ محمود في المراحل الأخيرة من إعداد أكبر كمية من المتفجرات حضرت في انتفاضة الأقصى لاستقبال الغزاة ، أكثر من ألفي كيلوغرام من مادة اليوريا ، كمية من عشرات الكيلوغرامات من اليوريا المخلوطة بالزيت المتفجر وعدة ألوف الكيلوغرامات من الأشلغان ، وكل ذلك تم تجهيزه في عبوات كبيرة بأحجام مختلفة وعبوات مقذوفة وصل عددها إلى عدة آلاف، كما تم حشو كميات منها بالمواسير التي تم تمديدها على الجدران كأنها شبكة مياه معدنية ...

وكان الشيخ في هذه الفترة؛ قُبيل الاجتياح، قد تعرض لوعكة صحية نتيجة لتنشقه المواد الكيماوية المستخدمة بالمتفجرات، وبقي في الفراش يومين بعيداً عن أعين المجاهدين إلا قلة منهم حتى لا يؤثر مرضه على معنوياتهم ...

في الوقت نفسه كانت الفصائل والقوى المختلفة تأخذ استعداداتها ؛ إن في المدينة أو في المخيم، وكان عدد من أفرادها وقادتها يساعدون الشيخ وشباب السرايا في توزيع ما تم تحضيره من متفجرات وعبوات فَي باطن الأرض وعلى الأشجار ... إلخ.

وفي هذه الفترة -أيضا- أُحضر للشيخ محمود قاذف (آر بي جي) مع عدة قذائف، فقدّمه لأبي جندل الذي كان قد تدرب على استخدامه في لبنان ...

قبل المعركة بيوم ذهب محمود إلى بيت شقيقته الكبرى ظريفة ، نام قليلاً، جلست قربه تتأمله، وتدعو الله أن يحميه، عندما استيقظ طلب كأس بابونج، فشربها، ثم توضأ، وودّعها قائلاً: رددي دوما قوله تعالى: (نصر من الله وفتح قريب). ولم يتكلم أكثر من ذلك ...

في ليلة الاجتياح ودّع زوجته وأولاده، ونترك الآن لزوجته وصف المشهد في تلك الليلة التي حضر فيها للمنزل لتكون ليلة وداع ، وليكون اللقاء لقاء مودّع:

في الليلة التي سبقت الاجتياح، حضر محمود للبيت، وودعني وأطفالي، وشاهدت معه ثلاثة أحزمة كان يضع أحدها حول جسده، فضحكت، وقلت له: والله لايق عليك يا شيخ محمود. فقال: سأفجرهم بها، ثم قبّل أطفالي، وقال لي: حملة اليهود هذه المرة مختلفة ، إنهم قادمون لأجلنا وعلينا مقاومتهم ولن

نستسلم ، شعرت أن محموداً يودعني لآخر مرة، وبالفراق الأبدي، فتمالكت أعصابي، وطلبت منه أن يحمل عبدالله الذي لم يكن (طبّق) الشهر من عمره بعد ، فحمله وقبّله ثم حمل دعاء ... نظراته اختلفت، فقلت له، وقلبي يقول لي إنه لن يعود : توكل على الله، لك الله ... طلبت منه أن يسامحني، فسامحني، فقلت له : إرْضَ عني، وادع لي بالصبر، لأربي أولادك تربية صالحة، وأعلّمهم كما تحب، دعاء دكتورة أطفال، وعبدالله شريعة إسلامية، عندما شاهدني على مثل هذا الحال بكى، وبدأ يدعو لي بأدعية لم أسمعها من قبل، ثم قال لي : كوني على العهد يا سماح، فأنت قرأت ما لم أقدر على الحديث عنه، فالقوات القادمة إلى المخيم كبيرة، وقد ننتصر أو نستشهد ولا نرجع، فلا تحزني وصوني الوصية، ثم سار عدة خطوات ورجع، فقلت له : مع السلامة، توكل على الله، فذهب وعاد عدة مرات ... فقالت له دعاء : بابا بابا قبّلني مثلما تقبّلني كل مرة، فعانقها ، وقبّلها ، فازداد داخلي ألماً وأنا أقاوم حزني ووساوس الشيطان، وصور تمرّ امامي تسوقه شهيداً ، ثم جلس قرب عبدالله، وقبّله عدة مرات، ثم خرج، وبعد لحظات عاد وودعني، ونظرت إليه وهو يضع يده على كبسة الحزام ، وقلت له : دير بالك على حالك ، فقال لي : توكلي على الله وانطلق، ولم أشاهده طوال المعركة إلا مرة واحدة، ومن مسافة بعيدة وقضيت الوقت أدعو الله له حتى جاءني نبأ استشهاده ... في البداية بكيت، ورفضت أن أصدّق أن ذلك حدث، ولكنّي تذكرت محموداً وكلماته، فتغلبت على حزني وألمي، ولست نادمة، وأنا فخورة بزوجي القائد، فقد كان الأب والأم والأخ والزوج والحياة كلها ، لذلك سأتابع حياته ومسيرته في أطفاله فقد قال لي : إن الله سيكون معنا ، ولن يضيعنا ، وأنه سبحانه سيسهل طريقنا ، ولست نادمة على استشهاده رحمه الله، لأنها أمنيته، وأتمنى لو كان لديّ ولدان شابان ليحملا رايته وبندقيته ، وأقول لأم كل شهيد ، ولزوجة كل شهيد : لا تبكين على الأبطال فمنزلتهم ومكرمتهم كبيرة ، وسنلقاهم بالجنة إن شاء الله، وعلى كل امرأة فلسطينية أن تكون الخنساء، ويا ليتنا جميعا نكون استشهاديين.

وفي وقت متأخر انطلق لوداع والديه ، تقول والدته : في الاجتياح الأخير حضر لبيتنا في ساعة متأخرة وقبّلني ، وودعني ، وقرأت في عينيه معاني الوداع الأخير، فكتمت خوفي وقلقي، وأوصيته بنفسه، ودعوت الله سبحانه أن يسدد خطاه وأن يجنبه كل مكروه، فغادر وهو يضحك،

ويقول : سنلتقي في الجنة .

وكان قد تم تقسيم المقاتلين على الحارات ، كل مقاتل يتبع القائد الذي يرغب ، فكان التقسيم أقرب إلى أن يكون ذا طابع فصائلي ، لكن ليس تماما ، فقد كان شخصانيا إلى حد ما ، ومع بدء القتال انهار هذا التقسيم، إذ استشهد بعض القادة كالقائد الشهيد زياد العامر ، بالإضافة إلى أن مجريات القتال لم تسمح بأن تستمر الطريقة السابقة في تقسيم المقاتلين وتوزيعهم ...

ومع هذه البداية الصعبة برز المعدن النادر للشهيد القائد محمود طوالبة الذي تمكن بحيويته العالية من إعادة ترتيب الصفوف في أكثر من موقع وفي الوقت المناسب ...

واستطاع المجاهدون بفضل الله سبحانه ،ثم بفضل حنكة الشيخ ان يمتصوا كثيراً من هجمات الصهاينة ثم الإيقاع بهم والتحول إلى الهجوم ...

لقد أخذت المعركة (الملحمة) -إلى حد كبير- شخصيتها وملامحها من شخصية الشيخ وملامحه ، فأنت إن أردت ان تتحدث عن دور الشيخ في معركة المخيم فإنك حتما ستتحدث عن المعركة بكل تفاصيلها ومفاصلها إلا ما ندر ...

لقد كان محمود الحاضر الأبرز في التحضيرات ، والحاضر الأبرز في التصدي لمحاولات الاقتحام سواء من جهة الحارة الغربية او الدمج أو الحواشين أو غيرها ، وكان الأبرز أيضا في توزيع الذخائر وإنقاذ الناس الذين يتعرضون للمخاطر كما في إعداد الكمائن واستدراج الجيش الصهيوني إلى (أفخاخ المجاهدين) ...إلخ .

وفيما يلي سنحاول أن نجمل دور الشهيد محمود طوالبة من خلال بعض العناوين التي مهما بلغت تظل قاصرة عن الإحاطة به...

(٦-٢) : التحضيرات :

كما سبق ذكره ، وكما سيأتي تفصيله في قسم الشهادات فقد استمرت مرحلة التحضيرات من اقتحام آذار وحتى اجتياح (السور الواقي) ، وخلال هذه الفترة كان محمود على رأس عملية إعداد واسعة للمتفجرات ، حيث أعد وإخوانه في السرايا ما يزيد على ألفي كيلوغرام من مادة البوريا وعدة ألوف من مادة

الأشلغان وعشرات الكيلوغرامات من اليوريا المخلوطة بالزيت المتفجر ، وقد تمّ تجهيز ذلك كله في عبوات كبيرة ومتوسطة وصغيرة وعبوات مقذوفة ... إلخ ، كما شملت التحضيرات مختلف احتياجات المعركة من تموين وذخائر وقطع سلاح وغير ذلك كما سيجيء في قسم الشهادات ...

(٦-٣) : نصب الكمائن واستدراج الجنود الصهاينة ل(أشراك المجاهدين):

لقد كان نصب الكمائن حاضراً في تصور الشيخ وإخوانه خلال فترة التحضير ، وشمل تمركز مجاهدين داخل المنازل ، ووضع عبوات كبيرة في بعض المنازل التي يُظَنّ أن الجنود الصهاينة سيحاولون اقتحامها ، كذلك قام بإعداد مواسير محشوة بالمتفجرات على شكل تمديدات مياه طبيعية إلى غير ذلك من صور الأشراك والكمائن المفصّلة أيضا في (الشهادات) ...

(٦-٤) : القتال :

فقد كان رحمه الله من أبرز المقاتلين في شجاعته وضراوة قتاله ضد العدو ، حتى ان الحاج علي الصفوري وصفه بأنه كالطيارة ما أن تذهب إلى مكان إلا وتجده يقاتل فيه ، كأنه يقاتل في كل الأمكنة في وقت واحد ، ورغم إصابته في الحارة الغربية فإنه استمر بالقتال ، ولم تمنعه إصابته بيده من ذلك ...

(٦-٥) : القنص :

كان الجيش الإسرائيلي يحتل بيت (أبو صبيح) ، ويحتجزون فيه في غرفة واحدة أكثر من خمسين شخصاً ، وأغلق الجنود النوافذ بكل شيء عثروا عليه داخل البيت ، ولم يتركوا إلا فتحة صغيرة يقنصون منها المقاتلين ، وبينما الجندي يطلق النار منها إذا برصاصة من الفتحة الضيقة تستقر في رأسه ، فينزف حتى الموت . كان الشيخ محمود طوالبة هو من سدّد تلك الرصاصة بفضل الله سبحانه وعونه ...

(٦-٦) : معالجة الخلل :

في المواقف التي كان يحصل فيها انهيار أمام ضخامة الاجتياح الصهيوني في أي جبهة من جبهات المعركة كان يسارع رحمه الله الى معالجة الخلل وملء الفراغ وترتيب الصفوف ، كما حدث في الحارة الغربية على سبيل المثال ...

(٦-٧) : التحريض وشد عزائم المجاهدين :

فقد كان أثناء المعركة يخطب في المجاهدين، ويحرضهم على الصبر، ويحبب إليهم الشهادة، كما كان يقوي عزائم من يلمس فيهم ضعفاً أو تردداً، ويرغبهم في الآخرة، ويذكرهم بالأجر العظيم في الجنة والحور العين، ويحدثهم كيف أن الإيمان يصنع ما لا تصنعه الإمكانات الهائلة ...

(٦-٨) : فك الحصار عن المجاهدين الذين يقعون في كمائن الصهاينة :

وكما جاء في الشهادات، فإنه لم يتردد في مهاجمة الصهاينة حين وقع الشهيد القائد (محمود ابو حلوة) ومن معه في كمين للصهاينة، وما انفكّ عنه حتّى فكّ الحصار عنهم.

ومرّة اخرى هاجم فرقة من الجنود حتّى لا تتمكن من تطويق القائدين؛ ثابت المرداوي وطه الزبيدي. والأمثلة على ذلك عديدة.

(٦-٩) : توزيع الذخائر والعبوات الناسفة :

عندما انتهت ذخيرة شباب الأمن الوطني في اليوم الثاني من المعركة، قدّم الذخيرة لأبي جندل ومن معه، بالإضافة إلى (الأكواع)، وكذلك كان يفعل مع كل من يحتاج، وفي العديد من الحالات نقل على كتفه العبوات الكبيرة لاستخدامها ككمائن، أو تفجيرها في البيوت التي اقتحمها الجنود الصهاينة ...

(٦-١٠) : الاطمئنان على إخوانه :

لم يقتصر دوره في المعركة على القتال وما يتصل به مباشرة، بل كان أيضا يبعث من يصل إلى الأماكن المختلفة ليطمئن على المجاهدين، وخاصة إذا كانوا من كبار المطاردين المستهدفين للصهاينة ...

(٦-١١) : تسديد ديون المقاتلين :

كان يسدد الديون عن المجاهدين أيا كانت انتماءاتهم إذا علم أن هناك أحداً عليه دين، وعندما يعلم أن بعضهم لم يعد لديه نقود يزوده بالنقود، وإن خجل أو تردد يصر عليه حتى يقبل ...

(٦-١٢) : إيصال التموين إلى الأسر المحتاجة :

كان مع انشغاله بأمور القتال، يوزع التموين على الأسر التي نفذ الطعام من بيوتها ممن لا يستطيعون التنقل، وقد بلغ به الأمر أنه كان يقطع مسافات في أماكن معرضة للخطر أكثر من غيرها من أجل أن يحضر الطعام والتموين لأسرة محتاجة ...

(٦-١٣) : القيام بأعمال الإنقاذ :

لقد كان يقطع المسافات الخطرة لإنقاذ أسرة كان بيتها يحترقحين لم يستطع الجيران إنقاذهم، كما كان يقتحم بعض المنازل رغم تمركز الجنود الصهاينة داخلها، فينقذ مسناً مصاباً وأسرته كما جرى في حارة الدمج حينما خلع حماية الحديد عن شباك منزل أبي عماد الغريّب، وأنقذ تلك الأسرة ...

(٦-١٤) : مداعبة الأطفال :

ولعل اجمل ما فيه أن كل ذلك لم يشغله عن مداعبة الأطفال وتوزيع الحلوى عليهم وزيارتهم، بل كان بعضهم يبكي طالبة رؤية محمود طوالبة الذي كانت مجرد رؤيته تزيل توترهم وقلقهم وخوفهم.

(٦-١٥) : التخطيط لخطف جنود صهاينة :

لكن ذلك كله ما شغله -ايضاً- عن التفكير بضرورة خطف جنود صهاينة لفرض الانسحاب على الصهاينة، فأعدّ خطة مفصّلة لذلك كما سيجيء في قسم (الشهادات) مع العلم أن المحاولة لم يكتب لها النجاح ...

(٦-١٦) : السهر على راحة اخوانه وحراستهم:

كان رحمه الله، يسهر لينام المجاهدون، ويقوم بأعمال الحراسة، ويذكر بعض المجاهدين أنه كان من أقل الناس نوماً ...

(٦-١٧) : ذروة التضحية :

وبلغ ذروة العطاء عندما أصر على الاحتفاظ بحقيبة مليئة بالمتفجرات ليستخدمها عندما يلزم القيام بعملية استشهادية كما كان يتمنى -رحمه الله- دوما ...

(٦-١٨) : التقرب إلى الله سبحانه والشوق إليه:

إذا ما حاولنا الاقتراب أكثر من شخصية محمود أثناء المعركة، فإننا سنلتقي في كل مرة نلتقيه فيها في أي موقع وفي أي حدث وفي كل حال، سنلتقي بسمة بارزة في تكوينه بشكل عام، وقد برزت أثناء القتال هي الدأب المستمر على التقرب إلى الله سبحانه ونيل مرضاته ...

ولشدة حضور هذه السمة في شخصية محمود نسوق هذا الخبر؛ فقد أراد -مرة- أحد إخوانه أن يصفه لصديق له فقال له : انظر إليه ستجد على وجهه الشوق والحب لله سبحانه .

هذا الشوق والحب يبرز في معركة المخيم من خلال الآتي :

(٦-١٨-١) : الصيام :

لقد دأب رغم القتال والحاجة إلى طاقة بدنية عالية للتنقل والهجوم والانسحاب، وما شابه من تكتيكات القتال، رغم ذلك دأب على الصيام ، ويذكر الذين رافقوه في القتال، أو في بعض وقائعه، أنهم كانوا يصومون تقربا الى الله سبحانه، وخاصة مع شح الطعام والماء ، ليكونوا أقرب للإجابة والقبول ، وفي اليوم الذي سبق ليلة استشهاده كان قد صام كعادته، وشاركه الصيام عبد الرحيم فرج، وشادي النوباني، اللذان شاركاه الشهادة أيضا ...

ويبرز أيضا في سلوكه خلال المعركة الدعاء ، فمثلا يذكر المجاهد الأسير سعيد الطوباسي أنه كان يدعو دائماً : (اللهم استخدمنا لنصرة دينك) . ويذكر (أ . ت) أنه ليلة الاجتياح كان يدعو : (اللهم اكفناهم بما شئت وكيف شئت) ...

(٦-١٨-٢) : استئذان الناس :

مما يدل على ورعه وحرصه على مرضاة الله سبحانه أنه لم يكن يدخل بيتا مأهولا حتى يستأذن رغم ظروف الحرب والقتال ...

كما كان يغض البصر أثناء الحديث مع النساء ويبرز فيه حياؤه ...

كذلك كان يحرص على مواساة الناس ومشاركتهم آلامهم، فمثلا زار إحدى النساء التي استشهد ولدها ، وحاول أن يواسيها ، ويذكّرها أن ما أقبل عليه ولدها أفضل – بإذن الله– من هذه الحياة، وأن كل مؤمن يتمنى الشهادة في سبيل الله وثوابها ...

(٦-١٨-٣) : طريقة قتاله وتنوّع ادواره :

وتبرز سمة (التقرب إلى الله سبحانه والشوق إليه) في طريقة قتاله ايضاً ، فقد كان محمود حاضراً في كل حدث بارز لدرجة أنه يكاد يكون موجودا في كل المواقع ، وفي كل الأوقات، كما تبرز في تنوع أدواره التي أشرنا لبعضها سابقاً ...

(٦-١٩) : شهادات تبرز دور الشيخ محمود في معركة المخيم الأخيرة:

(٦-١٩-١) : - أ . ت. مقاتل من سرايا القدس - مخيم جنين ...

في اليوم السابق للاجتياح كنت أنا (أ . ت ، وأبو الهيجا ؛ أحد شباب السرايا) ، في حالة استنفار ، أمرنا محمود بوضع عبوات وهمية في الإسكان الفلسطيني، وهي منطقة تكشف معظم المخيم ، وذلك لتعطيل سرعة انتشار الجيش ، وفعلاً قمنا بذلك، استغرق هذا الأمر عدة ساعات، وكان بشكل متقن في معظم عمارات الإسكان، عدنا إلى المنزل الذي كان محمود متواجدا فيه، لم نجده، وقيل لنا : انتظروا قليلا وسيأتي . وفعلا جاء محمود ومعه سخان ومروحة وعدة أخرى للإسراع في تجهيز أكبر قدر ممكن من المتفجرات ، وفعلا بدأنا نساعده في تحريكها ، وكان منهمكا في العمل ، ويتركنا قليلا ، ثم ما يلبث ان يعود إلينا حتى جهّزنا معظم الأعمال ، حينما كان يصعب علينا شيء ياتي بنفسه فيعالجه ، وكان معه من

المقاتلين ثلاثة، او اربعة ، ثم طلب منا مرافقته إلى المدينة ، قلت له : لماذا ؟ قال :لشراء حقائب سيوزعها على الشباب. فعرضت عليه أن نذهب بسيارتي، وذلك لاستغلال عامل الوقت ، فكر قليلا، ثم رفض الركوب بالسيارة، وأصر على الذهاب مشيا ، فعلا ذهبت انا وأبو الهيجاء معه إلى المكتبات ، لم نجد مكتبة واحدة ، الجميع قد أغلق، واستعد للعاصفة ، قال لنا أن ندبر إذا كنا نعرف ، أجرينا اتصالاتنا فلم نوفق في الحصول على ما أراد . ذهب واشترى أكياساً وأموراً أخرى ، ثم انطلقنا عائدين إلى موقعنا مشيا ، وكان سريعا في المشي سرعة غريبة . وصلنا إلى موقعنا ، فقال : اخرجوا جميعا . هناك مواد خطرة سأقوم بتحضيرها وحدي ، هذه المواد عددها تقريبا (٢٠٠) عبوة ، قلت له : إنها قليلة بالنسبة لحجم الحشود الصهيونية على المخيم ، فقال بالحرف الواحد (إذا الله وفقها سترى ماذا تفعل) وقال لأحد المقاتلين : (عندما تجهز لا تعطي أي شخص منها إلا إذا كان أهلا لها ... ماشي ؟ !) .

أمرنا أن ننتقل إلى موقع آخر ، هكذا كان ينتقل باستمرار ... قلنا له أننا سنتسلم الحي الغربي من المخيم ونحن بحاجة إلى عدد من قطع السلاح والعبوات المزروعة والمحمولة . قال : يأتي ذلك، قلت : يا شيخ، لا تؤجل ، العامل الزمني ليس في مصلحتنا . قال : توكل على الله ولا تبالي، عندما وصلنا إلى الموقع الآخر وفّر لنا بعض الوسائل القتالية ، وقال لنا : هيا اذهبوا إلى مواقعكم، واستبشروا ،ثم قال: (اللهم اكفناهم بما شئت وكيف شئت) . انطلقنا إلى موقعنا مع بعض المقاتلين الذين أمرهم محمود باستلام القطاع الغربي فلم نجد أحداً هناك. فعلى الفور أبلغت محموداً بخطورة الموقف، وأنه لا يوجد سوانا في الحي الغربي، قال : سأنسق مع (أبي جندل) ليبعث لكم قوة من الأمن الوطني ، وانا ﴿ بقلكم وين موقعهم مش على التلفون ، ديروا بالكم على الشباب ثبتوهم ، اخترت لهم موقعاً جيداً وحساساً ، بس ما بدي حدا يروح ويجي عليهم إلا شخص واحد لكي لا نحرق موقعهم﴾ . بعد فترة من الزمن جاء محمود وقال لي : سيصل الشباب بعد قليل ، هنا موقعهم ، ممنوع أي واحد يعرف وينهم ، ماشي ؟ أنت ومحمد فقط توفر لهم ما يحتاجون من طعام وغيره ، كان الموقع بيتهم، وبالفعل جاءوا عند حلول الظلام . قبل ذلك ، وقبل مجيئهم مرَّ علينا أبو قسام أحد المجاهدين برفقة أخوة لهم ، وقال لنا : هل ينقصكم شيء ؟ قلنا : نعم ، لا يوجد سوانا هنا . طلبنا من محمود إرسال بعض المقاتلين ، قال سأرسل- بتنسيق مع أبي جندل-

شباباً من الأمن الوطني ، أعطانا أبو قسام بطاريات للرؤيا وجهاز راديو وكرتات بلفون وبعض المعلبات ، ومن ثم اتصل بمحمود وقال له : من الضروري إرسال قوة من الشباب إلى الحي الغربي . قال : إن محموداً متفاجىء إلى هذا الوقت لم يأت شباب الأمن الوطني ، وبعد نصف ساعة تقريبا جاء شباب الأمن الوطني بسرية ، وأخذناهم إلى الموقع ، ووضعنا معهم شاباً اسمه (محمد) ليكون معهم باستمرار ، وكذلك مقاتلين مزودين ببندقية وعدد كبير من الأكواع ليعرفوهم المنطقة ويلبوا احتياجاتهم . في هذه اللحظات لم نسمع إلا هدير الدبابات ، وكان السكون يخيم على المنطقة ، أشار بعض الأخوة على محمود إعطال الأنوار في الشوارع ، رفض وقال انها تحد من فاعلية اجهزة الرؤيا لدى العدو . بعد منتصف الليل بساعات بدأت المعركة ، كل في موقعه ، كان العديد من الشباب يتقدم ثم يعود إلى موقعه . في ساعات الصباح الأولى جاءنا نبأ استشهاد هاني أبو ارميلة ، حزن أشبالنا قليلا ، ثم قالوا : من أحب الشهيد فليسر على خطاه . بعد ساعة وبيّف أُعلن عن استشهاد القائد زياد العامر ، اهتزت معنويات بعض المقاتلين وانسحبوا إلى الخطوط الأخيرة في الجبهة ، كان الخبر مؤثرا علينا جميعا ، لكنه زادنا إصرارا على الثبات ، حاولنا إخفاء الخبر بعض الوقت لأننا أكثر المقاتلين انتشارا في أرض المعركة ، وكنا على تواصل دائم مع القلب ، وذلك بناءً على تعليمات الشيخ محمود ، في اليوم الثالث حدثت بلبلة بانسحاب قوات الارتباط من الموقع الغربي الشمالي في المخيم بالقرب من مسجد عبدالله عزام ، وحدث نقص كبير في الذخيرة للأمن الوطني وكمية الأكواع التي بحوزتنا ... أخبرنا محموداً بالأمر ، وقلنا له من الضروري حل هذه المشكلة وتغطية الموقع الذي تم الانسحاب منه ، لأنه يكشف ظهورنا للعدو ونصبح في مرمى نيرانه ، وبالتالي سهولة السيطرة على القطاع الغربي كاملا دون مقاومة ، بعد ساعة اشتد الضغط علينا كثيرا ، وحاول العدو فتح ثغرة في الحي الغربي مستخدما كل قوته . أصر محمود على المجيء إلينا بنفسه وبرفقته عدد من المقاتلين لإعادة ترتيب الصفوف ، ومعالجة الموقف بعد تأزمه واختراق العدو لعدد من المنازل التي كنا نتحصن فيها ، فترك محمود موقعه في حارة الدمج في أقصى الشرق في المخيم واتجه إلينا في أقصى الغرب ، لا ندري متى وكيف أصبح بيننا وبرفقته عدد من المقاتلين ، أخذ يعيد ترتيب صفوفنا ، وقال : علينا استعادة المنازل

وإخراج العدو منها بأي ثمن ، قام بتوزيع شباب الأمن الوطني كل اثنين معهم اثنان منا يحملون الأكواع وكل في مركزه ، وقال : الثبات تحت غزارة النيران ، كان (أبو سمرة) أحد مقاتلي السرايا يقذف في موقع هجومي من بندقية M1 ، وذلك لتنفيذ الخطة التي رسمها محمود لاستعادة المنازل التي سيطر عليها العدو ، أمره محمود بالانسحاب من موقعه فورا ، انسحب أبو سمرة من موقعه ففوجئنا بمحمود يحل مكانه ويطلق النار بغزارة ، بعد لحظات أصيب محمود بعيار ناري في اليد في نفس الموقع الذي أمر(أبو سمرة) بالانسحاب منه ليحل محله ، الجميع اندفعوا نحو محمود ، أخذوه من موقعه ليسعفوه ، وكانت هذه مهمتي لأني حاصل على دورة إسعاف متقدمة وكان بحوزتي شنطة إسعاف بعدة كاملة . بأعصاب باردة أمر محمود الشباب بعدم الانكشاف للعدو ومواصلة إطلاق النار حتى تأخذ المجموعة التي بعثها موقعها في طابق مرتفع كثيرا لكشف العدو ، وقال بكلمات بسيطة لن تغيب عن ذهني : (مزّعوا السترة) – وهي لا تزال جديدة – غير آبه بالألم والدم النازف منه ،رددها عدة فترات ، هيّا بسرعة اربطها . ما تحط دواء ولا إشي ، اربطها بسرعة ، بعد إسعافه عاد ليواصل ، حتى قتل أو جرح جنديين من العدو ، فقاموا بإحراق المنازل وانسحبوا منها مذلولين بإذن الله ، ونجحت خطة محمود باستعادة المنازل . فقال : (أنا على موقعي لا أقدر أن أغادره باستمرار ، عليكم بالثبات ، وزّع كمية كبيرة من الذخيرة من رصاص الكلاشنكوف وعدد من الأكواع وقال : (هناك خطة لعدم السيطرة على هذا الحي ستعرفونها بالوقت المناسب) . اختفى قليلا وعاد بعد فترة يحمل سخّانات مليئة بالمتفجرات ، تناول وجبة العشاء معنا ثم أمرنا بمغادرة المنزل . قام بزراعة تلك السخانات في جميع أنحاء البيت والأزقة الغربية والمناطق المتوقع دخول العدو منها وأمرنا بمغادرة المنطقة لأن تعزيزات العدو كانت غير طبيعية فيها ، وقال : (من هنا سيحاولون الدخول) ، وكلّف مقاتلين من معاونيه بالتفجير عند اللزوم وفي الوقت المناسب . أخلى عائلته وودّع عبدالله ، انسحبنا إلى الخط الأخير في الحارة الغربية ، وتم تسليم القيادة فيها لأبي جندل حيث أن محموداً قال لا أقدر على مغادرة موقعي ، نفذوا ما يطلبه منكم أبو جندل ، وسأوفر الذخائر اللازمة ، ولا يأتي لاستلامها من عندي إلا أبو مجاهد ...

(حافظوا على الذخيرة والأكواع ، لا تضيعوا شيئا هدرا ، استخدم سلاحك في الوقت المناسب) . كل هذه الكلمات كانت بمثابة وصايا لمحمود ، ونحن ندرك ذلك . نبهني أحد المجاهدين إلى ماسورة في الحائط وكأنها ماسورة ماء عادية ضمن تمديدات البيت ، قال لي هذا المجاهد بأن محموداً وزّع الكثير منها في أزقة المخيم، وهي محشوة بالمتفجرات . كذلك الكثير من العبوات المكشوفة ، سألت لماذا هذه المكشوفة؟ ! قيل لي : إنها وهمية وضعها محمود لإرباك العدو وإشغاله بها عن الحقيقة.. هذه هي الأمور التي أذكرها حتى اليوم الخامس مما يتعلق بمحمود وبعدها لم ألتق به) ...

(٦-١٩-٢) : الآنسة ف. ت. ٤٥ عاما – ممرضة من مخيم جنين تعمل في مستشفى جنين منذ عشرين عاما :

في مساء يوم ٢/ ٤ وهو اليوم الذي سبق الاجتياح، أُعلنت حالة الطوارىء في جميع المرافق الطبية في جنين لذلك قطعت إجازتي ، وتوجهت فورا إلى عملي في المستشفى وأنا حائرة مترددة لا أعرف في أي مكان ممكن ان أُقدم الأفضل لأبناء شعبي وللمقاومين ، تارة أفكر في أن المستشفى أفضل ، وتارة أقول يمكن أن أمارس عملي في داخل المخيم ، وصلني بلاغ من المستشفى بضرورة الحضور ، توجهت وقد ساد الظلام بعد صلاة المغرب والمخيم كله لحظات ترقب وانتظار ونشوة رأيتها في وجوه المقاومين لملاقاة المحتلين، وقبل أن أخرج من نطاق المخيم شاهدت كلاً من المجاهد محمود طوالبة والمناضل زياد العامر، يحملان السلاح، ويقومان بتجهيز العبوات الناسفة، رأوني، وقال لي الشيخ محمود والأخ زياد : ادعي لنا يا أخت فاطمه ... نحن مصممون على المواجهة ، لا بدَّ من التصدي للصهاينة مهما بلغ الثمن . . أخذت أدعو لهم وعيني تفيض بالدمع وكأني أشعر أن شيئا ما سيحدث ! ! .

(٦-١٩-٣) : أبو رشدي - ٥٥ عاما :

عرفت طوالبة شابا ملتزما بالدين والصلاة ، متواضعا مع الناس، يحترم الكبير والصغير ، باع نفسه لله تعالى فجاهد – كما سمعته يقول – من أجل الله والوطن ، لذلك شاهدته في جميع المعارك والاجتياحات مقاتلا عنيدا صلبا كأنني أشاهد خالد بن الوليد أو طارق بن زياد ، يرفض الانسحاب ويبث الذعر في صفوف الصهاينة حتى لقّن العدو دروسا لن ينساها ، ولن ينساها مدى الدهر، ويتذكر أبو رشدي أن

طوالبة بدأ بالتجهيز للمعركة قبل وصول الاحتلال ، فصنع كميات كبيرة من المتفجرات ، وجمع الأسلحة والذخيرة وأضاف : شاهدته يزرع الألغام في كل مكان.

(٦-١٩-٤) : أ. أبو الهيجاء :

(٢٠ عاما من سكان م. جنين، روى بعض الصور عن طوالبة في معركة المخيم) ، فقال : كان الشهيد محمود طوالبة – رحمه الله – مع بعض المقاتلين في أحد البيوت، فحدثت اشتباكات بين المقاتلين وجنود الاحتلال ، فطلب الشهيد من المقاتلين الانسحاب إلى الخلف بعد اشتباك عنيف تمكنوا خلاله من إحكام الحصار على الجنود الصهاينة رغم عمليات القصف الوحشية التي شاركت بها الطائرات، ويضيف : قام طوالبة بتفخيخ البيت وزرع الألغام حوله، وانسحب المقاتلون بناءً على خطته لخداع الجنود وتضليلهم وإيهامهم بانسحاب المقاتلين بشكل نهائي ، وأن المنطقة أصبحت آمنة ، ونجحت الخطة فعلا، وقام الجنود بعد انسحاب المقاومين بدخول المنزل ، فقام محمود طوالبة بتفجيره، وقتل عددا كبيراً من الجنود، بعد ذلك الانفجار اشتدت المقاومة وأصيب الجيش الإسرائيلي بانهيار شديد ، فبدأت الطائرة مرة أخرى بإطلاق الصواريخ بشكل عشوائي وضرب كل جسم يتحرك على الأرض، فأصيب الشهيد طوالبة بشظية في يده فلم يخف أو يتراجع، بل قاد مجموعات المقاتلين وهو يحفزهم على الصبر والصمود غير آبه بالجرح ، وبعدها انسحب إلى حارة الحواشين وحدثت اشتباكات ، ورفض محمود الاستراحة قرب بيت أم ساري، وقام الجنود بحفر طاقة في الجدار، ودخلوا إلى بيت أم ساري، واستمرت الاشتباكات لمدة سبع ساعات، فسقط خلالها عدد من الجنود بين قتيل وجريح ، فجاء الشهيد وبعض المقاومين معه ، ومعهم العبوات الناسفة وحاول الشهيد تفخيخ البيت لنسفه ، ولكن انسحب الجنود قبل ذلك ، بعدها انسحب المقاومون إلى الخلف، فقام الشهيد بتفخيخ منزله، فدخل الجنود إلى منزله، فقام بتفجير العبوات، فسقط عدد من الجنود بين قتيل وجريح .

(٦-١٩-٥) : سعيد طوباسي:

(مقاتل من سرايا القدس – وهو من أبرز معاوني الشهيدين القائدين؛ إياد صوالحة ومحمود طوالبة)

في اقتحام آذار كان محمود قد جهّز مواداً متفجرة من قبل، فعبأ عبوات وأكواعاً ، ووزعها بالأزقة وعلى الأشبال، كان يدخل على بعض البيوت يضع سواتر على الشبابيك، وحفر (البلوك) في بعض الجدران، بعد وقت من الاشتباكات نزل الشبان الى جنين، لكن محموداً رفض الخروج من المخيم ، ودخلنا معه إلى بيت كمنّا فيه من الساعة التاسعة ليلاً حتىالسادسة صباحاً ، ثم نزلنا إلى الشارع ، فبدأ الشباب يتوافدون ، وبدأوا يسلمون على محمود لأنه كانت قد وصلتهم إشاعات أنه استشهد ، وأذكر ان أحد شباب حركة فتح أحضر أوعية فملأها الشيخ بالمتفجرات ، كان يساعده في ذلك عبدالرحيم فرج وأشرف أبو الهيجا ...

التقيت والدته، وكانت تحمل ابنه الذي ولد أثناء الاقتحام ، وأذّنت بأذنه، وناديت الشيخ، وعندما رآه أحضر حبة تمر فحنكه بها ، وأذّن في أذنه، فبكت بعض النسوة، وعندما أذّن في أذنه كان يحمل أسلاكا للعبوات ... بعثني لشراء مصابيح يد ، وطلب مني أن أوزعها على الشباب ...

انتهى الاقتحام وبدأنا بالتحضير للقادم ، وكان بشكل دائم يشعر بوجع بالرأس لكثرة العمل ووجوده بين المواد الكيماوية، وكان يساعده العديدون من ضمنهم عبد الرحيم.

وأذكر أن قيس عدوان دخل مرة –وهو ملثم – عند الشيخ ، وعلّمه الشيخ طريقة تحضير بعض المواد ، وكان ذلك قبل عملية شادي.

تم تحضير كمية كبيرة (حوالي ألفي كيلوغرام) ، وتركناها في البيت للتنشيف، ثم بدأنا بالتعبئة قبل الاقتحام بأيام قليلة، قام بالتصنيع الشيخ محمود وأبو أحمد وأبو طبيخ ...

بعدها تم التعبئة بالعبوات والأكواع بكميات كبيرة ...(حوالي ٥٠٠ كوع) كانت من اليوريا المخلوطة بالزيت المتفجر واقتصر توزيعها على المقاتلين ... ومن الأشلجان عدة ألُوف ، ومن العبوات الكبيرة تم إعداد كميات ، قام الشيخ محمود بالتعبئة وقد ساعده بالتعبئة تحديدا أشخاص من فصائل مختلفة من

ضمنهم محمد مشارقة، ، وأمجد سبيتان ، وأشرف ، وعبد الرحيم ، وأبو طبيخ ، وأبو أحمد ، والشيخ رياض بدير، وقام ثابت وطه ومجموعة أخرى كان يقودها ثابت بالتوزيع على الأماكن المختلفة وعلى الفصائل ...

كما قام الشيخ بعمل تمديدات مواسير مليئة بالمتفجرات على الجدران بمستوى يتناسب مع الهدف منهالتفجيرها عندما يُطل الجنود من زوايا مفترقات الطرق، بحيث تكون بمحاذاة رقابهم ورؤوسهم ... وكان يضع ستائر على الشبابيك للكمائن، ووزع عدة مجموعات داخل البيوت ،ثم اتصل بي، وامرني ان اذهب إلى الحارة الغربية مع مجموعة لعمل كمين ، وكانت هناك كمائن اخرى في البيوت ... وقد قام ثابت بتوزيع ذخيرة (كلاشن) على الشباب ...

كان أول دخول للجيش من الجابريات، وكانت الكمائن بانتظارهم، فقد كان الشيخ محمود قد زرع سخّاناً من مادة اليوريا المخلوطة بالزيوت في الجابريات ، فانفجرت بناقلة جنود ، وقتل قائد الحملة ،وهوقائد فرقة المدرعات ،الذي يعد أعلى مسؤول إسرائيلي قتل في المعركة .وفي أثناء الكمين في الجابريات قتل ضابط وأصيب آخران، وكان فيه زياد العامر، وكان من ضمن الموجودين عبد الرحيم فرج وأشرف أبو الهيجا ، وكان قائد الكمين زياد العامر الذي ساعد الشيخ محمود في فتح البيوت على بعضها البعض، كماكان له دور مهم في توزيع المقاتلين ...

بعد محاولة اقتحام الجابريات، حاول الصهاينة الدخول من الجهة الغربية ، وكانت هناك كمائن للمقاومين، كما كان من المقاتلين –وقتها– اثنان فقط ؛ أنا وآخر ، والباقي من حملة الأكواع ، تصدينا للهجوم ، وبدأ المقاتلون بالتوافد ، وجاء الشيخ محمود يحمل عبوة ضخمة، ودخل إلى بيت حتى اقترب من الجيش لإلقائها ، لكن الجيش انسحب. كان الجنود يبكون ، ويصرخون ، بدأنا بالانسحاب للوراء ، فأخذ الجنود بالتقدم ، وكانوا يحملون (كلاشنات) ، فكمن لهم شباب من سرايا القدس والأمن الوطني، وعندما تقدم الجنود انقضوا عليهم، فقتلوا اثنين منهم ، مما اضطرهم للانسحاب واستشهد في الحارة الغربية ربيع جلامنه، وأصيب آخرون من ضمنهم الشيخ محمود ، بعدها انسحبنا للخلف ، وكان شاب من الفارعة اسمه طارق موجود في بيت (أبو هاشم) ، فأصيب برأسه، وطلب منه الشباب أن يتشاهد ، فتشاهد ،

وصعدت روحه الطاهرة، فقال له الشباب مودعين: الآن سنأخذ بثأرك يا طارق، وقد قمت بنقل النساء من البيوت أثناء الكمين الذي دار عند بيت طوالبة إلى دارنا .

كانت أمام المنزل الذي استشهد فيه طارق دار الشهيد محمد البدوي التي دخل الصهاينة إليها بعد ان انسحب الشباب منها ، وقد عملوا كمائن بجوارها وفوقها ، وعندما نزل الجنود الى الشارع بدأ الشباب بإطلاق النار ، فقامت الطائرة بالقصف ، فأصابت الجنود بالخطأ ، فألقوا علينا طابة دخانية ، فقصفت الطائرة علينا ، وأصيب ثلاثة إلى خمسة شباب ، انسحبنا إثرها الى الخلف ، ونقل المصابون ، وتجمعنا في منزل واحد لإسعاف المصابين ، وأثناء ذلك خرج شباب الأمن الوطني ومقاتلون آخرون ، وبقي المصابون والمسعفون ، والجرحى هم نضال سويطي ومصطفى شلبي ومحمد طالب وشاب من عقابا ، وخامس لا يحضرني اسمه الآن ، فقامت الطائرة بقصف المنزل فاستشهد الجرحى وخرج الآخرون من المنزل ، وبعد القصف بالصواريخ بدأ القصف بالرشاشات ، وانسحب الشباب من الحي الغربي إلى الشرقي في الحواشين ، وكان هذا في اليوم الثالث أو الرابع فيما أظن .

وفي حي الحواشين بدأت الطائرة تقصف ، وتطلق رصاصا كثيفاً على الحي ، كان الشيخ محمود ، ومعه بعض الشباب ، متواجدين في منطقة (بيت أبو الكامل) فحدثت اشتباكات عنيفة ، وتم قتل جنديين وإحراقهم بالميليتوف ، فأحضروا جرافة ، وبدأوا بتجريف بعض البيوت ، فقام الشهيد بتوزيع حقائب على المقاومين مليئة بالمتفجرات ، وأخذ هو حقيبة ، وكان يرافقه شادي النوباني ، وقد جاء الشهيد عبد السارة وبعض الأخوان ، وكان الشهيد محمود متواجداً في بيت (أبو جواد) ، وكان الشهيد أشرف أبو الهيجا في بيت (أبو فتحي الناطور) ، وقد استشهد أثناء خروجه لفحص الطريق ، حين لاحظه قناص صهيوني كان يتمركز في أحد البيوت ، فأطلق عليه النار ، فأصابه ، فاستشهد ، وخطط الشهيد محمود لأسر بعض الجنود من أجل الضغط على إسرائيل للانسحاب من المخيم ، وكان الشيخ محمود يدعو : (اللهم استخدمنا لنصرة هذا الدين) ، وكنا صائمين ؛ أنا والشهيد عبدالرحيم فرج صوما رجاء إلى الله تعالى ، وعندما حان أذان المغرب جلسنا لتناول الإفطار ، فأفطر الشهيد محمود معنا ، وبعد الانتهاء من الافطار صلينا جماعة ، بقينا في ذلك البيت ، وفرشنا ، وجلسنا نستريح ، وكان الشهيد يقص علينا

اخبار الجنة وحور العين، وكنا ننتظر دخول الجيش ...

تواجدت خلال المعركة في الحي الغربي من المخيم في بيت الشهيد محمود طوالبة، وهو الذي وضعنا في المنزل بعد ما زرع ألغاما في الحارة لنصب كمائن للجنود ، وعندما بدأ التقدم الإسرائيلي من منطقة الجابريات غرب المخيم ، دخل الجيش الإسرائيلي إلى بيت أم ساري ، وكان المقاومون ينصبون الكمائن التي قام الشهيد بإعدادها لذلك ، اشتبكنا مع الجيش، وسقط عدد من اليهود ما بين جريح وقتيل، وجاء القائد محمود من حارة الحواشين قادما إلينا من الحي الغربي، وكان معه عبوة ناسفة يريد إلقاءها على البيت الذي يتواجد فيه جنود الاحتلال ، وكانت طائرة في الجو تحوم في سماء المنطقة ، ثم ما لبثت ان اطلقت عدة صواريخ على مكان الاشتباكات، وعندما حضر محمود ادخلته امرأة إلى البيت، فقام بتجهيز الأسلاك، وبعدهاهدم الشهيد جدار بيته ليتمكن المقاتلون من النيل من الجنود ، ومن شدة المقاومة انسحب الجيش، وأصيب محمود بشظية في يده ، جاء إثرها بعض المقاومين من الحي الشرقي يريدون ذخيرة، فذهبت مع محمود معهم إلى حارة الحواشين وامدهم بالذخيرة .

(٦-١٩-٦) : المقاتل ح. غ :

كنت أتواجد مع مجموعة الشهيد طوالبة حيث أبلغنا الأخ محمود أنه على يقين بأن الجيش سوف يقتحم منزله فأخرج أسرته ، وقام بزرع العبوات داخله ، وحين دخل عليه الجنود قام بتفجيرهم ، فقتل وأصيب عدد منهم ، فالشهيد كان ينتظر الشهادة بفارغ الصبر ، وكان يهتف للمقاومين قائلا : (إن النصر صبر ساعة ، فقلت له : أخ محمود هل سنهزم هذه القوة الهائلة من الجنود ، فأجابني : نعم بالإيمان بالله والعقيدة والإرادة القوية ، فقلت له إن الحرب كرّ وفرّ فقال لي الشهيد : هذه الحرب بالنسبة لي هي كرٌ؛ نصر أو شهادة) .

(٦-١٩-٧) : الشاب يوسف صالح :

خلال المعركة نصب الشهيد طوالبة كمينا لقوات الاحتلال داخل أحد المنازل الواقعة في الحي الغربي من المخيم ، وعندما تقدم الجنود نحو الموقع اندلعت اشتباكات عنيفة بين المقاتلين الذين قادهم محمود وبين

الجنود ، حيث أمطروا الجنود بوابل من الرصاص ، وتمكنوا من قتل جندي وإصابة عدد آخر من الجنود الصهاينة ، وأصيب محمود بشظية في يده خلال المعركة ، ولكنه حمل البندقية في اليد الأخرى ، واصل القتال ، وخلال ذلك أصيب الشاب أحمد الطوباسي برصاص جنود الاحتلال في قدميه ، نسي الشهيد محمود جرحه ، وأخذ يعالجه ، ويقدم له الإسعافات الأولية حتى تمكن من تأمين الطوباسي في منطقة آمنة . وخلال المعارك جميعها تميز بصلابته ورفع معنويات المقاتلين ، وكان يتحدث إليهم ، ويردد التكبيرات ، ويقول لهم اصبروا إن النصر صبر ساعة وتوكلوا على الله فنحن أقوى من طائراتهم وقوّتهم ، لأننا نقاتل عن عقيدة وإيمان . وشاهدت الشهيد لا يكتفي بالقتال بل ويحمل العبوات في أكياس على ظهره ، ويتفقد جميع المواقع شخصيا ، ويوزع العبوات على المقاتلين ، وهو يرفع معنوياتهم ، وكان يمد المقاتلين بالرصاص والذخيرة باستمرار . في إحدى المرات قام الشهيد طوالبة بنصب كمين مع مجموعة من المقاتلين بالقرب من بيت (أبو رشاد النورسي) ، وعندما تقدم الجنود انقضوا عليهم ، وتمكنوا من قتل ضابط صهيوني من دورية المشاة ، خلال ذلك وقف محمود في مقدمة المقاتلين وصرخ : تقدموا . الله أكبر والنصر للإسلام .

(٦-١٩-٨) : خليل طوالبة (شقيق الشهيد) ١١ سنة :

عندما بدأ الهجوم أخلى محمود المنزل لأنه كان متأكدا من قيام الجيش الصهيوني بمداهمته ، فعمل على تفخيخه ، وهو يرفع معنويات أسرته والجيران ، ويقول لا تحزنوا على الهدم والتخريب والقصف فكله في سبيل الله ، والله معنا وسيعوضنا أفضل وأكثر ، وحاصر محمود محيط المنزل ، وجلس ينتظر لحظة اللقاء مع الصهاينة برافقة عدد من المقاتلين ، كما وزّع مجموعة من المقاتلين حول المنازل ، ونصبوا كمينا آخر للجنود ، وعندما اقتربت القوة من المنزل هاجمها ، فقتل واصاب عدداً منهم ، فلجأت القوة للهرب إلى داخل المنزل ، فقام محمود بتفجيره ، بعدها أبلغت إحدى النساء محموداً بأنه توجد مجموعة من الجنود في الأزقة ، وهتف : الله أكبر . وقاد المقاومين الى الموقع ودارت معركة قوية استمرت عدة ساعات . وقد سمع جميع الأهالي صراخ الجنود .

(٦-١٩-٩) : شهادة مقاتل من كتائب القسام في معركة مخيم جنين - عن موقع المركز الفلسطيني للإعلام :

ومن حالات الاستدراج التي تمت للجنود ما حدث في محيط منزل الشهيد محمود طوالبة والذي يقع على أطراف المخيم ، حيث تمركز (٤-٦) جنود صهاينة في محيط المنزل، وبعد اشتباك قصير تمركزوا في داخل البيت ، وعندها قام المقاومون، ومن ضمنهم الشهيد محمود طوالبة، بحفر أحد جدران المنازل المجاورة لإدخال عبوة كبيرة إلى داخل منزل طوالبة الذي يتواجد فيه الجنود ، وفي نفس الوقت كان المقاومون مشتبكين مع الجنود لإجبارهم على البقاء داخل المنزل ، والجنود يستغيثون بالمقاتلين، ويقولون: (يا شيخ ، يا حج) - يقصدون الشيخ محمود والحاج علي- ويلحون بالعفو، وذلك بعد أن نفذت ذخيرتهم، ولم تتمكن الفرق الأخرى من الوصول إليهم لشدة نيران المقاومة ، والمقاومون إذ ذاك يكبرون تكبيرة العيد بشكل جماعي وهم يمطرون الجنود بالرصاص حتى أن أحد شبان المقاومة أصيب في يده وهو يطلق النار على الجنود هناك ، إلا أنه استمر في إطلاق النار ويده تنزف ، ورفض الانسحاب من موقعه ، وبعد أن تمكن المقاومون من إلقاء العبوة الكبيرة إلى داخل المنزل وتفجيرها ، هدأت الأصوات، وعمّ السكون في المكان، وانسحب المقاومون بعد أن غنموا عددا من الأسلحة و (مهدّة باطون) وأدوات إسعاف أولية، وبعد حوالي نصف ساعة تم إخراج جثث الجنود من داخل المنزل ، وحسب شهود العيان فقد كانت ما بين أربعة إلى ستة أكياس سوداء .

ويضيف : التفخيخ كان السمة البارزة لكل أزقة المخيم فما أن يتم استدراج الجنود إلى أحد الأزقة حتى ينسحب منه المقاتلون، ويتم تفجيره بالجنود ، وهذا ما حدث في زقاق بيت الوشاحي يوم السبت رابع أيام المعركة حيث قتل الجنود بالعبوات وسط إطلاق كثيف للنيران عليهم .

(٦-١٩-١٠) : ت. م شاهد عيان / مخيم جنين :

في اليوم الخامس كما أذكر كنت في بيتي في الحارة الغربية من المخيم ، وفي ساعات منتصف الليل نظرت من شباك إحدى الغرف فرأيت بعض المجاهدين، وكان بينهم المجاهد محمود طوالبة وغيره من

مجاهدي سرايا القدس ، وعرفت اثنين آخرين، ولم أعرف الباقين ، كان في وضع كمين ، وعندها بدأت الانفجارات تدوّي والرصاص يتطاير من كل مكان ، وما رأيته هو أن جنوداً صهاينة كانوا يتراكضون نحو الجهة الغربية هاربين من نيران المجاهدين، ورأيت بأم عيني جنديين من الصهاينة قد دبت النار في جسديهما وهما فارّان من رصاص المجاهدين ، وكان الصراخ يخرج من أفواههم، ويرددون كلمات وجملاً بالعربية : (مشان الله يا شيخ) . وكان الصراخ يأتي من أكثر من صهيوني ، وكان بعضهم يصرخ بالعبرية التي لا أعرفها ، فما كان من مجاهدينا إلا أن بدأوا يهتفون: الله أكبر الله أكبر .

(٦-١٩-١١) : فضل (من الأمن الوطني) ٢٤ عاما :

دخلنا إلى المخيم وكنا نعمل تحت قيادة (أبو جندل) ، كنا (٣٦) مقاوماً من الأمن الوطني، قام أبو جندل بإعداد غرفة عمليات لنا وتقسيمنا إلى مجموعات ، ووزّعها على المواقع ، وكل مجموعة تقوم بالدفاع عن موقعها وعدم ترك أي موقع مهما كلّف الأمر ، كان يقوم أبو جندل بتفقد مواقع المقاومين باستمرار ، بدأت المعركة في منطقة الجابريات عندما تقدمت مجموعة من المشاة والقوات الخاصة ، تم تفجير دبابة بعد أن قام الشيخ محمود طوالبة بزراعة الألغام ، وحدثت اشتباكات بعد أن نصب المقاومون كمينا لها ، وكان من بين المجموعات مجموعة زياد العامر ، فاستشهد زياد في هذه المعركة بعد أن حاول إحضار البنادق التي تركها جنود الاحتلال بعد أن فرّوا إلى منطقة الجابريات، واستشهد عماد مشارقة، وكنا نقوم بتعزيز للمجموعات التي حوصرت ...

نصبنا كميناً قرب بيت (أبو فادي) القريب من بيت محمود طوالبة ، كنا نحن الأمن الوطني ومجموعة من سرايا القدس ، فحدث اشتباك مع الجنود الذين كانوا يقومون بتمشيط المنطقة ، فقامت مجموعة من سرايا القدس بعملية التفاف على الجنود وفاجؤوهم بوابل من الرصاص والعبوات ، فقتل عدد من الجنود وفرّ الباقون وغادرنا الموقع ، وعندما استشهدد طارق درويش قال أبو جندل له : أبلغ ضرغام زكارنة يفرد البساط لأنني قادم إليه ، وبعدها قمنا بنصب كمين من ثلاث مجموعات : مجموعتين من الأمن الوطني ومجموعة من سرايا القدس ، وعندما تقدم الجنود قرب بيت (أبو بسام الشافعي) ، قامت المجموعات

بإطلاق النار وقذف القنابل عليهم ، فقتل عدد من الجنود ، وحوصر باقي الجنود في البيت ، فنادينا عليهم بأن يسلموا أنفسهم ، وجاءت طائرة إلى الموقع ، فقصفت مواقع المقاومين ، فانسحبنا مئات الأمتار نحو البيت الذي استأجره طوالبة ، وتابعت الطائرة القصف ، فاصاب صاروخ أحد البيوت ، فاستشهد خمسة شبان ، وبعد أن زاد الضغط علينا انسحبنا إلى حارة الحواشين ، فقام الجهاد الإسلامي بمدّنا بالرصاص وكرتات البلفون ، ثم أعدنا ترتيب الصفوف من جديد ، وبعدها قمت بتسليم نفسي بعد أن نفذت الذخيرة مني .

(٦-١٩-١٢) : مراد - طالب :

في اليوم الثاني للاجتياح قصفت (الطيارة) بيت جارنا (أبو محمد) ، واندلّعت فيه النار ، وسمعت جارنا وأولاده وهم بعيّطوا وبيصرخوا ، أبوي ركض عشان يساعدهم ، بس الطيارة ظلت تقصف وتقصف حتى اندلعت النار في بيت جارنا أبو عصام فقعدت أنا وأمي وإخوتي وصرنا ندعو الله يساعدهم وينقذهم ، وفجأة سمعت أبوي بيقول الله يحميهم الشباب بدهم بيجوا يساعدونا وبعد شوية قال أبوي وهو كان يتطلع من شباك دارنا : الله أكبر ، محمود طوالبة ومعه خمسة مقاتلين وصلوا . صاحت أمي لما سمعت اسم محمود طوالبة وراحت على الشباك وقالت إلهم : (ارجعوا يا محمود ، الطيارة فوقنا ، احنا فداكم) . ولكن محموداً قال لأمي وشفته بيضحك : (لو جابوا مائة طيارة ، مش خايفين منهم ، واحنا فداكم يا خالتي) حبيت على بطني ووقفت بحد أبوي وأمي ، وتطلعت من الشباك ، وشفت محمود طوالبة وأصحابه وهم بيحاولوا يطفوا النار ، وبعدين دخلوا دار جارنا وساعدوه وأولاده ونقلوهم . وسمعت أبوي بيقول : لو تأخر محمود شوية ماتوا كلهم ، والله إنه بطل ، الله يحميه ويخليه للمخيم وفلسطين ... علشان هيك أنا بدّي أصير زي طوالبة لما أكبر .

(٦-١٩-١٣) : علاء - طالب :

يوم الجمعة احتل الجيش مجموعة بيوت في حارة (ابو غليون) - حي يقع في أعلى المخيم ويمتد مع منطقة الجابريات التي تحصن فيها الجيش الصهيوني ، وحاول التسلل للمخيم من خلالها - ونصبوا كمائن

للشباب ولكن محمود طوالبة والمقاتلين عرفوا بالخبر ، والله العظيم أنا شفت محمود وعشرة شباب مسلحين لما حاصروا الجيش ، وصاروا يطخوا عليهم ، ويضربوا أكواع ، وسمعت الشباب بيصيحوا : (الله أكبر ، عليهم يا أبطال) ، والجنود كانوا يعيّطوا ، ويصرخوا ، ويسبوا على شارون حتى أجت طيارة وساعدتهم .

(٦-١٩-١٤) : هشام عيسى اسماعيل سمارة :

(٣٧ عاما - طباخ -الأصل بريكي - حيفا)

عندما شنت قوات الاحتلال الهجوم على مخيم جنين كنا نتواجد في منزلنا في حي الدمج حيث حدثت معركة قوية جدا في المخيم رغم قيام الجيش بقصف البيوت بالطائرات والدبابات وإحراق عدة بيوت وتجريفها ، وكان من بينها بيتنا . كانت تلك اللحظة أصعب لحظات حياتي . عندما بدأت قوات الاحتلال بتجريف المنزل كنا ثلاثين نفرا هاجمونا دون سابق إنذار ، ورغم صراخنا عليهم واصلوا الهدم بهدف قتلنا ، وبعد إغلاق كل الطرق في وجهنا وهدم البوابة الرئيسية لم يتبق أمامنا سوى فتح طاقة في الجدار والخروج منها ، ذهبنا إلى بيت جيراننا ، ولكنهم لاحقونا ، وبدأت الجرافة بهدمه أيضا ، فهربنا عبر فتحة من الجدار قام المقاومون بفتحها ، ولكنهم واصلوا مطاردتنا من بيت لآخر ، وهذه المرة قصف المنزل بالصواريخ ، ثم أجبرنا الجنود على الخروج من البيت تحت تهديد السلاح .

معركة المقاومة تميزت بالشجاعة والجرأة والعظمة ، فقد قاتل الأبطال بقيادة الشهيد طوالبة ببسالة ، وكان المقاومون قد زرعوا عدة عبوات في مداخل الحارة ، وعندما يتقدم الجنود أو الدبابات كانوا يقومون بتفجيرها ، كان قائد هذه المجموعة محمود طوالبة ، قتل عدة جنود هنا بالقرب من بيتنا بعدما أنقذ حياتنا ، لن أنسى ذلك ما عشت ، فلولاه لقتلنا الصهاينة ، وقد كان محمود قد جاء إلينا قبل الاقتحام وصعد إلى سطح المنزل وكان يراقب الجيش عبر الناظور . كان يرفع من معنويات الشباب ، وكان يقوم بتصنيع العبوات وزرع الألغام ، وقام بخلع شباك منزل (أبو عماد الغريب) وإخراجهم من الشباك ، ثم حدثت معركة بين المقاومين بقيادة محمود طوالبة والجيش ، وتم قتل اربعة جنود ، كان يقرأ القرآن

للمقاومين، ويحدثهم عن الشهادة وعن معركة بدر، وكيف أعز الله المسلمين بنصرهم، وكان المقاتلون يصلون في الشوارع؛يتيممون ويجمعون، وكانت فرقة تصلي وفرقة تحرس ، وعندما أشرف الطعام على النفاذ كنا نتقاسم ما تبقّى من الطعام حتى نبقى على قيد الحياة مع المقاومة التي دافعت عنا ببسالة .

(٦-١٩-١٥) : الشيخ بسام السعدي :

(٤١ عاما - م. جنين - من أبرز قادة الجهاد الإسلامي في جنين)

خلال فترة اجتياح المدن الأخرى سرّعت المقاومة خطوات الاستعداد للدفاع عن المخيم ، أعلنت حالة من التأهب واليقظة في الليل والنهار، توزّع المجاهدون على جميع نواحي المخيم ، بحيث أحاطوا به كالسوار بالمعصم ، وضعت المتاريس من أكياس الرمل في الأماكن الحساسة في مواقع عديدة لتسهيل عمل المقاتلين وحمايتهم من الرصاص والقذائف، زرعت المقاومة مداخل المخيم بالعبوات المضادة للدروع والآليات وبكثافة ، وقد ساهم الشهيد القائد محمود طوالبة (قائد سرايا القدس في جنين) مساهمة كبيرة وأساسية في زرع العبوات، لأنه كان متخصصاً وخبير متفجرات ، وكعادته فقد حمل الحفار (الكونغو) ، وأخذ يحفر الحفر على امتداد الشوارع الرئيسية وفي مداخل المخيم، ويزرع العبوات، يساعده في ذلك بعض المقاتلين، وكثير من الصبية، دون الالتفات إلى الانتماء التنظيمي أو الحزبي، فقد كان الشهيد طوالبة محل إجماع وطني من جميع الحركات. اشترك الجهاد الإسلامي بثلاثة أجنحة عسكرية يقودها الشهيد القائد محمود طوالبة ، والأسير الحاج علي الصفوري(السعدي) ، والأسير ثابت المرداوي ، يقودون عشرات المقاتلين بالأسلحة الرشاشة والأنصار (حاملي الأكواع) ، حيث كان الشهيد طوالبة يطوف أنحاء المخيم كافة ، وتركز ثابت في حارة الدمّج والحارات المجاورة ومعه القائد طه الزبيدي ، أما الحاج علي الصفوري فكان في حارة الساحة والحي الشمالي من المخيم .

في ليلة اليوم الثاني أو الثالث من المعركة - لا أذكر بالضبط - توجهت أنا والشيخ إبراهيم جبر من حماس وذلك في تمام الساعة التاسعة مساءً على وجه التقريب للتعرف على ما يجري ، مررنا من الساحة وفي شارع الحدّه الذي يشق المخيم ، وصعدنا إلى الحارات المرتفعة ، حارة حارة ، كانت الكهرباء

مقطوعة، صوت القذائف والرصاص من كل حدب وصوب ، طائرات الأباتشي لا تغادر سماء المخيم لدقيقة واحدة ، وهناك طائرة استطلاع للتجسس ، حددت مساحة مناورتها فوق سماء المخيم أيضا ، وذلك لكشف المقاتلين ومواقعهم ، إمكانات هائلة لا تستخدم إلا في الحرب بين الدول ، عشرات الدبابات تحاصر المخيم والمدينة وتقطع الطرق الرئيسية ، في أثناء سيرنا ونحن متوجهون إلى حارة الدمج ، كان الليل دامسا بسبب انقطاع التيار الكهربائي، فقد استحدث المجاهدون كمائن في البيوت بناءً على خبرتهم المتراكمة في جميع الحارات والأحياء ، وتعاملوا بالشيفرة (أي كلمة للتعارف تسمى (سرّ الليل) التي تغير كل فترة ، وأثناء مسيرنا اعتُرضنا أكثر من مرة، وطُلب منا أن نقول كلمة السر ، فعرّفت بنفسي بأن الذي يتكلم معكم (الشيخ بسام السعدي) ، وكانوا يسهلوا لنا المسير عندما يعرفوننا ، عندما وصلنا إلى مداخل حارة الدمج بعد مشقة وعناء ، بسبب تواجد الطائرات المكثف ، ونيران القناصة المتركزين في البيوت في أعلى المخيم، وكذلك كمائن الشباب الذين لم يكونوا يعرفوننا بالظلام ، وجدنا على كل مدخل للحارة مجاهداً ، أو أكثر ، فسألتهم عن الشيخ محمود طوالبة، فاصطحبنا أحدهم من خلال زقاق لا يتعدى عرضه متر أو أقل ، إلى داخل حارة الدمج المغطى قسم من أزقتها بالسقوف، وتشبه البلدة القديمة في نابلس، ولكن بشكل مصغر جدا ، فدخلنا على بيت، وإذا بالشيخ المجاهد طوالبة ومجموعة من إخوانه في (سرايا القدس) ، وعددهم لا يقل عن اثني عشر مجاهداً ، عدد منهم نيام ليستريحوا ، وكان من ضمنهم الشهيد القائد طه الزبيدي ... ضيّفنا الشيخ محمود فنجاناً من القهوة، وكان منهمكا – كعادته– بالإعداد لمواجهات اليوم التالي ، سمعته يقول: نريد أن ننسف دبابة الميركافاة صباح غد ، فقال له أحد المجاهدين: بل ننسف الجرافة ، فرد عليه طوالبة: بل الميركافاة، لأن الميركافاة فيها عدد أكثرمن الجنود ، وكذلك لكي تلغي الدول التي ترتبط بعقود تجارية مع إسرائيل هذه العقود ، مما يعود بخسائر جسيمة على الكيان الصهيوني ، كان عنده بعد نظر استراتيجي أيضا .

قال له أحد المجاهدين :ما هو برنامجنا لهذه الليلة ، فقال : نبقى يقظين ، ولكن اطمئنوا فإن الجنود الصهاينة لا يهاجمون بالليل لشدة جبنهم ، ومن تجربتنا السابقة معهم في المعارك السابقة،فان المعركة تبدأ عند بزوغ الفجر ، مكثنا في زيارة القائد الشهيد أكثر من ساعة تقريبا ، ولم نرد الإطالة عليه مع حبنا

الشديد له، وذلك بسبب انشغاله على مدار الساعة في الإعداد والتجهيز للمعركة، وعدنا أدراجنا، وكانت الساعة بعد العاشرة مساء .

(٦-١٩-١٦) : أ. أ. هـ .مقاتل من السرايا - ٢٢ عاما :

كان الشيخ محمود طوالبة -رحمه الله- دائم الحركة والتنقل، فقد خاض معركة الحارة الغربية في المخيم، وأصيب قرب منزله في اليوم الثاني للاجتياح وقد استطاع استدراج قوات إلى منزله ، ثم قام بتفجيره بيده، كما استطاع -وبنجاح- استدراج قوة ثانية إلى منزل شافع السعدي مع القائد (أبو جندل) حيث تم الإجهاز على اربعة جنود، ثم زاد القصف الجوي بعد ذلك لتنسحب، فأجد- بعد ساعات- الشهيد محمود في حارة جبارين على الشارع الرئيسي ، ثم انتقل إلى حارة السمران بعد سماعه حصار قوات الاحتلال لمجموعة من مقاتلي حماس بقيادة محمود الحلوة رحمه الله ، وقد تمكن هو ومجموعة من سرايا القدس وقوات الأمن الوطني من فك الحصار عن المقاتلين هناك رغم القصف الجوي ، كما أنه عاد وتمركز في منزل جواد القاسم لحماية حارة الحواشين من الجهة الغربية مقابل حارة السمران التي سقطت في اليوم السادس من المواجهة وقد كان محمود - الذي كان يحمل حقيبة إلى جانبه - دائم الحذر والحرص وداعيا ربه سبحانه وتعالى دوما أن يرزقه الشهادة ، وكان كذلك مثال القائد الواعي ، ذات ليلة قمت بالتسلل إلى منطقة الساحة لإلقاء عبوات ناسفة على مجموعة من القناصة تمركزوا في أحد المنازل ... فرأيت شخصا كامنا بالقرب من الزقاق الذي كنت فيه ... طلب التعريف، فتبينت انه الشيخ محمود، فعرّفته بنفسي ، فقال : ماذا تريد ؟ قلت : أريد أن ألقي عبوات على منزل يكمن فيه القناصة ، قال : دع عنك هذا ... فنحن بحاجة إلى العبوات الآن فلا مجال الآن للتصنيع، حافظوا على كل طلقة .

(٦-١٩-١٧) : ف. س -مقاتل :

كان المقاومون بقيادة الشهيد طوالبة قد وزّعوا العبوات الناسفة في مداخل المخيم ، وكان القائد طوالبة يتسلم قيادة المقاومين في المحور يتنقل على جميع المجموعات ، وقام الشهيد بإلقاء خطاب على المقاومين

بأننا سنظل نقاوم حتى نفاذ الذخيرة ، وبعدها سنكون جميعا استشهاديين نحرق بأجسادنا الأعداء الحاقدين ، وعندما حدثت اشتباكات بالقرب من بيت (أبو بسام الشافعي) ، وكانت قوية جدا ، فقام المقاومون بالانسحاب إلى وسط المخيم ، فقام القائد طوالبة بدعم المقاومين بذخيرة ، ثم غادر المنطقة فاشتد القصف على مواقع المقاومين ، فتم الانسحاب إلى حارة الحواشين ، فقام الشهيد بترتيب الصفوف من جديد ، وأمرهم بأن يتوزعوا على المنازل حيث تكون كل مجموعة أربعة مقاومين لنصب الكمائن للعدو ...

(٦-١٩-١٨) : عبد الرحمن راغب - ١٧ عاما :

يوميا كنت أشاهد محموداً وهو يوزع العبوات على المقاتلين ، ثم يزرع الألغام ، ويقوم بتفخيخ المداخل الرئيسية وبعض المباني ، ومن ضمنها بيته ، وكان لا يعتمد على أحد بذلك بل يزرعها بنفسه ، ويتابع الاتصالات مع كافة المحاور ، ويصدر تعليمات القتال والمعركة ، وهو يرفع معنويات المقاتلين والأهالي .

لم يعرف الخوف فوضع حول جسده وأجساد عدد من الشبان أحزمة ناسفة . وقد خطط الشهيد لنصب كمين للجنود في منزله الذي كان يتوقع اقتحامه ، فزرع فيه الألغام ، وعندما دخل الجنود المنزل قام بمهاجمة الجنود بالأسلحة الرشاشة ، وتمكن من قتل ضابط القوة ، وأصيب عدد من الجنود ...

خلال المعركة توجه إلى حي الدمج ، فعلم أن الأهالي يعانون من نقص في المواد التموينية ، فخاطر بحياته مع مجموعة من المقاتلين ، وجهزوا المواد المطلوبة ووزعها على الأهالي رغم انتشار القناصة الصهاينة المكثف في المنطقة .

لقد كان الشهيد قويا جدا لا يخاف الموت ، وعندما كان يعلم بحصار الجيش لمجموعات المقاومين يهبّ مع مجموعته لنجدتهم ، فيشتبكوا مع الجنود حتى يتم فك الحصار عن مجموعات المقاومة .

وكان متواضعاً باع روحه ونفسه لله ، وتجد ذلك في قتاله البطولي في كل المواقع ، ففي حي الدمج حاصر الصهاينة ثلاثة مقاتلين لمدة ساعة ، ولدى وصول النبأ لمحمود سارع لنجدتهم على رأس مجموعة من المقاتلين ، واشتبكوا معهم لعدة ساعات حتى نجحوا في إنقاذهم . طوالبة كان قائدا مركزيا للمقاومين ،

دائم الحركة يبادر في الهجوم ويتميز في أنه أول المهاجمين وآخر المقاومين المنسحبين ، ولدى نفاذ الذخيرة لم يكن يعجز عن توفيرها وتوزيعها على المجموعات من كافة الفصائل .

في إحدى المرات خطط لأسر عدد من الجنود ، وبالفعل حاصرهم داخل منزل في مدخل جورة الذهب ، وسمعنا الجيش وهو ينادي عليه ، سلم نفسك لقوات الجيش يا محمود ، فكان يرد عليهم بقوة : سلّموا أنتم أنفسكم للمقاومة ...

(٦-١٩-١٩) : منير أ. ع - مقاتل :

كنا متواجدين مع الشيخ محمود طوالبة في المنطقة الغربية عندما احكم الحصار في احد الأزقة ، فبادر محمود لإخلاء الأهالي ، ثم فتح ثغرات في الجدران ، ونجح في إيهام الجنود بانسحاب المقاتلين ، ثم هاجمهم مع مجموعة ، ونال منهم قتلى وجرحى ، ويضيف : خلال المعركة طلب بعض الشبان من محمود تفخيخهم ليقوموا بمهاجمة الجنود وتفجير أنفسهم لحظة الخطر .

في اليوم الثالث تسلّم محمود نداء استغاثة من المقاتلين في حي السمران بعدما حاصرتهم قوات الاحتلال ، فانطلق دون تردد للموقع ومعه مجموعة من المقاومين وأمطر الجنود بوابل من الرصاص والعبوات وتم فك الحصار عن المقاومين .

وخلال المعركة نفذت ذخيرة المقاتلين في حي الدمج ، فبادر محمود وامدّهم بالسلاح ، ولم يكن يفرق بين المجموعات بسبب انتمائها ، فكان رمزا للمقاومة والوحدة الوطنية .

(٦-١٩-٢٠) : ع. ب . س - مقاتل :

في إحدى المرات حاصرنا الجيش قرب حي البلاّص ، فعلم محمود بالأمر ، فسارع مع مجموعة مقاومين للموقع وهو سعيد لأنه سيواجه الجنود وجها لوجه ويفك أسرنا ، وكان يردد : نريد الشهادة الآن أو قتلهم ، إما نحن أو الصهاينة ، والله معنا وسننتصر ...

فنصب عبوة جانبية ، ثم ألقى عدة أكواع في جهة ، وانسحب مع المقاتلين فورا للجهة الأخرى ، ليفاجأ الجنود به وبرفاقه يمطرونهم بالرصاص حتى تمكن من قتل ضابط ، ثم هرب الجنود من الموقع ، وانسحبنا

بقيادة محمود لموقع آخر بعد أن وزع علينا القنابل والعبوات . خلال عملية الهدم والحشد الصهيونية التي تركزت حول حي الحواشين والدمج تفقّد محمود جميع المقاتلين ، واطمأن عليهم ،وجهّز عدة أحزمة ناسفة ووزّعها على عدة شبان ، ثم امرهم بأن يستعدوا للمعركة قائلاً لهم : إنه يومكم يا أحباب الله والشهداء . وارتدى الحزام ، ثم قال لهم : جميعنا استشهاديون . ثم رافقناه إلى حارة الحواشين ، وهو يواصل الحديث عن الشهادة والمقاومة ، وعندما رأى جميع الشبان محموداً يرتدي حزاما لبسوا الاحزمة، وكبّروا . ومن المؤكد أن الشهيد خطط بشكل مشترك مع باقي المقاومين عملية قتل الجنود ال(١٣) في حي الحواشين .

(٦-١٩-٢١) : أحمد محمد طوالبة (والد القائد الشهيد محمود):

شارك محمود في جميع معارك المخيم ، وقاتل ببسالة ، وشاهدته دوما يحمل سلاحه ويقاتل ويطلب الشهادة ، وفي الاجتياح الأخير مر بالقرب من منزل أقمنا فيه بعد تعرض منزلنا للعدوان والقصف ، فأسرعت نحوه وعانقته وقبّلته ، كان ذلك في اليوم الثاني للمعركة ، وطلبت منه الحذر ، فشدّ يديَّ ،وقال لي: إن الله معنا ، فارض عليّ (يابا) ، وادعو لي بالنصر أو الشهادة ، فضممته لصدري ، وقلت له : الله يرضى عليك ويحميك ، فانطلق سعيدا كالريح ، وشاهدته يتجول من موقع لآخر يتفقّد المقاتلين ويوفر مستلزماتهم من سلاح وذخيرة وتموين . وأبلغنا رفاق محمود أنه خلال المعركة كان يكبّر بشكل دائم ، ويقول للمقاتلين :(الجهاد الجهاد يا إخوتي فمفاتيح الجنة معكم) .

بعد أسبوع من المقاومة داهمت قوات الاحتلال منزل قريبنا ، محمود حسين ، الذي أقمنا به، فاعتقلوني مع جميع الشبان المتواجدين فيه ، واقتادوني إلى منطقة الساحة ، وعندما عرفوا شخصيتي بدأ بعضهم يصرخ بأنه والد طوالبة ، فغضب احدهم ، ووضع سلاحه في رأسي وهو يقول : ستموت كما يقتل ابنك الإسرائيليين . إلا أن أحد الجنود منعه ، وقال للجندي باللغة العبرية : لا تطلق النار ، فكل الاحترام لهذا الشخص . وقام الجنود بتفتيشي ، ثم قيدوني ، واقتادوني الى مركز الإدارة المدنية في سالم ، وهناك نُقلت الى قسم التحقيق ، لأقابل عددا من ضباط المخابرات الذين استجوبوني حول محمود بشكل مهين ، وحرموني النوم والطعام .

بعد يومين طلبني ضابط المخابرات ، وقال لي : محمود قتل . قتله الجيش في المخيم، فادركت أنها كذبة ومحاولة لخداعي، فتمالكت أعصابي ، ولم أهتم به ، فغضب، وصرخ :أليس محمود ابنك ؟ فقلت : نعم، فقال : كيف تخلّف واحداً مثل محمود ؟ فرددت قائلا : الله خلقه وليس أنا ، فقال : صحيح ، ولكن أنت ربيته لقتل اليهود ، ولكن محموداً مات ، فقلت له ببرود : إذا استشهد، فالله يرحمه ، فغضب، وشتمني، وهددني بقتل جميع أُسرتي ، ثم نقلوني للتحقيق في سجن (عوفرة) وأمضيت تسعة عشر يوما معتقلا في ظروف صعبة، فالحياة في السجن صعبة ، فقد وضعونا في (بركسات زينكو) ومنعونا من الاستحمام ، ومعاملتهم لا تقل سوءاً عن وجبات الطعام السيئة التي قُدمت لنا ، والتي كانت نصف زر بندورة وقطعة خبز قديمة لأربعة أشخاص ، هذا إضافة لعزلنا عن العالم الخارجي، ومنعنا من مقابلة الصليب والمحامين والاتصال بأسرنا .

عندما أفرج عني من سجون الاحتلال عدت فورا للمخيم، فتيقنت من استشهاد محمود ، فلم أحزن او ابكي بل عانقت طفليه وقلت : هذه أمنيته فاللهم تقبّل شهادته .

محمود رمز للمقاومة والجهاد والأمتين ؛ العربية والإسلامية ، وإنني فخور بهذا القائد البطل الذي لقّن الصهاينة دروسا لن ينسوها ، ونحن نعاهده أننا سنمضي على دربه حتى النصر والتحرير وأضاف : استقبلت نبأ استشهاد ولدي بالقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم ارحمه وتقبل شهادته واجعله لنا شفيعا يوم القيامة .

(٦-١٩-٢٢) : ميسون طوالبة (شقيقة الشهيد القائد) :

في آخر مرة شاهدته فيها في المعركة الأخيرة كان يوم الخميس ، وبعد إصابته برصاص العدو الصهيوني ، فطلبت ورفاقه منه الاستراحة ومرافقتي للمنزل لإسعافه ، والاستراحة لبعض الوقتْ فرفض، وقال لي : توكلي على الله ، وسيكون كل شيء بخيرٌ . حتى ان ابنته كانت معي ، فلم يتمكن من عناقها بل نظر إلينا بحب وحنان ، وانطلق مسرعا نحو المعركة التي كانت الحلم الذي انتظره طويلا ، فخلال الفترة الماضية لم يتوقف لسانه عن الحديث عن المعركة ومواجهة العدو وحب الجهاد والشهادة ، وفي إحدى

المرات حضر للعشاء لدينا بعد منتصف الليل ، فأمضى ربع ساعة تحدث فيها فقط عن معاني الشهادة والجنة ، وعندما كنا نطلب منه الحذر ، يرد : (روحي ليست بيد شارون ، روحي بيد الله ولن أختبى) ، وخلال الاجتياحات السبعة التي تعرض لها المخيم لم يخرج منه ، أو يرتاح بل دوما في مقدمة الصفوف .

عندما بلغني نبأ استشهاده تمالكت أعصابي لأني تذكرت محموداً وهو يطلب مني الدعوة له لنيل الشهادة ، ووصيته بعدم البكاء والحزن عليه ، وقلت :الحمد لله رب العالمين ، فقد طلبت الشهادة ورزقك الله إياها ، فمبروك عليك الشهادة يا محمود .

بعد استشهاد محمود أصبحت صورته لا تفارقني ، ورأيت في المنام قبل أيام محموداً يأتي إلى بيتي ، عانقني ، وقال لي : هل شاهدت ما حدث في المخيم ، دمره الصهاينة ، وأخذ يبكي ، ويقول : المخيم راح ، فقلت له : لا تحزن يا أخي فما دام المخيم يملك مقاتلين ومخلصين مثلك إن شاء الله سيعود مثل أول ، وأحسن . واستيقظت لأكتشف أنه حلم ، ولكن الحقيقة أن محموداً يبقى معنا في كل لحظة .

(٦-١٩-٢٣) : ظريفة طوالبة (شقيقة الشهيد القائد) :

في كل اجتياح كنت أحضر لرؤيته والاطمئنان عليه ، وعندما أشاهده أبكي ، فكان يغضب ويطلب مني عدم البكاء ويقول لي : توكلي على الله ، وإن كنت تحبينني فادعي لي بالشهادة في ساحة المعركة وأنا أقاتلهم وجها لوجه ، فكنت أدعو له وأتمنى أن يمنحه الله الحياة حتى يحقق رسالته وحلمه في تحرير فلسطين .

في الاجتياح الأخير أصيب محمود برصاص العدو الغادر فأحضره الشباب قرب منطقة منزلي ، وعندما شاهدته مصابا ذعرت وخفت ، ولكنه لم يكن متأثراً بل يضحك ، ويبتسم ، وعندما سألته عن حالته وصحته سلّم عليّ ، وطلب مني الهدوء وعدم الخوف ، وقال إنها لسعة نحلة عالجتها بسرعة ، رصاصهم لا يقوى علينا فنحن أقوى منهم ، ثم صافحني وانطلق مسرعا كالريح ، وقاتل حتى استشهد .

أبلغتني النساء في حي جورة الذهب ان محموداً اعتاد خلال المعركة على تفقد الأطفال والاهتمام بهم

وتوزيع الحلوى عليهم ، وحثّهم على الصمود ، وعدم الخوف ، وخلال القصف قام بمساعدة الأهالي وإخلائهم من المناطق الخطيرة ، وفي بعض الأحيان انفجرت صواريخ قربه فلم يخف أو يرتعد ، بل يوزع معنويات وقوة على الجميع ، كما قلن لي أنه حرص على المشاركة في كل معركة والقتال بعنف ، وتمكن من قتل عدد من الجنود ، وفي بعض المرات فك الحصار عن مقاتلين ، وأنقذ حياتهم .

قبل الاجتياح الأخير بيوم حضر محمود لبيتي ، ونام لفترة بسيطة ، فجلست قربه أتامله ، وأدعو الله أن يحميه ، وعندما استيقظ طلب كأس بابونج فشربها ، وتوضأ ، ثم ودعني ، وقال : رددي دوما قوله تعالى :(نصر من الله وفتح قريب) ، ولم يتكلم أكثر من ذلك .

وعن شهادته تقول : الله يرضى عليه ، ومبروك عليه الشهادة ، والحمد لله على هذه النعمة والمكرمة فقد جاهد في سبيلها ، ولم يكن ينام أو يهدأ – كما كان يقول –حتى لا يحرم الشهادة .

(٦-١٩-٢٤) : علاء (شقيق الشهيد القائد) :

في اليوم الثالث من الاجتياح – كما علمت – تقدم الجنود باتجاه حي الشلبي في مخيم جنين ، فأبلغه الأهالي بتحرك المشاة بشكل سريع وواسع ، فنصب لهم كمينا قرب دار الشلبي وباغتهم بهجوم سريع ، وقتل وأصاب عددا منهم . بعد أسبوع من المعركة شاهدت محموداً في حي الحواشين كان قد أطلق لحيته ويحمل حزاماً ناسفاً وحقيبة متفجرات ورصاصاً وسلاحه ويرتدي خوذة ، اقترب مني وسلّم عليّ وطلب إبلاغه عن مكان وجود والدتي ، فذهب إليها ، وشاهدها ، وطلب منها أن ترضى عليه ، ثم ذهب إلى حارة الدمج فتعرض لإطلاق صواريخ في محاولة صهيونية لتوفير دعم لقوات المشاة للاقتحام ، فواجههم محمود ، واشتبك معهم لعدة ساعات ، ثم انسحب إلى حارة الحواشين . علمت أنه اشتبك ومعه عدد من المقاتلين مع قوات الاحتلال في حي الحواشين ، وتمكن من قتل جنديين ، فاحضر سلكاً طويلاً ، وسحب الجنود من الشارع ، وصادر سلاحهم .

(٦-١٩-٢٥) : أبو عماد الغريب :

كان الشهيد محمود طوالبة قائدا عظيما ، وكان يرافقه ثابت المرداوي وبعض المقاومين متواجدين في حارتنا بالقرب من منزلنا ، فتقدمت فرقة من المشاة باتجاه منزلنا ، كانوا يطلقون النار والقنابل على البيوت بشكل همجي ، وكنت أنا وعائلتي في داخل منزلنا ، فدخل الشهيد محمود ومن معه إلى بيت الجيران، وقام بخلع شباك الغرفة ، وأخرجنا منه حفاظا على حياتنا ، وطلب من بعض المقاومين أن يرافقونا إلى مكان آمن ، ونصب كميناً للجنود داخل المنازل والأزقّة المجاورة ، وعندما اقترب الجنود إلى المنزل ، ودخل عدد منهم داخل المنزل بعد تفجير الباب الرئيسي ، ولكن كان البطل محمود طوالبه والمقاومون لهم بالمرصاد ، فاطلقوا النار عليهم بكثافة ، كما القوا عليهم بعض القنابل التي كانت بحوزتهم ، وعلى الفور قتل أربعة جنود ، واصيب آخرون، ورأيت بعيني كيف كانت الدبابات تنقل القتلى ، وتأتي الطائرة لتأخذ الجرحى، وانسحب المقاومون إلى مواقع أخرى من المخيم ، وهم يرددون وراء قائدهم محمود :(الله أكبر. قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) ، ثم قام الجيش الإسرائيلي بنسف المنزل بسبب ما كبدهم طوالبة من الخسائر الفادحة – رحم الله الشهيد البطل .

(٦-١٩-٢٦) : وجيهة - زوجة طالب حامد :

كان الشهيد محمود طوالبة مثالاً في الأخلاق الحميدة ، كان يعرف ربه ، باع نفسه لله عز وجل ، كان يقدم المساعدات للناس ، دب الرعب في جنود الاحتلال ، جعل دولة إسرائيل في حيرة من أمرها ، كان يرد الصاع صاعين ، كان مقاتلا جريئا لا يهاب الأعداء ، كان دائما في مقدمة المقاتلين ، كان دائما المبادر في الهجوم، في أول يومين من الاجتياح كان يتنقل من مكان لآخر ، كان يقوم برسم الخطط للمقاومين ويقوم بتوزيعهم على المحاور ، كان أكثر تواجده في حارة الحواشين ، عندما تضايقت وحوصرت مجموعة محمود الحلوة ، هبّ مع خمسين مقاوما وهاجموا جنود الاحتلال بالرصاص والقنابل حتى انسحب الجنود من المنطقة وفك الحصار عن المجموعة المحاصرة ، نصب كميناً بالقرب من بيتنا حيث وضع مواسير مفخخة على الجدران، وعندما تقدّم الجنود تم تفجير القنابل فقتل عدد من الجنود وأصيب آخرون ...

كان يمد المقاومين بالقنابل والرصاص ، فرأيته يعطي مجموعة (أبو جندل) قنابل ورصاصاً بعد نفاذ الذخيرة منهم ، وكان يحمل على ظهره كيسا مليئا بالمتفجرات ، ويوزع على الشبان ، سمعته يكبّر ، والمقاومون يرددون من ورائه ، وكان يقول لهم: ان النصر صبر ساعة توكلوا على الله ، هبوا أنفسكم لله ، بارك الله فيكم ، إمّا حياة تسر الصديق وإمّا ممات يكيد العدا ، فكان دائما يجعل المقاومين في معنويات عالية ، كان يقول للمقاومين: لا تتحركوا مجموعة واحدة كي تتفادوا الصواريخ ، كان محمود متواجدا في حارة الحواشين ، فجاءه خبر بأنه تدور اشتباكات عنيفة بالقرب من بيت أم فادي ، فأخذ ثلاثة من المقاومين وكبّر وذهب إليهم ... كان خجولاً يتكلم مع النساء دون أن ينظر اليهن ، كان إذا أراد دخول بيت يستأذن أصحاب البيت إن وجدوا ... رأيته يعطي الشباب كرتات بلفون من أجل الاتصالات ، ونقوداً من أجل شراء الغذاء ، لقد خاطر بنفسه وذهب إلى الساحة ، واحضر تموينا ، ووزّعه على الناس في حارة الدمج ، كان إذا أحضر له شخص معلومات عن وجود الجيش كان يقول له: بارك الله فيك . كان يصلي مع المقاومين في الأزقّة .

(٦-١٩-٢٧) : منير ابراهيم عرسان :

كنا متواجدين في منطقة بيت محمود طوالبة ، فقمنا بفتح فتحات في الجدران ، وقام محمود والمقاومون معه بالهجوم على الجنود ، فقتلوا عدداً منهم ، وأصابوا آخرين ، وكان قد فخّخ البيوت ، وفخّخ عدداً من الشبان بعد أن طلبوا منه ذلك ، تحسباً للمرحلة النهائية حيث يفجر الشاب نفسه ، وكنا في حارة السمران حيث أعدّ كمينا للجنود بعد أن حوصرت مجموعة من الشبان فهبّ هو والمقاتلون معه وأمطر الجنود بوابل من الرصاص والعبوات ، وفك الحصار عن المقاتلين ، وبقي يصنع العبوات طوال الوقت ، ويمدّ المقاتلين بالعبوات والرصاص ، ذهبنا معه إلى الحارة الغربية ، وكان بعض السكان بحاجة إلى مواد تموينية ، فقام هو بنفسه يساعده بعض المقاومين بالمخاطرة ، واخذ كمية من المواد الغذائية وأرسلها إلى السكان ...

كان في بيت (أبو جواد) ينصب كمينا للجنود لإيقاعهم في الأسر كي يقوم بالضغط على إسرائيل من أجل فك الحصار عن المخيم ، كان يقوم بنصب كمائن عديدة للجنود ، وكان يوقع بينهم قتلى وجرحى ،

وضع قنابل على بعض الأشجار في شارع مهيوب، وعند قدوم المشاة إلى المنطقة كان يقوم بالتفجير ، فيفرّ الجنود من الرعب ... جاء مقاومون من حارة الدمج وطلبوا الذخيرة فأمدّهم بها ، لم يكن يفرق بين المجموعات، كان يهبّ بنفسه عند طلب الاستغاثة ، كان يصلي باستمرار .

كانت فرقة من الجيش الصهيوني في حارة طه الزبيدي، فوصل إليهم من بيت لبيت عن طريق فتح الطاقات في الجدران، فأمطرهم بوابل من الرصاص هو ومن معه من المقاومين وبالقنابل اليدوية ، فقتل ثلاثة جنود وأصيب عدد آخر وفرّ الجنود من الموقع، وبدأ بعدها بالتكبير، والمقاومون يرددون وراءه .

(٦-١٩-٢٨): م.م / مخيم جنين :

في اليوم الرابع كنت خارج مخيم جنين فاتصلت بأحد مجاهدي سرايا القدس لأطمئن على أحواله وأحوال المجاهدين الآخرين، فقال لي بأن معنوياتهم وإيمانهم بالله عز وجل عالية، وسألته عن القتال الدائر، فقال لي: ما زلنا نتمترس في حارة الدمج ، وهي في المنطقة الشرقية من المخيم ، وقال بأنهم استطاعوا إعطاب ناقلة جند وجرّافة صهيونية بواسطة العبوات الأرضية، ورأى بأم عينه ما يقارب ثمانية جنود ، جثثهم هامدة على قارعة الطريق ، وفي اليوم التالي اتصلت به عند ساعات الفجر ، فردّ عليّ الشيخ المجاهد محمود طوالبة فاطمأننت عليه ، وقال لي أن كل شيء على ما يرام وأعطى الهاتف للشخص الذي طلبته، وعندما كلمني المجاهد الآخر كان صوته يدل على أنه مصاب، أو أصابه الإرهاق، فسألته ما بالك تتلكم بهذه الطريقة فقال : إنني أصبت ببعض العيارات النارية، فسألته كيف أصبت ؟ قال : كنت أنا وبعض المجاهدين في أحد الأزقة، وقد قررنا استدراج بعض الجنود الصهاينة وعندما باغتناهم قمنا بإصابة أربعة منهم إصابات قاتلة ، وفرّ الجنود الآخرون يصرخون من شدة النيران، وعندما هدأت المنطقة ، قررت أنا واحد المجاهدين النزول إلى الجثث والاستيلاء على أسلحتهم ، وعندما وصلنا حملت أنا وصديقي السلاح وأخذنا بالجري عائدين إلى مواقعنا ، وفجأة شعرت بأنني أصبت من بعض القناصة الذين كانوا يعتلون بعض البيوت، وأخذت بالجري حتى وصلت إلى باقي الشباب والدماء تسيل مني، وقام الشباب بعمل الإسعاف الضروري لي والحمد لله .

(٦-١٩-٢٩) : ك . ض- ٣٧ عاما من مقاتلي فتح :

في وقت لاحق انتقلت إلى منزل الشهيد عبد الرحيم فرج حيث وجدت والده هناك وقد لجأنا للمنزل احتماء من الطيران بعد أن نفذنا عدة هجمات قتالية ، وهناك جاء الشيخ محمود الذي تناول رشفة من القهوة، وصافحنا ، وعاد قائلا : لا داعي للجلوس ما استمر اليهود في مخيمنا ، يجب أن لا نركن للهدوء ولو لحظة. وخرج مع بعض المقاتلين ... كان ذلك في اليوم الخامس.

(٦-١٩-٣٠) : أ. ن- ٣٢ عاما من مقاتلي فتح :

لا زلت أذكر ذلك اليوم ، في اليوم السادس من المعركة حيث اشتدت المواجهة بمحاذاة غربيّ حارة الحواشين ، وهناك تسللت قوات من الجيش الإسرائيلي لأحد المنازل ، عندها كان لا بد من الاستعانة بالمواد المتفجرة ، الشيخ محمود كان قائد تلك المجموعة التي كانت تعالج هذه القوات ، لم تنفع العبوات الصغيرة لذا لا بد من عمل شيء ، قرر الشيخ محمود فجأة أن يذهب بنفسه إلى الشارع الرئيسي المحاذي للمنزل الذي كنّا فيه مقابل المنزل الذي يتمركز فيه الجنود ، وذلك لإحضار عبوة ناسفة كبيرة الحجم من الشارع بعد أن لم تمر يومها أية دبابة ، وبدون تردد ذهب الشيخ محمود وحملها على كتفه رغم خطورتها وخطورة الموقف والمغامرة ، وعاد الشيخ يحمل على كتفه تلك العبوة الكبيرة ، واحضر المهدّة وطلب منا الاستمرار في إطلاق النار ، وتقدّم يحفر في الحائط الذي يؤدي للمنزل الذي يتواجد فيه الجنود ، بقي يضرب الحائط لوقت طويل حتى أنهى ، وقام بتركيز العبوة في الجدار وقلنا له أن يمدد الفتيلة ، ففعل ، وانسحب إلى الخلف ، وأشعل الفتيلة ، وما أن وصلت النار إلى العبوة الكبيرة حتى حدث الانفجار الذي دمّر المنزل الذي كان فيه جيش الاحتلال تدميرا تاما ، وسمعنا صراخهم وبكاءهم ، وعندما أدركت قوات الاحتلال ما حل بها شرعت الطائرات بالقصف المركّز على كل المنازل المحيطة بالمنزل المذكور ، وقد نجونا بأعجوبة ،وذلك بفضل تصرّف الشيخ محمود الذي قام بمعالجة القناصة ، وفتح لنا الطريق للابتعاد عن مرمى النار ، وانضم لمجموعة أخرى كانت في منزل قريب .

(٦-١٩-٣١) : م. النورسي :

(من مخيم جنين – منزلهم في وسط حي الحواشين)

في اليوم الثالث عندما اشتد الضغط الصهيوني على المخيم قاد طوالبة مجموعة من المقاتلين أطلقوا على أنفسهم (الاستشهاديين)، وتسللوا بين المنازل ، وقام بتفخيخ مداخل المخيم وبعض المنازل ، ونصب العبوات الجانبية في الطرقات ، ثم وزّع المجموعات على محاور المخيم وفق خطط عسكرية مدروسة استفادها من الاجتياحات الإسرائيلية السابقة ، وسمعته يردد أن مواجهة الاجتياح والعدوان الصهيوني رحلة جهاد ركيزتها الصمود في المعركة ، وكان يؤكد لرفاقه المقاتلين ضرورة الثبات والصمود والمقاومة وعدم الانسحاب أو الفرار والهرب مهما كلّف الثمن ، وتجسد ذلك خلال الكمين الذي نصبه قرب بيت (أبو رشاد النورسي) ، حيث لاحظ الجنود يتقدمون للموقع فأخلى سكان المنطقة، وتولى عملية زرع مواسير من تصنيعه عبأها بالمتفجرات على جدران المنزل ، وعندما لاحظ طوالبة الجنود يدخلون المنطقة قام بتفجيرها ، فأصيب عدد من الجنود وسمعنا صراخهم وبكاءهم الذي استمر لعدة ساعات .

وفي حادثة أخرى نصب طوالبة مع رفاقه كميناً لقوة راجلة من الجنود كانت تتقدم نحو حي الحواشين قرب منزل (أبو العبد الزبيدي) وبيت (أبو جواد) ، وتركز المقاتلون بناءً على خطته في عدة محاور حتى وقعت القوة في الكمين وهوجمت بشكل مباغت ، وعجزت عن التراجع أو صد المقاومين ، فقتل سبعة جنود ، وعندما تقدّمت قوة أخرى من الجنود لإخلاء جثث القتلى اشتبك طوالبة والمقاومون معها ، وأمطروها بالرصاص وقتل خمسة جنود ، وأصيب عدد آخر سمع جميع سكان الحي صرخاتهم وهم يستغيثون .

وفي حادثة أخرى نصب طوالبة كمينا في منزل سمير سولمي وسط المخيم، واشتبك مع الجنود الصهاينة، وقتل ثلاثة جنود والرابع كان يخاطب محموداً بصوت عال: لا تقتلني، أنا عربي، ويصرخ . إلا أن المقاومين قتلوه ، وتم إحراقه بالبنزين الذي كان مخصصا للدبابات ، ونجح طوالبة في الوصول إلى شارع العودة وزراعة الألغام فيه، ولدى وصول الدبابات الإسرائيلية للمنطقة قام طوالبة بتفجيرها فأصيبت وأعطبت ، وفرّ الجنود من داخلها . وكان محمود يقوم بتوزيع كرتات للهواتف على المقاتلين إضافة للمساعدات المالية من أجل تموين أنفسهم بالذخيرة والغذاء .

كان خجولا لدرجة أنه يرفض الدخول للمنازل لتناول الطعام والاستراحة ، وشوهد يحمل معه دوما بعض قطع الخبز التي يغذي منها رفاقه ويتغذى منها شخصيا .

وفي اليوم السابع اشتدت المعركة في المخيم حيث كان طوالبة يقود معركة عنيفة استشهد خلالها ثلاثة من رفاقه المحببين إليه ، فبكى عليهم بشدة ، وأقسم على الثأر لهم أمام الجميع ، وودعهم وهو يقول : لن نرحم القتلة ، اقسم بالله سننتقم .

(٦-١٩-٣٢) : منتصر - طالب :

اختبأ الجنود بين أفراد أسرتنا بعدما حاصرهم محمود طوالبة ورجال المقاومة لما كنا نايمين ، اقتحموا دارنا ، أكثر من خمسين جندياً نسفوا الباب بالقنابل ودخلوا الدار مثل المجانين ، حطّوا أسلحتهم في روسنا وهم يصيحون : وين الشباب ، وين السلاح ، يلا ارفعوا أيديكم واللي بتحرك بطخّه . أخذوني أنا وأمي وأخواتي على المطبخ أما أبوي وإخوتي الشباب فربطوهم وحطوهم بغرفة ثانية . ومنعونا نشرب أو نروح على الحمّام وضربوا أختي علشان طلبت شربة ماء ، وفي الليل بلّشت المعركة وسمعنا صوت طخّ كثير . أمي قالت إلنا ما تخافوش لأن الشباب عرفوا بأمر الجيش وحضروا لطردهم من منزلنا واستمر الطخّ والانفجارات ، وبعد شويّ تفاجأنا بالجنود بيركضوا ويرموا حالهم بيننا ، كانوا خايفين ومذعورين وبيكفروا وبيسبوا على شارون . في جندي قعد بجدّي وهو بيرجّ من الخوف فقلت له : معك سلاح وخايف ؟ فاطلّع عليّ بحقد وغضب وألقاني أرضا وقال: لازم نقتلكم كلكم ، بكرة لما تكبر بتصير زيّهم.

تواصل صوت الاشتباك لأكثر من خمس ساعات والجنود كانوا عندما كان يلقي الشبان عبوة يصرخون ويبكون ويلقون أنفسهم على الأرض ، وشفتهم وهم يبكوا ويعيطوا .

(٦-١٩-٣٣) : ضياء - طالب :

حشد الاحتلال قوات كبيرة من الجنود والدبابات حول مدرسة وكالة الغوث ، فيما قامت الطائرات بتغطيتها وقصف المخيم من الجهة الشرقية ، ولكن شباب المقاومة اكتشفوا المناورة وقسّموا أنفسهم لعدة مجموعات توزعت في كافة المحاور بعدما اتفقت على عدم إطلاق النار على الدبابات وخداعها بعدم

وجود مقاومة حتى تصل لمنطقة الأحزمة الناسفة التي زرعها القائد طوالبة ، وبالفعل شاهدنا الدبابات تتقدم وسط إطلاق النار حتى قطعت المدرسة ، لحظتها شاهدت أبطال المقاومة وهم يفجرون الألغام بها ، ثم يحاصرونها بالأكواع ، منظر لم أنسه ، فقد حوصرت الدبابات وتسلل الشبان لمسافة قريبة منها وواصلوا إلقاء الأكواع حتى أصابت دبابتين اشتعلت النار بهما ، وشاهدت الجنود يحاولون فتح الأبواب والهرب ، ولكنهم لم يتمكنوا بسبب قوة المقاومة التي استمرت أربع ساعات حيث تدخلت الطائرات وقصفت المنطقة بشكل عشوائي ، وشاهدت الجنود يحضرون طائرة قامت بنقل جنود على الحمالات .

(٦-١٩-٣٤) : نديم - طالب :

بعد فشل الجنود في اقتحام المخيم من منطقة الساحة جعلهم يتوجهون للمدخل القريب من مستشفى جنين الحكومي ، ولكن المقاومة بقيادة محمود طوالبة كانت لهم بالمرصاد ، وقد هاجم الشبان والأطفال معا الدبابات والجنود بمئات الأكواع التي أصابت الدبابات بشكل مباشر مما أدّى لاندلاع النيران فيها وإعطاب بعضها وقال : شاهدت الجنود وهم يهربون من المنطقة . وفي حارة الدمج حاول الجنود التسلل إلى حي الحواشين إلا أن رجال المقاومة وأطفال المخيم بقيادة طوالبة كانوا لهم بالمرصاد . واكتشفوهم وحاصروهم بالأكواع والقنابل اليدويّة وتمكّنوا من إصابة عدد منهم بجروح .

(٦-١٩-٣٥) : الحاجة أم وضّاح :

يقع بيتنا في شارع العودة في مخيم جنين ، وقد رأيت الشهيد البطل طوالبة وهو يصنع المتفجرات ، فجاءني يوما وكان يسأل عن بعض المقاتلين ، فاخبرناه بأنهم ليسوا بهذه المنطقة ، واستأذن مني ودخل إلى المنزل ، وكان معه بعض المقاومين ، وطلب مني إذنا للسماح له بخلع الشبابيك من أجل أن يسهل مرور المقاتلين من بيت إلى بيت ، وأثناء مكوثه في البيت أنجبت ابنتي طفلة فسألته يا ابني يا محمود أريد منك أن تختار اسما لطفلتنا لتنال منك البركة ، فضحك بخجل ، وقال : بارك الله فيها ويشرفني ذلك ، ولكن ليس هذا من حقي ، ولكني ألححت عليه ، وخيّرته بين اسميْ اجتياح وصمود ، فابتسم ، واختار اسم (صمود) ، وبالفعل سميناها صموداً ، وقد قال ذلك عندما كان يتوضأ للصلاة ، وما زالت قطرات الماء

تنقط من لحيته . وتتذكر الحاجة اللاجئة أنه في أحد الأيام كان الشهيد محمود يصنع مواداً متفجرة ، فصنع العبوات الناسفة، وكان يجمع النفايات في أكياس، ويضعها خلف البيت، فطلبت منه أن أقوم برمي الأكياس، فكان يرفض ويقول لي : أنا ورفاقي سنقوم بذلك . كما أصيب الشهيد بتسمم نتج عن المواد الكيماوية التي كان يصنع منها المتفجرات بعد أن تناول الطعام دون غسل يديه – كان ذلك قبل الاجتياح بأيام ، فجاء عندنا وطلب مني أن أغلق المنزل حتى لا يراه أحد من المقاومين لأن وضعه الصحي تدهور، وخشي أن يؤثر ذلك في معنوياتهم ، فأغلقت المنزل حيث قام بمعالجة نفسه، وقاوم المرض، وكنت بين فترة وأخرى أقوم بتفقده ، وكنت أغلي له الحليب وأقدمه له . وبعد يومين شفي من المرض . تتوقف أم وضاح لتبكي، وهي تتذكر ذلك الشهيد الذي قالت عنه انه كان متواضعا جدا ، يداعب الأطفال باستمرار، ويقبّلهم ، ويقول لي: احرصي على هؤلاء الأطفال . وكان الشهيد يقدم لنا الشكر باستمرار، ويدعو الله أن يجزينا كل خير على وقفتنا الى جانبه والى جانب المقاتلين، ويردد دوما بارك الله فيك وجزاك الله خيرا ، كما أنه درج على تأدية الصلاة بكل وقت ويصوم غالبية الأيام ، وبقي يقاوم، ويصنع المتفجرات حتى الأيام الأخيرة .

(٦-١٩-٣٦) : هيثم عوض أبو زينة :

(٣٨عاما – محاسب في مستشفى الرازي – م. جنين)

إذا أردنا الحديث عن المقاومة فقائدها محمود طوالبة كان شجاعا لا يخاف الموت، كان أول الشباب في الهجوم ، وكان عندما يقوم المقاتلون بقتل جندي أو إعطاب دبابة يقوم بتوزيع الحلوى على الشباب ، رأيناه يصلي مع بعض الشباب ، كان يرفع معنويات الشباب ويكبّر باستمرار ، كان يصنع الشجاعة صنعا في نفوس المقاتلين ، وعندما يسمع عن وجود جيش كان أول المهاجمين ، نصب كمينا في حارة الدمج قرب بيت (أبو رشاد) ، وقتل أربعة جنود ...

(٦-١٩-٣٧) : حسن . ح . ع :

(٢٥ عاما – مخيم جنين – شارك في المعركة)

عرفت الشهيد محمود طوالبة من المسجد حيث كان يتواجد في المساجد ، مثقف ، مؤمن ، مقاتل في سبيل الله ، كان يحب الشهادة ، قرأت ذلك في أحاديثه خلال اجتماعنا به في الشارع والمسجد عندما يدعو الشباب للدين والجهاد ، ويحث الشباب على المقاومة والشهادة وطرد اليهود . الشهيد محمود محبوب في المخيم لأنه متواضع ، فإذا شاهد طفلا يسلم عليه ، لم يكن يتعامل بفوقية ، صحيح أننا خسرناه ، ولكن الله احبه ، وأعطاه الشهادة التي تمناها دوما . وأتذكر في الاجتياحات أن الوحيد الذي لم يكن ينام من بين المقاتلين محمود ، بل كان يستغل كل لحظة للعمل وتصنيع العبوات ، كما انه كان يقوم بكل شيء بيده ويتابع كل صغيرة وكبيرة ويزرع العبوات بيده ، يتقدم المجاهدين في المعركة وشارك في عدة هجمات خطيرة وجريئة ، وكنا لا نتوقع عودته ، مثلا في الاجتياح الأول تقدم إلى الحي الأمريكي وهاجم الجنود قرب (كازبة) الحافي ، واشتبك معهم عن مسافة قريبة ، لو لم يكن قائدا مخلصا لما فعل ذلك . أيضا عندما كان معتقلا لدى السلطة خرج جميع المخيم لحمايته والدفاع عنه لأنه مجاهد مناضل حقيقي وأول من صنع العبوات . في الاجتياح الأخير في اليوم السادس وبعد أن اشتدت المعركة ، جاء إلينا في أحد المنازل ، وكنا مجموعة من المقاتلين ، وطلب منا الخروج ، كان يرتدي زيا عسكريا وخوذة ، ويحمل شنطة أخرى ناسفة ، سمعناه يتحدث لرفيقه عبد الرحيم فرج وتعاهدا على الشهادة ، قال له : تعاهدني على القتال حتى الشهادة . وتعانقا ، وودعا بعضهما بعضا . قائد معركة المخيم محمود طوالبة كان يلف على الشباب ويوزع عليهم أسلحة ، اتصل بالمقاتلين وأحضرهم للمخيم . كانت فرقة الأمن الوطني في حارة السكة ، وعملوا تحت قيادته ، كان مسؤول مخزن الذخيرة ...

أتذكر أنه بينما كان يجلس مع صديقه عبد الرحيم فرج بعد معركة عنيفة سمعته يقول له : إنني أشم رائحة الجنة من هنا ، وأدعو الله إذا كتب لي عمرا أن يعطيني دبابة وطيارة وأبقى أجاهد حتى أستشهد ، وخلال اشتباك عنيف في حي الحواشين سمعناه يردد بصوت عال : الله أكبر ، قاتلوا وجاهدوا في سبيل الله ، فالملائكة تقاتل معنا ، واستبسل وهو يقاتل ، وكان سعيدا جدا .

(٦-١٩-٣٨) : م.س :

خلال العدوان لم يبق معنا شيقل واحد ، وعندما علم محمود بذلك غضب منا ، وقال لي : لماذا لم تطلب مني ، فنحن اخوة في الجهاد والمقاومة ، ولا يوجد فرق بيننا ؟ وأعطاني مبلغاً من المال ، فبكيت ، فأمسكني من كتفي وقال : (توكل على الله فهو يرزق الرزق ويقسم الأرزاق) .

(٦-١٩-٣٩) : محمد إبراهيم :

بعد الحصار المشدد والمعركة البطولية لم يبق معنا نقود لشراء شيء فاستدنّا من أحد المحلات ، وعندما علم محمود بذلك توجه لصاحب المحل ، وسدّد ديون الجميع ، لم يكن محمود مقاتلا فقط ، بل حريصا على كل مقاتل بأن تتوفر لديه كافة مستلزماته واحتياجاته .

(٦-١٩-٤٠) : تفاحة احمد محمد (والدة الشهيد القائد) :

قاد محمود المعركة البطولية في مخيم جنين ، واستبسل في المقاومة والتصدي ، وكانت آخر مرة شاهدته فيها يوم الإثنين – اليوم السادس للمعركة – فعندما اشتد القصف شعرت بقلق شديد عليه ، فخرجت لمعرفة أخباره ، وبعد بحث لعدة ساعات شاهدته في حي جورة الذهب لآخر مرة ، كان يرتدي زيا عسكريا ويعتمر خوذة ، ووضع على جسده حزاماً ناسفاً ،وبيده سلاحه ، فقبّلني ، وقبّل يدي ، وسألني عن زوجته وأطفاله ، ثم جلس معي خمس دقائق فقط طلب مني خلالها الدعاء له ، فكتمت قلقي وخوفي حتى لا أؤثر على معنوياته ودعوت له . بعد الاجتياح أقامت أسرتي في منزل لأقارب لنا في حارة الحواشين ، ولكن الصهاينة لاحقونا وقصفوه ، ثم اقتحموا المنازل ، واعتقلوا الشبان ، وشردونا في الشوارع ، وردونا إلى جنين يوم الإثنين ، فاقمنا في الحارة الشرقية ثم جمعية جنين ، كانت تلك أصعب لحظات حياتي ، الاحتلال اعتقل زوجي وابني الآخر ، ومحمود يقاتل ومهدد ، وبيتنا دمّر ، والقصف يشتد على المخيم ، وصور محمود وهو يوصينا بزوجته وأطفاله لا تفارقني حتى جاءني نبأ استشهاده ، فزعلت في البداية ،ثم وقفت بين يدي الله أدعو لمحمود وأقول :(اللهم تقبّل شهادته التي جاهد في سبيلها وسعى إليها ،

فقد رفض الاستسلام وأراد الشهادة فتقبّلها منه، وتقبّل شفاعته لنا، واجمعنا وإياه في الجنة) . وتمنيت في تلك اللحظة لو كنت معه ، أو لجانبه ، ولكن سرعان ما غادرت المنزل ، وصممت على الوصول للمخيم رغم الظروف الصعبة والحصار والخطر والقصف ، وبالفعل حضرت للمخيم وعلمت باستشهاده، ولكن قلقنا جدا حول مصير جثته التي عثر عليها فيما بعد ممزقة تحت التراب في منزل في جورة الذهب، وكنت أقف لجانب طواقم البحث والإغاثة خلال إخراج أشلائه، فشعرت أن محموداً ينظر إلي، ويحدق بي، وبصراحة كنت لحظتها أدعو الله أن يرزقه الحياة ليواصل جهاده ولكن الجميع أبلغني أنه محمود .

سأل أحد الصحفيين والدة محمود : لماذا لا ترتدي زيا أسود حدادا على الشهيد ؟ فقالت : أعوذ بالله . هل تريد أن أزعج محموداً وأزعله ، محمود أوصاني بأن أوزع حلوى بشهادته وأن لا ألبس أسود ، وأنا أبارك لمحمود شهادته، وأقول له: شعب فلسطين كله يعتز بك ، وسيمضي على دربك، ولن ييأس أو يستسلم .

تتذكر أن الشهيد حرص على إقامة علاقة مميزة مع أسر الشهداء ، ويوزع عليهم المساعدات ، وفي آخر مرة شاهدته رأيته يعود إلي شهيدا ومشاعل النور تحف به، فمن لحظتها أدركت أنه لن يعود ، فباركت له الشهادة .

أم محمد (والدة الشهيد القائد محمود) امرأة فلسطينية وقورة ترتدي الزي الريفي الفلسطيني التقليدي البسيط ، تتحدث بلهجة الأم المجاهدة الصابرة التي لا تبخل حتى بأبنائها عن الجهاد ، لذلك كانت خلال حديثها تردد بشكل دائم الأدعية المختلفة التي تعبر عن اعتزازها بالشهيد ، وتتمنى على الله أن يرزقها الشهادة مثله ، كانت تشعر بمعنويات عالية، وتتحدث بطلاقة وروح مفعمة بالنشاط والحيوية ، يطغى على حديثها سمة الإعجاب والاعتزاز ببطولات ابنها والتقدير الشديد له ، لا تفارق الابتسامة محياها خاصة عندما تردد اسم محمود ، تتوقف عدة مرات لتتذكر ، أو تروي القصة، فسجل محمود – كما قالت– طويل وحافل، وما شاهدته أثر عليها ، وجعلها تنسى الكثير .

أم محمود قررت العيش مع زوجة محمود وأطفاله لتربيتهم وفق النموذج الإسلامي الرائع الذي نسجه ابني –كما تقول– ونحن لن نخذله ، أو نتخلى عن وصيته مهما كانت الظروف والصعاب والمشاكل ...

(٦-١٩-٤١) : شقيق الشهيد زياد العامر-٢٢عاما:

قام الشهيد محمود طوالبة بتفخيخ مداخل المخيم وبعض البيوت والسيارات والأشجار ، وكان الشهيد قائدا في المحور ، ويتنقل باستمرار بين جميع المجموعات المقاتلة من كافة الفصائل والتنظيمات ، يمدهم بالذخيرة والقنابل الجانبية والعادية ، ولكن كان شيء واحد يجعله يخطط ويفكر بقلق وغضب ، وعندما نسأله : ما بك : يرد علينا بالقول : أفكر في حل لمقاومة الطائرات وتجنيب المقاومين قدر الإمكان من الإصابة بصواريخها ، في نفس الوقت بقي يصنع المتفجرات حتى الأيام الأخيرة من المعركة ، كما قام أيضا بحشو مواسير المياه بديناميت ، وعندما يتقدم الجنود يقوم بتفجيرها ، لم يكن يقاتل فقط ، بل كان يتفقد الناس والمقاتلين ، وكان يقوم في بعض الأحيان بتوزيع التموين على الناس وبعض المقاتلين ، سمعت أنا شخصيا محموداً يخاطب بعض المقاتلين ويقول لهم : إذا أردتم التسليم فأنا لن أسلم نفسي ، فحمل بندقيته وحقيبته المملوءة بالمتفجرات ، وقال : أنا أريد الشهادة ، وإن شاء الله سأنالها ، ولقاء ربي أفضل لي من أن أقبع في سجون الاحتلال ، وعار علي أن يقتلوني وأنا أقوم بتسليم نفسي لهم ، وكان الشهيد يستأذن أصحاب البيوت التي يريد دخولها .

(٦-١٩-٤٢) : محمد فرج - ٢١سنة :

قام الشهيد بتجهيز العبوات وزرعها في مداخل المخيم وأزقته وزرعها على بعض الأشجار ، وكان الشهيد قائدا لجميع المجموعات في المخيم ، وكان مركز قيادته في حارة الحواشين - محور المخيم - ، قام الشهيد بتفخيخ مواسير المياه وحشوها بمادة متفجرة ونصبها على جوانب الطريق ، وعندما يقوم الجنود بالتقدم نحوها يتم التفجير ، وكان يتواجد محمود معنا ، وعند اتخاذ القرار الصعب؛ التسليم أو الشهادة ، كان الاختيار بالنسبة له سهلا ، فاختار الشهادة ، وقال للمقاومين افعلوا ما شئتم ، وحمل بندقيته وغادر المنطقة .

(٦-١٩-٤٣) : يحيى . ف. - مقاتل :

في اليوم السابع من المعركة تعب الجميع إلا طوالبة ، فقد تميز بعزيمة وقوة فولاذية جعلتنا نتسابق لنكون

مثله ، ففي صبيحة ذلك اليوم هدأت المعركة على غير المعتاد لمدة ساعتين ، توقف الاحتلال عن عملياته ، فشك طوالبة بالموضوع ، وطلب من الجميع الاستنفار والحذر والاستعداد لأن ما يجري يؤكد وجود مخطط احتلالي خطير ، وبالفعل توقعه كان دقيقا وفي محله ، فقد بدأت الهجمة الاحتلالية الجديدة على محورين من حي الدمج وجورة الذهب وابو السباع ، وكانت تقودها الجرافات والبلدوزرات التي شرعت في هدم المنازل والتقدم باتجاهنا ، عندها وقف محمود وقال : استعدوا ، الآن ستبدأ المعركة الحقيقية ، واستمرت عملية الهدم بشكل سريع فأبدى بعض المقاتلين حالة من الخوف والقلق مما أغضب محموداً الذي بدأ يتلو آيات من القرآن الكريم ، ثم قال لهم : انفروا في سبيل الله ، واصبروا فالنصر صبر ساعة ، ثم انطلق صوب الموقع حاملا حقيبة متفجرات ، ونصب كمينا للجنود في منزل (أبو جواد) في جورة الذهب ، وكان صائما ومعه المقاتلون : أشرف أبو الهيجا وعبد الرحيم فرج ، وشادي النوباني الذين قاتلوا معه حتى استشهدوا في المعركة جرّاء القصف الوحشي الصهيوني .

(٦-١٩-٤٤) : الشاب هيثم :

تقدم الجنود الصهاينة في اليوم السابع نحو ساحة مدخل حي الحواشين ، وتحت غطاء الطائرات حاولوا الدخول للحي ، ولكن المقاومة بقيادة محمود طوالبة و(ابو جندل) تصدوا لهم وهاجموهم ، شاهدت الأبطال وهم يهتفون : الله أكبر ، ويرفعون معنويات بعضهم البعض ، وهم يرددون الأناشيد الوطنية فيما كان الجنود يصرخون ، ويبكون ، ويطلبون النجدة . استمرت المعركة هذه وجها لوجه اربع ساعات ، استبسل خلالها الأبطال ، وخاصة طوالبة وأطفال الأكواع في التصدي حتى اندحر الجنود من الحي وهم يبكون ويجرون أذيال الخيبة .

(٦-١٩-٤٥) : دلال نشأت سمارة :

(٣٠ عاما - ربة بيت - مخيم جنين)

كان المقاومون يهاجمون الاحتلال بقلوب قوية، يريدون الشهادة أو النصر ، وكان محمود طوالبة – عندما يسمع بوجود جيش– في المقدمة رغم تحذير الشباب له بأن يبقى في الخلف لأنها لم تكن المعركة الأخيرة، ولكنه يرفض، سمعنا الجيش يطلبون منه وقف إطلاق النار لإخلاء جرحاهم وقتلاهم، ولكنه كان يرفض متعللاً بقوله : كما يقاتلونك قاتلهم. قام بتلغيم بيته، وقتل ثلاثة جنود، وقد كانوا طلبوا منه الابقاء على حياتهم قائلين: يا شيخ محمود، خذ سلاحنا ونحن سنخرج ولن نعود، ولكنه قال لهم : إنكم لا تعرفون الله ،وقام بتفجير البيت عليهم.

وفي حادثة أخرى أخبروا الشيخ محمود بأنه يوجد جنود بالقرب من بيت (أبو عماد الغريّب)، فأخذ مجموعة من المقاومين، وكان أهل المنزل متواجدين فيه، فقام بخلع الشباك وإخراجهم من المنزل، ثم بدأ الهجوم عليهم، وقتل أربعة جنود، وبعدها انسحب إلى حارة الدمج، وفي أثناء الانسحاب قام بإعداد عدة كمائن، كان ينجح فيها بقتل جنود وإصابة أعداد أخرى ، كان طوالبة متديناً يتمتع بأخلاق رفيعة ، وكنا ننصحه بالكف عن هذا العمل، فكان يخبرنا عن الشهادة والجنة وعن مرتبة الشهيد، وان الحياة عبارة عن رحلة من المخيم إلى جنين، وأن الذي يتاجر بها سيكون خاسراً، وأن الروح فقط بيد الله وحده .

(٦-١٩-٤٦) : فتحي خالد دمج :

(٤٣ عاما – مخيم جنين)

اجتاح الجيش الإسرائيلي المخيم، ولم يستطع الاقتحام، وبدأوا بهدم المنازل دون سابق إنذار، وكان المقاومون في داخل الحي (حي الدمج) يدافعون عن المخيم وعن كرامة الأمة ، وقام الجيش بحشد قوات كبيرة وإحضار آليات وبلدوزرات وطائرات، ولم يستطع الجيش اقتحام الحارة لمدة ثلاثة أيام، وبعدها بدأوا بهدم البيوت ، وكان الناس يهربون من بيت إلى بيت ، وتجمع في بيتنا (٤٥) نفراً، ونفذت المواد التموينية من كثرة الناس، ولم نكن مستعدين لذلك ، وبعد عشرة أيام نفذ الطعام، وتسللت امرأة أجنبية كان معها ماءٌ وأعطتنا إياه ، وعندما ذهبت لإحضار الطعام لم تعد إلا بعد أسبوعين، لأنها بعد الهدم لم تعرف مكان

البيت .

قاموا بإنزال فرق مشاة، وحدثت معركة شرسة للغاية قتل فيها ثلاثة جنود او اربعة جنود ، وكان قائد هذه المجموعة محمود طوالبة وطه الزبيدي، وبعد مقتل الجنود قاموا بضرب المنطقة بالصواريخ حوالي (١٥٠) صاروخا ، ثم قاموا بهدم المنزل ، ومن الضغط انسحب المقاومون إلى مواقع أخرى ، وبعدها حدث كمين لثلاثة عشرجندياً حيث قاموا بوضع اربع سخانات متفجرات، وعندما اقترب الجنود منه تم التفجير، ثم قام المقاومون بإمطار الجنود الذين لم يدخلوا بوابل من الرصاص، وكانت النتيجة خسارة فادحة للجيش الإسرائيلي ، وكانوا يصرخون ،وولوا هاربين لا يعرفون أين يذهبون ، وعلى اثر ذلك استمر الهدم ،والمشاة وراءهم، وعندما دخلت فرقة لإسعاف الجنود كان الشبان قد اعدّوا كمينا فتمّ قتل عدد منهم واصابة آخرين، وكان طوالبة أينما يعلم بوجود جنود يطاردهم، وعلى إثر ذلك جاء موفاز وشارون إلى مواقع الجيش، فقاما بتغيير الجنود الذين انهارت معنوياتهم ، وتبديل لواء جولاني ...

(٦-١٩-٤٧) : سعيد عبدالله سويطات :

(٤٠ عاما - مخيم جنين)

بدأ الجيش الإسرائيلي باجتياح المخيم، وكنا نرى الجنود بكثافة والدبابات التي تحيط في المخيم، واحضروا الجرافات، وكانت معركة شديدة استخدم الجيش فيها الطائرات بقصف المنازل ومواقع المقاومين، ولكن المقاومين الذين كانوا في حارتنا كانت معنوياتهم عالية جدا ، فقد جاء محمود طوالبة قبل الاجتياح بيوم وطلب من الناس أن يستعدوا للمعركة وتخزين الطعام، وطلب من كبار السن والعجزة والمرضى مغادرة المخيم حرصا على حياتهم ، وصعد محمود فوق أحد المنازل ، كان يراقب الجيش بالناظور، وكان يضع سواتر رملية على مداخل الأزقة ، وكان يقول للناس إما النصر أو الشهادة، وعلى الحالتين نحن منتصرون ، كان محمود يزرع الألغام، وتمّ تفجير دبابة في مدخل المخيم من حارة الدمج ، قام بخلع شباك (أبو عماد مشارقة) ، وإخراجهم من المنزل، ثم شنت فرقة من المشاة هجوما ، فقام بقتل أربعة جنود ، وكان معه ثابت مرداوي، وكان يكبّر باستمرار، والمقاومون يرددون وراءه ، بعد هذا الهجوم انسحبوا إلى

مواقع أخرى بعد أن اشتدّ القصف عليهم من الطائرات، وعلى إثر هذا قام الجنود بهدم المنزل .

(٦-١٩-٤٨) : أم محمد :

(والدة الشهيد محمد محمود – أحد شهداء معركة المخيم)

محمود طوالبة بطل شجاع والسباط الخاص به يجب أن يوضع شعاراً لكل زعيم عربي وعلى جبين كل زعيم مسلم، لأنه شهيد، وقائد مسلم، ومجاهد كبير ، لم أر مثيلا له في حياتي، ويجسد امتداداً لسيرة المسلمين الصدّيقين أحباب الرسول عليه السلام ، فكان يقوم بما هو مطلوب من جيش كامل، يدرب ويصنع ويقاوم ويشجع ويساعد ويطبب ويوزع لا يتوقف عن العطاء والعمل ليل نهار .

خلال معركة المخيم قُصِفَ الموقع الذي كان يقاتل فيه ولدي محمد واستشهد، فحضر محمود، رحمه الله، رغم الخطر الكبير، لمنزلي وعزّاني، وكان متأثرا جدا، ثم قال لي : لا تحزني أو تلبسي السواد فهو شهيد في عليّين، ونحن جميعا أولادك، وسنجاهد لنثأر لمحمد وكل الشهداء . فقلت له: ولكن المعركة شرسة، والعدو يريد قتلكم ، فقال: ونحن نريد قتاله ومقارعته والجهاد حتى نلقى وجه الله فلنا الجنة ولهم النار وبئس المصير . فحاولت إقناعه بضرورة التوقف والانسحاب من المخيم، وقلت له بإمكاني مع النساء حمايتكم وتوفير طريق آمن للانسحاب ، فرفض وقال : مستحيل ، فقلت له يجب أن نهرّبكم من المخيم ، سيقتلونكم . فقال : إنني أشم رائحة الجنة وسبقني إليها ابنك فلا تحرمينا منها ، لن أغادر المخيم إلا على جثتي، فقبّلته، وبدأت أتوسل إليه لإعادة التفكير من أجل أطفاله ، فقال لي : توكلي على الله وادعي لنا بالشهادة .

وتتذكر أم محمد أنه في اليوم الذي أنجبت فيه زوجته طفلها عبدالله فرح محمود كثيرا، واشترى عدة علب بسكويت، ووزع الحلوى على المقاتلين والأهالي، فتوجّهت إليه، وكانت المعركة على اشدها، وقلت له: رزقك الله بطفل ثانٍ وحقق أمنيتك فاهدأ وتوقف عن هذا الطريق من أجل أولادك ، فقال: لا إله إلا الله ، بقيت أمنية واحدة أجاهد في سبيلها ليل نهار، وصدّقيني عندما تتحقق سأرتاح ، فقلت له ما هي؟ قال: إنها الشهادة يا خالة ، وأضاف أنا أريد وأنت تريد والله يفعل ما يريد ، وإذا تخاذلت أنا ،

وتوقف ذاك عن القتال، وهرب الآخر فمن سيحرر فلسطين من رجس الصهاينة وإجرامهم ، بإذن الله طالت أم قصرت سننتصر عليهم .

بقي يرفض الخروج ومغادرة المخيم، وسمعته يقول لرفاقه: إذا خرجت من المعركة سأذهب عملية لأنهم لا يريدون إعطاءنا حقوقنا وحريتنا ، منذ ولادتي لم اشعر بطعم للحرية وحتى للسير حرا كريما في المخيم.

محمود كان أسداً ورجلاً حراً شريفاً يوزع معنويات وقوة على الناس والمقاتلين ، وفي يوم الاجتياح الثاني، وكان يوم الخميس، حضر محمود لمنطقتنا في وسط حي الحواشين ، كان سعيدا جدا ، ونادى عليّ وهو يردد خبراً عاجلاً ، فقال : لديّ بشرى سارة لكم ، فجلس على الدرج ، وقال : ضربناهم اليوم ضربة كبيرة ، حشقناهم قرب دار عفيف الدمج وقتلنا واحداً على الدرج والثاني على بوابة المنزل ، وبدأنا شبابا ونساء واطفالا بالهتاف ووزّع محمود الحلوى على الجميع .

وروى أهالي حي الحواشين أن (محمود طوالبة) كان شجاعا لا يهاب الموت والخطر، وفي اليوم الرابع للمعركة سقط صاروخ داخل أحد المنازل في الحي فاحترق ، فقفز محمود رغم تحليق الطائرات في المنطقة ، قفز داخل المنزل من خلال النافذة وانقذ حياة الأطفال وأصحابه ، وقال الأهالي : لو لم يتحرك محمود لمات الجميع أمامنا دون أن نتمكن من فعل شيء .

(٦-١٩-٤٩): خالد أبو (ع):

(٢٠ عاما – مخيم جنين)

كان طوالبة بطلا ، رمزا لوحدة المقاومة والانتفاضة والقضية ، يصنع العبوات لكافة الفصائل : حماس وفتح والأمن الوطني والجميع ، يصنعها ويوزعها ويعمل ويجاهد مع الجميع بروح وطنية وليس لديه عنصرية، وقد أهدى عمي مسدسا ليقاوم به رغم أنه حماس وليس جهاد إسلامي . وعرفت بوجود علاقة مميزة بين طوالبة والشهيد محمد مشارقة، وكانا يقومان بتصنيع العبوات معا ، ويمضيان وقتا طويلا في الاختبار والتجربة لاستحداث أساليب قتالية حديثة، ولا يتوقفان عن الحديث عن الشهادة والتضحية وفلسطين .

خلال الاجتياح الأخير شاهدت محمود طوالبة يقوم بحراسة عشرين مقاتلا ، فبعد معركة ضارية تعب

الجميع فيها ، طلب محمود من المقاومين الاستراحة وبقي مستيقظا حتى الرابعة فجرا ، فلم ينم بل أيقظ الجميع ، وطلب منهم الاستعداد للمعركة وتجهيز السلاح حتى لا يباغتهم الجنود وقال لهم : إنه يوم جهادكم وعزّكم ونصركم ، وتذكروا أن اليهود جبناء لا يمكن لهذا الجندي وإن كان مدججا بالسلاح والعتاد أن يصمد في وجهكم ، وروى لهم أنه في الاجتياح السابق وإثر عدة هجمات بطولية على مواقع لجنود الاحتلال ، قام أحد الجنود الصهاينة بإطلاق النار على قدمه ليهرب من المعركة ، فإذا قام الجندي بذلك فهم جبناء وعلينا مقاومتهم . كان خلال المعركة داعيا للإسلام والجهاد والشهاده ، وسمعته يحث الشبان على نيل الأجر الحسن بأعمالهم الطيبة ومقاومتهم البطولية ، وفي أحد الأيام قال لرفاقه بأنه نجح بتحضير عدة مفاجآت للعدو رفض الإفصاح عنها ، ووصفها بأنها سرّية فلا يمكن كشفها إلا في الوقت المناسب ، حيث ستفرحون جميعا ، تقربت منه وحاولت معرفة السّر فقال لي : يا أخي ، خذ سلاحك ، ولا تضع الوقت ، واذهب للساحة ، وانصب كمينا لعلّ الله يمنحك الأجر والثواب ، فكل خطوة جهاد لها مثيلها من الحسنات والأجر والثواب .

(٦-١٩-٥٠): م. ط- مخيم جنين :

خلال المعركة وقع خلاف بين (أبو جندل) وقيادة السلطة في المنطقة التي طلبت منه الانسحاب ورفضت تزويده بالذخيرة ، وفي أحد الأيام جاء لأبي جندل اتصال من قيادة المنطقة ، فرفض أبو جندل الرد عليهم لأنهم منعوا عنه الذخيرة فكان غاضبا ، ويبحث عن رقم الرئيس ليتصل به لإخباره بهذه الحقيقة . فردّ طوالبة على الاتصال ، وأبلغهم بموقف (أبو جندل) ، وتفوّه المتصل بعبارات أغضبت أبا جندل وطوالبة حيث قال لطوالبة : تعلّم الأدب أريد أن أعطي أبا جندل خطة ! ! ، فقال له محمود : إنه بحاجة لذخيرة (كلاشن) ولا يملك سوى طلقة واحدة ، اتقي الله بجنودك ويوجد ذخيرة في السيباط (والشخص المتكلم كان في الهاشمية) ، ثم زودهم محمود طوالبة وقائد من فتح بالذخيرة ، حيث كانوا يرابطون بالمنطقة الغربية في حارة طوالبة . محمود استشهد في اليوم قبل الأخير بعدما اشتدت المعركة مع الشباب وحوصروا في حارة الحواشين ، كان في الخط الأمامي ، وعندما أدرك أنه ليس من مفرّ ؛ إما التسليم أو

الشهادة، اختار الشهادة ورفض الانسحاب، وقال : أنا موجود هنا وتوكلوا على الله لا خطوة للخلف وتحصّن في منزل (أبو جواد القاسم) ، واشتبك مع قوات المشاة ومعه عبد الرحيم فرج وشادي نوباني في نفس البيت، وبعد فشل المشاة في التقدم وتصفيتهم ، قام الطيران بقصف استمر عدة ساعات على الموقع الذي تحصّن فيه علما أنه وضع حزاماً ناسفاً على جسده ورفض الاستسلام، وكان يردد : (إذا كان لا بد من الموت فعار أن نموت جبناء) ، كما لم يبق أحد إلا وقال له : اخرج أو استسلم ، فكان يقول : سأموت في هذا المخيم، من العار أن أترك من فتحوا لي بيوتهم ، أن أتركهم وقت الشدة ، وكلما مرّ في طريق كان الجميع يسلّم عليه ويصافحه، وهذا يطلب منه شرب ولو فنجان قهوة ، فالناس رغم مأساتهم لم يقصروا في المقاومين وقدّموا كل شيء لهم ، وكان بعضهم عندما اشتد القصف ، يقول : فليذهب المخيم وليبقى محمود والشباب الأبطال على قيد الحياة .

في اليومين الأخيرين، وبعد عدة معارك شرسة خاضها ، قالوا له : يا محمود ، ارحم أطفالك وزوجتك، فقال لهم وهو يضحك : لهم الله .

في حي جورة الذهب كان يجلس بعض المقاتلين في منزل الشهيدة أم العبد الزبيدي ويشربون أرجيلة فجاء محمود اليهم وقال لأحدهم وهو يشرب أرجيلة : لو جاء عليك شارون وشافك لجلطته ، قصف وصواريخ ودبابات وتشرب أرجيلة ؟ ! والله إنكم شعب بطل عظيم . وكان صديقه ثابت المرداوي من أبرز وأكثر المقاتلين صلابة وتمركزت عملياته في منطقة الدمج وحي البلاص، وشوهد مرداوي وهو يتصدّى وحيدا لقوة من المشاة حاولت التسلل من خلف المستشفى الحكومي وتمكن من مهاجمتها وتأخيرها حتى وصلت قوة إسناد ، وقاتلت لجانبه حتى دحروا القوة التي لو دخلت لاستولت على موقع حيوي مهم في المخيم. وروى أهالي حي الدمج أن مرداوي كان جريئا جدا ، ينصب الكمائن للجنود ، ويلاحق القناصة والفرق الراجلة، ويطلق النار عليها ، وقد قام باقتحام المنازل بشكل جريء لدى سماعه باحتلال الجنود لها ، وأطلق النار فيها ، وأصاب عددا منهم، وقد أثارت مقاومته رعب الصهاينة وهلعهم .

كان محمود زنبركاً لكل المحاور ، ويتصل عبر الناس، وعندما يسمع عن شباب بحاجة لنجدة يتحرك فورا ، ففي أحد الأيام وعندما حوصر الشباب في حارة طوالبة وكان في الدمج فأسرع لحارته ، وبينه وبين

الجيش أمتار فخلع شباك المنزل وقفز للداخل وعمل ثقبا كبيرا ، ودخل منه إلى البيت المجاور حتى أصبح بينه وبين الجنود أمتار ، فأطلق عليهم النار ، فحوصرت مجموعة كاملة ، ووجه نداء للجيش الإسرائيلي إما التسليم ورمي السلاح أو لا يكون أمامكم إلا الموت ، واستمرت المعركة مع الجنود حتى تدخل الطيران .

في حارة الدمج كان يضرب الدبابة بالعبوات الجانبية ، وتقلب أمام عينه ، وكان سعيدا جدا ، في حارة الدمج كانت النساء يساعدننا في هدم الجدران ودليلاً لنا حول تحركات الجنود ويعددن لنا الطعام والشراب والحراسة .

(٦-١٩-٥١) : أ.ب.غ - ٢١ عاما من أنصار حماس :

وقد انتقلت أنا إلى منزل قريب من الحارة ، وهو منزل الحاجة أم فتحي الناطور ، وهناك وجدت خمسة شبان ، وهم أشرف أبو الهيجاء وشاب من حماس يدعى عماد وشابان من الجهاد الإسلامي ، وشاب من فتح ، وهناك قمنا بتحضير أنفسنا وحماية المنطقة التي كنا فيها ، وقد علمنا أن الشهيد القائد محمود طوالبة يكمن في المنزل الملاصق للمنزل الذي كنا فيه حيث أعلمنا هو شخصيا أن لا نقترب نحن من المنزل الذي هو فيه ، لأن مهمته ومهمة إخوانه هي استشهادية ، وقد قمنا بتوديعهم عبر النوافذ . وبعد يوم تقدمت قوات كبيرة من الجيش وحاصرت المنطقة من ثلاث جهات ؛ الشمالية والجنوبية والغربية ، في حين قامت الطائرات بقصف مركّز لأزقة المنطقة الشرقية للحارة التي كنا فيها ، وقد علت مكبرات صوتهم الاحتلالية تطالبنا بتسليم أنفسنا .

(٦-١٩-٥٢) : الشهيد إياد أبو الليل:

(كنائب الشهيد عز الدين القسام – مخيم جنين – ٢٠ عاما)

منذ اللحظات الأولى لاجتياح المخيم أخذنا – أفرادا وتنظيمات– كافة الاستعدادات ، وقد التقيت في المواجهة للمرة الثانية مع الشهيد محمود طوالبة حيث أنني كنت معه في الاجتياح الأول في ١/ ٣و ٤/ ٣ ، وقد بقيت معه حتى انتهى الاجتياح ، أما الاجتياح الأكبر فقد كنا ننتقل معاً في عدة أماكن ، كان مركزنا في البداية حارة السمران ، وبعد قتال دام يومين دون نوم طلبنا من مقاتلي فتح أن يأخذوا مكاننا لنأخذ

قسطا من الراحة، وعدنا إلى قلب المخيم للاستراحة، ثم العودة إلى مواقعنا ، وعندما عدنا بعد ساعات في المساء وجدنا حارة السمران قد سقطت، وهناك حوصرنا بواسطة الطائرات بعد أن أطلقنا النار على مجموعة من الجنود ، وقد استطعنا ترك المنطقة والتوجه إلى حارة الحواشين، وهناك انضممت إلى مجموعة الشهيد طوالبة حيث كانت مؤلفة من الشهداء شادي نوباني وعبد الرحيم فرج وأشرف أبو الهيجاء وأنا ، ثم تركنا أشرف وغادر للمنزل المجاور، أما نحن فقد تحصّنا في منزل جواد القاسم على الجهة الغربية لحارة الحواشين وكان أميرنا الشيخ محمود حيث أنه قال لنا : (إن هذه المعركة معركة استشهاد وصمود ونحن نتوجه إلى الجنة، وأشار علينا أن الحقيبة التي يحملها محشوة بكمية كبيرة من المواد شديدة الانفجار وأن موقعنا في هذا البيت أولا التصدي والمقاومة وحماية المنطقة من تسلل قوات الاحتلال ، وثانيا النية في أسر عدد من الجنود الصهاينة ، وثالثا في حالة اقتحام جنود الاحتلال للمنزل ، سأقوم (والقول لطوالبة) بتفجير الحقيبة لدفن الجنود في هذا المنزل ، وقد عاهدناه جميعا على الشهادة التي كانت أسمى أمانينا ، وقد قمنا فعلا بالتصدي للقوات الصهيونية الغازية من الجهتين الجنوبية عبر فتحة في الجدار، والجهة الغربية عبر نافذة المنزل وبعد عدة أيام، وبالتمام يوم الأحد صمنا تطوّعا لله، وعند العصر بلغنا أن الجنود الذين كانوا قريبين من منزلنا قد انسحبوا إلى الخلف ، بعد أن أصاب الشيخ محمود الضابط المسؤول عنهم وقد حضّرنا عند الغروب طعام الإفطار، وكنا نتناوب في تناول الإفطار، ثم الصلاة اثنين اثنين متأهبين، ومترقبين قدوم الجنود . . . حل الظلام، وساد الهدوء الحذر ، جلسنا طلبا للراحة، وبقينا في سهر حتى اقتربت ساعات الفجر الأولى ، فجأة حدث انفجار، وتكونت كتلة ضخمة من النار، لم أستطع معرفة ما يدور ، اختفى سمعي وطرت عدة أمتار وتلاحقت الصواريخ على المنزل الذي كنا فيه، ولم أستطع إدراك ما يحدث ، شاهدت النار تأكل وجهي وقدمي وجسمي، تقدمت من اخوتي ، أدركت أن الشيخ محمود قد استشهد ، وأن الشيخ عبدالرحيم قد استشهد ايضاً ، وقد رأيت ابتسامته واضحة على محيّاه ، أما شادي فلا زال جالسا على الكرسي ، لكنه صامت ، تقدمت منه ، مددت يدي ، صافحني ، سألته أين الحقيبة، أشار بإصبعه : هناك، عاد القصف ، لم أدرك ماذا افعل ، خرجت إلى الشرفة جاء بعض الهواء فقفزت من النافذة إلى الطابق الأول ، خلعت جعبتي، ثم زحفت للاختباء تحت

الدرج حيث وجدت هناك مخبأ وأنا أعاني الظمأ الشديد ، صليت الفجر بعد أن تيممت والمنزل حولي يحترق ، بعد أن صليت حاولت العودة إلى الداخل لأرى أخوتي لم أستطع ، لقد احترقت قدماي فعدت أبحث عن ماء ، خفت الهلاك من العطش ، بولت ثم شربت بولي لأطفئ ظمئي ، وعند الصباح أخذت بالدعاء ليسر لي الله ماء ، فنظرت حولي ، رأيت جالونين فيهما سائل ، فتحت أحدهما فإذا به ماءٌ ، شربت ، ثم زحفت إلى الجهة الثانية قرب المطبخ فوجدت إناء من الجبنة ، وقد بقيت ثلاثة أيام تحت الدرج والدبابات تمر بالقرب مني دون أن تراني ، ثم جاءت الجرافات وهدمت المنزل ، ولم يبق إلا الدرج الذي أختبئ تحته ، وقد تورّم وجهي وتورّمت قدماي ... في فجر اليوم الثالث لوجودي في هذا المكان حضر صاحب المنزل وناديته بعد أن تفقد منزله ، فأجابني ، وعاد وأرسل لي امرأتين معهما لباس نساء للصلاة ، لبسته ومررت معهن متخفيا إلى الجهة الأخرى وهناك شرع الأهالي في إسعافي .

(٦-١٩-٥٣) : ج.ق: (مخيم جنين - سائق سيارة عمومي - ٣٧ عاماً)

قبل بدء المعركة جاءني مجموعة من المقاومين من المخيم وهم من حركة فتح وطلبوا مني إمكانية استخدام منزلي ، فوافقت وقمت بإخلاء زوجتي وأبنائي إلى منزل آخر وخاصة أن منزلي يعتبر حداً فاصلاً لحارة الحواشين من الجهة الغربية ، وحضر بعض المقاومين ، وقاموا بفتح ثغرة في مطبخي إلى الزقاق الخلفي لتسهيل الحركة ، وقد أمضيت معهم أربعة أيام ليلا نهارا ، وكان معهم شقيقي الذي أصيب لاحقا واعتقل ، وفي أحد الأيام حضر أحد الأخوة وطلب إخلاء المنزل ، أخلى الأخوة منزلي وكذلك أنا ، فحضر شباب من الجهاد منهم الشهيد محمود طوالبة والشهيد عبد الرحيم فرج والشهيد شادي النوباني ، والشهيد فراس وأخ لا زال حيا وهو محسوب على حماس ، وقد تمركزوا في المنزل واحتلوا كل زواياه ، وفي اليوم الخامس تقدمت قوات كبيرة من الجيش إلى المنطقة التي كنت فيها وهي محاذية لمنزلي الذي يتمركز فيه المجاهدون الخمسة ، واحتل (٣٥) جندياً المنزل الذي كنت فيه والمحاذي لمنزلي والذي لا يفصله عنه سوى شارع بعمق ستة أمتار فقط مع الإشارة إلى أن منزلي مرتفع نسبيا عن المنزل الذي كنت فيه ، وعندما تقدّم الجيش بدأت معركة القتال من منزل لمنزل - المجاهدون يقفون على النوافذ يلبسون الخوذ

والستر الواقية والجنود ينبطحون أرضا ، الضابط الإسرائيلي الذي كان في المنزل يدفع الجنود دفعا لإطلاق النار على المقاومين، بينما المجاهدون يقفون ليل نهار بصلابة يطلقون النار ... غضب الضابط في اليوم الثامن من تقاعس جنوده وخوفهم، فتقدم هو لإطلاق النار ، كان الشيخ محمود له بالمرصاد على الشباك فأطلق النار عليه وأصابه في يده فأعطى الضابط أوامره لجنوده بالانسحاب والتراجع غربا إلى منزل (أبو سرية) على بعد مائة متر من البيت الذي كنت فيه، وتركوا خلفهم حزاما طويلا من الرصاص والذخيرة ، وبعد أن خرج جنود الاحتلال استمر المجاهدون باطلاق النار على المنزل، فتقدمت نحو الشباك وناديت الشيخ محمود لأقول له: أن الجيش قد انسحب من هذا المنزل ، أقنعت الشيخ محمود بعد أن ظهرت له من أحد الأبواب رافعا يدي وقدّمت له حزام الرصاص الذي خلّفه الجنود بعد أن تسللت خلسة إلى جوار المنزل ورميت به إلى الداخل ، كان ذلك عند حلول غروب اليوم الثامن . في منتصف الليل بدأت الصواريخ المنطلقة من الطائرات تنصبّ على المنزل الذي يتواجد فيه الشيخ محمود وإخوانه ، تعرض المنزل لسبعة عشر صاروخاً ، واندلعت النيران في المنزل، وبقيت أنتظر بزوغ النهار، وعندما حل نهار اليوم التاسع تسللت إلى منزلي المدمّر، وتسلّقت الدرج بحذر، فرأيت جثة الشهيد عبد الرحيم فرج في إحدى الغرف، وفي الغرفة الثانية جثتي الشهيدين محمود وشادي وهي متفحمة وغير معروفة الملامح، وكان الشهيد الرابع أشرف أبو الهيجاء قد استشهد في اليوم السادس بالقرب من المنزل، وعندما عدت أدراجي إلى حيث كنت، مصدوما مما حدث، سمعت صوتا يناديني ، الصوت كان منبعثا من تحت الدرج، وهناك مخبأ معدّ سابقا ، عدت خائفا وأمعنت النظر فرأيت المجاهد الخامس إ . ت حيث كان متحرق الوجه خفت أن أقوم بنقله ، عدت إلى المنزل الذي كنت فيه ، وهناك أقنعت اثنتين من الفتيات بالذهاب وإحضار ذلك الشاب بعد أن يلبسانه رداءً للصلاة ، وفعلن، وعاد معهن ذلك الشاب دون أن تلحظه الدبابات التي كانت تقف بالقرب من الحيّ.

(٦-١٩-٥٤) :الشهيد ابراهيم بسام السعدي :

(من حملة الأكواع أثناء المعركة ،والذي استشهد بعد المعركة بعدة شهور خلال تصديه- كمقاتل في سرايا القدس- لاجتياح جديد للمخيم)

لجأت قوات الاحتلال إلى عمليات إنزال جنود داخل المخيم تساندها الطائرات، فاتخذ المقاومون قرارا بأن يتوقف إطلاق النار على الدبابات واتباع أسلوب تفجير البيوت ، وكنت أتواجد مع مجموعة محمود طوالبة، و الأخ محمود كان على يقين بأن الجيش سيقتحم منزله، فأخرج أسرته، وقام بزرع العبوات داخله وبالفعل دخل عليه الجنود وعندما قام بتفجير البيت قتل وأصيب عدد منهم . وإن الشهيد كان ينتظر الشهادة بفارغ الصبر، وإنه كان يهتف بالمقاومين قائلا : إن النصر صبر ساعة، وطلب الشهيد محمود من الناس الذين كانوا في مناطق الاشتباك الخروج من المنازل، وقام بتلغيم بعض المنازل، وبعدها دخل إلى الحارة اعداد كبيرة من الجنود تساندهم الطائرات، وعند اقتراب الجيش من المنطقة قام المقاومون بإطلاق النار بشكل كثيف على الجيش الإسرائيلي فقتل ثمانية جنود على الفور، وعندما قدمت فرقة اخرى من أجل إخلاء القتلى والمصابين قام المقاومون بإطلاق وابل من الرصاص فقتل وأصيب عدد آخر، وكان الشهيد محمود طوالبة عندما سأله أحد المقاومين: هل سنهزم هذه القوة الهائلة يا شيخ محمود؟ فأجابه، نعم ، بالإيمان بالله والعقيدة والإرادة القوية، فقال له الشاب بأن الحرب فرّ وكرّ ، فردّ الشهيد بأن هذه الحرب بالنسبة له كرّ ليس فيها فرّ .

(٦-١٩-٥٥) :الشهيد عبد الكريم بسام السعدي:

(من حملة الأكواع أثناء المعركة ، وقد استشهد بعد المعركة بعدة شهور خلال تصديه -كمقاتل في السرايا- لاجتياح جديد للمخيم)

قام الجيش باجتياح مدينة جنين ومخيمها ومحاصرة المخيم من الخارج بحيث لا يستطيع أحد الخروج منه او الدخول إليه ، وكان المقاومون بقيادة محمود طوالبة. قام الأخ محمود طوالبة بزرع العبوات الناسفة داخل المخيم، وأفاد أنه لا يوجد سوى قاذفة آر بي جي واحدة في المخيم، وأن القائد محمود طوالبة و(أبو جندل) كانا المحور للمقاتلين في المخيم، فقام الشهيد محمود بإلقاء خطاب على المقاومين بأننا سنظل نقاوم حتى نفاذ الذخيرة وبعدها سنكون جميعا استشهاديين، وقام الجيش الإسرائيلي بمحاولة الاقتحام من خلال حارة الدمج بالقرب من بيت (أبو عماد الغريّب) ، وكان القائد محمود طوالبة الموجود بتلك المنطقة، فقام جنود الاحتلال بقصف عشوائي للمنازل بتلك المنطقة، فقام الشهيد محمود بالدخول من بيت الجيران

القريب من بيت (أبو عماد)، وخلع الشباك وقام بإخراج العائلة الموجودة بداخله حفاظا على حياتهم، ثم أقام كميناً هو والمجموعة التي ترافقه، وكان من بينهم الشهيد طه الزبيدي، فتم قتل عدد من الجنود في هذا الكمين، وكان المقاومون يرددون هتافات (الله أكبر والنصر للإسلام)، فجاءت طائرات إلى الموقع، واطلقت عدة صواريخ على مواقع المقاومين مما اضطر المقاومين إلى الانسحاب إلى مواقع أخرى، فقام الجيش بعدها بنسف بيت (أبو عماد الغريّب) لما تكبدوه من خسائر فادحة ، كذلك عندما حاول جنود الاحتلال الاقتحام من حارة الدكتور خالد مطيع (أي الحي الغربي من المخيم)، قام القائد محمود طوالبة والقائد أبو جندل بصد هذا الهجوم وأصيب الأخ محمود بشظية في يده، واستمرت المعركة لمدة سبع ساعات، وبعد اليوم الخامس من المقاومة العنيفة كثف الجيش من استخدام الطائرات المروحية بقصف مواقع المقاومين، وأسفرت المعركة عن مقتل عدد من الجنود ، واضطر المقاومون إلى الانسحاب إلى حارة مكتب الوكاله وبدأ الجيش بالاقتحام، وقاموا باحتلال بيت (أبو لطفي السعدي)، ووضعوا به عددا من القناصة، واطلقت المروحيات صاروخاً أخطأ هدفه فأصاب الجنود الإسرائيليين، وبعد هذا الفشل قامت الطائرات بإطلاق الصواريخ على بيت (أبو بسام الشافع)، وانسحب المقاومون إلى وسط المخيم، فقدم القائد محمود طوالبة ذخيرة لدعم المقاومين، وبعد أن قام القائد محمود بمغادرة المنطقة انسحب المقاومون إلى وسط المخيم، فقام أبو جندل بالتعاون مع القائد محمود بترتيب الصفوف من جديد، وقامت بعدها الطائرات بقصف مواقع المقاومين مما أدى إلى استشهاد بعض المقاومين، وهم مصطفى شلبي ومحمد حامد طوالبة وفادي أبو عرة ونضال السويطي وآخر من الأمن الوطني، وطلب محمد البدوي من المقاومين وهو جريح بنقله من حي الساحة إلى حارة الحواشين، وقام المقاومون بوضعه داخل أحد المنازل فقامت الجرافة بهدم البيت عليه مما أدى إلى استشهاده ، وبعد أن بدأت الجرافات بالهدم أمر القائد أبو جندل المقاومين بالتوزع داخل المخيم وبدأ قادة المجموعات بالتحرك ...

وفي اليوم الثامن قامت الجرافات الإسرائيلية بفتح طريق من حارة الدمج إلى حارة الحواشين، وبعد أن نفذت ذخيرة الشبان الصغار الذين تتراوح أعمارهم ما بين(١٣ - ١٥) سنة قاموا بتسليم أنفسهم وكنت من بينهم.

(٦-١٩-٥٦) : الأستاذ أمين المبيض :

شهادة اوردها في كتابه «جنين چراد» تحت عنوان «الكمين الكبير :ص١٠٠ – ١٠١»

وضع المقاتلون بقيادة الشهيد محمود طوالبة ونضال النوباني وعبد الرحيم فرج وآخرون ، خطة تعتمد على ثلاث مجموعات . تقوم الأولى بمراقبة مدخل منزل معين كان المقاتلون يتوقعون دخول قوات الاحتلال إليه نظراً لموقعه المتميز ، ومجموعتين أخريين واحدة منهما على يمين المنزل ، والأخرى عن يساره مهمتها الالتفاف على ذلك المنزل بعد دخول جنود الاحتلال والإطباق عليهم ، وقتل أكبر عدد منهم . تم وضع المجموعة الأولى والمكونة من ثلاثة مقاتلين قبل مدخل ذلك المنزل ، وكانت مهمتهم إعطاء إشارة عند دخول آخر جندي إلى ذلك المنزل وذلك بإطلاق رصاصة واحدة في الهواء . دخل خمسة عشر جندياً إلى البيت ، تسرع المقاتلون في المجموعة الأولى وظنوا أنه لا يوجد غيرهم فأطلقوا رصاصة في الهواء . عند سماع الرصاصة أدرك جنود الاحتلال أنهم وقعوا في كمين وحاولوا الانسحاب ، فنجح اثنان منهم بالعودة . وأطبق المقاتلون الفلسطينيون على الباقين فأطلقوا عليهم النار وقتلوهم جميعاً ، حاول أحد الجنود النجاة بنفسه فاختبأ بين جثتين من رفاقه وكأنه ميت . انتبه إليه المقاتلون فأخذ الجنديّ يصرخ ويستجدي ولكنه قتل . ولولا تسرع المجموعة الأولى لتمكنوا من قتل أكثر من ستين جندياً صهيونياً .)

كما يروي الكاتب نفسه شهادة أُخرى ص٦١ تحت عنوان (الكمين الأول) :(وقعت قوة من اثني عشر جنديا في كمين وحوصروا في أحد المنازل في حارة الدمج لعدة ساعات ، وقتل أربعة جنود وجرح ثلاثة آخرون. (كان الجنود يبكون ويصرخون . طالبين العفو عنهم وأنهم لن يعودوا ثانية . كانوا يستحلفون الشهيد محمود طوالبة بالله أن يعفوا عنهم ولن يعودوا ثانية) .

(٦-١٩-٥٧): القائد الأسير ثابت المرداوي:

(أحد أبرز قادة السرايا،وواحد من افضل الذين خططوا لمعركة المخيم وقادوها)

بعد اجتياح آذار أخذنا نلتقي أنا ومحمود وكذلك طه الزبيدي ، كنّا نتدارس أمورنا بشكل عام ، كما نتدارس من ضمن ذلك عبر الاجتياح الذي انتهى للتوّ. كان بين اجتياح آذار والاجتياح الكبير للمخيم خمسة وعشرون يوما فقط. وكنّا أثناء ذلك قد جهزنا لعملية الاستشهادي (رأفت أبو دياك) رداً على استشهاد القائد محمد ياسين (العانيني) ، والقائد أيمن دراغمة وأخذت قسطا من وقتنا ، ومع ذلك استطعنا بفضل الله سبحانه خلال هذه الفترة أن نجهز أكثر من ألفي كغم من المتفجرات، وفي أحد الأيام جهزنا حوالي (٥٠٠كغم) ، هذه الكمية من مادّة اليوريا ، كنّا نحاول أن نسابق الزمن ، كنت أعمل أنا ومحمود وآخرون، كنّا قد اشترينا مواداً أولية تصل إلى عدة أطنان، وكنّا ندرك جيداً خطورة اللحظة القادمة ...

كنت ألتقي محموداً بشكل دائم قبل الاجتياح على امتداد الفترة المذكورة، وكنّا نتدارس أمورنا ، ونرتب أوضاعنا ، ونعدّ ما أمكننا لمواجهة العدو، ونخطط لسائر الاحتمالات ...

بعد اجتياح آذار خلصنا إلى كثير من الدروس والعبر التي يجب الانتباه لها في أي مرة قادمة، وبدأنا نعدّ ونجهز بناءً عليها للاجتياح القادم :

* – طلبنا من المجاهدين أن يكونوا على جاهزيّة عالية على جميع الأصعدة:

أ– معنوياً : بأن يكونوا مستعدّين أتمّ الاستعداد للقتال حتى الشهادة.

ب– السلاح والذخيرة ، بتوفير كميّات كبيرة لتوزيعها في اللحظة المناسبة.

ج– توفير كميات كبيرة من الطعام احتياطاً لحالة الحصار الطويل.

د– توفير كميّات من كرتات البلفون والبطاريات والميرسات من أجل الاتصالات.

هـ– توفير كمية من أجهزة الراديو وكميات كبيرة من البطاريات لنتابع نشرات الأخبار كما وفّرنا كمية كبيرة من مصابيح اليد . .

و- طرحنا توفير كميات ضخمة من موادّ الإسعاف الأوليّة، لكن جاء من يخبرنا أنّ الجهات المختصّة في السلطة ستجهز (مستشفى ميداني) بطاقم متكامل، فعدلنا عن ذلك، واكتفينا بالكميات القليلة التي كانت بحوزتنا، لكن للأسف بعد بدء المعركة تبيّن أنّ مثل هذا المستشفى الميداني غير موجود، فلجأنا إلى ما كان بحوزتنا من إمكانات قليلة ...

* - قمنا - كما أشرت آنفاً - بإعداد كميّات كبيرة من المتفجرات ناهزت عشيّة المعركة الألفي كغم من المتفجرات ...

* - حضرنا كميات من الصواعق والأسلاك والأوعية ...الخ من أجل العبوات لتحضر بشكل سريع في حالة الحاجة اليها ...

* - اشترى محمود حقائب وجهزها، واختصّ نفسه بواحدة منها ليستخدمها في اللحظة المناسبة.

* - جهزنا عبوات كبيرة على نوعين، نوع يتمّ تفجيره عن بعد من خلال (الميرسات)، وهذه اقتصرت على شباب الجهاد، ونوع أخر يتم تفجيره بالأسلاك، وكنت أنا وطه الزبيدي نوزع على الفصائل والقوى المختلفة من هذه العبوات الكبيرة ليزرعوها في الأماكن المناسبة، وكان محمود شخصيّاً له دور مميّز في توزيع العبوات ...

* - قمنا بحفر فتحات في الجدران في بيوت مرتفعة على أطراف المخيم وفي أماكن حساسة تتوقع أن الجنود سيمرون منها، وكانت بغرض القنص أثناء تنقل وحدات الجنود الصهاينة، وكان صاحب الفكرة هو محمود طوالبة ...

* - قمنا باعداد كمائن بأسلوبين: كمائن تعتمد على تفجير العبوات بالجنود داخل المنازل أو في أماكن مناسبة، وكمائن أخرى تعتمد على إطلاق النار من خلال مجموعات مختارة من المجاهدين ...

* - استخدمنا السماعات للحرب النفسيّة، فاشترينا سماعة يد تولاّها الشهيد القائد طه الزبيدي الذي كان يبث نداءً بالعبريّة، كما اقترحنا هذا الأمر - أيضاً - على بعض الأخوة من فتح، وقمنا نحن وإياهم بوضع سماعات كبيرة تمّ تثبيتها في أماكن معينة وأحضرنا نحن وهؤلاء الأخوة من

فتح (ماتور كهرباء) نستخدمه في توليد الكهرباء لهذه السماعات في حالة قطع الكهرباء وقد استخدمت هذه السماعات للأذان وبث النداءات، لكن بعد وقت قصير قصفتها الطائرات في الأيام الأولى للمعركة ...

* تم إصدار بعض التعليمات، كانت بعضها كخطوط عريضة، وأخرى كان يتمّ إصدارها ميدانياً حسب الوضع والحاجة ، وكان من تلك التعليمات التي طرحت كخطوط عريضة يجب الانتباه لها واستحضارها دوماً :

- إن هذه المعركة معركة كسر العظم، وأنّ هذه المرة مختلفة، وتحتاج لصمود أكثر، وثبات أكثر ، لذلك أي شخص يتمركز في موقع عليه أن لا ينسحب تحت كل الظروف ...
- إذا حصل اشتباك في منطقة مأهولة ، يجب العمل على إخلاء الناس وإخراجهم من دائرة إطلاق النار حتى لا تكون هناك ذريعة لإيذائهم ، (فنحن نحمي الناس ولا نحتمي بهم ويجب الحفاظ عليهم ما أمكن ...)
- إطلاق النار يجب أن يعتمد على القنص، وحسب الحاجة، وكذلك إلقاء الأكواع.
- الاستخدام المقتصد في الأكل والشرب (الماء) والدخان والمتفجرات ، كنّا نأكل وجبتين في الأيام الأولى، ثم بعد ذلك أصبحنا نأكل وجبة واحدة في اليوم ...

* في الاجتياح السابق عندما اشتدت الأمور ووصلت الى الصفر، رأينا أنّ الحل يكمن بخطف جنود أو محاصرتهم على الأقل، والسيطرة عليهم من أجل قلب الصورة، وفرض الانسحاب، وعندما جاء الاجتياح الكبير ظلت الفكرة في بالنا على أساس السيطرة على مجموعة من الجنود عندما تحين اللحظة المناسبة، وكنّا نخطط لنفرض عليهم أن يتصلوا بأهاليهم للقيام بمظاهرات واحتجاجات أمام مقرّ مجلس الوزراء الصهيوني وغيره، وبتقديري أنه كان أمامنا فرصة ولكن الأخوة أضاعوها ، ففي إحدى المرات انتبهنا لستة جنود يتقدّمون باتجاه أحد المنازل، فأطلقنا عليهم النار فقتلنا ثلاثة ودخل الثلاثة الآخرون إلى داخل المنزل، وبعد وقت من الاشتباك وكنت قد

اقتربت كثيراً منهم سمعت أحدهم يسأل الآخر: كم بقي معك ذخيرة؟ فيجيب : مشط واحد ، فذكر الأول أن رصاصه نفد . فطلبت من الأخوة أن نقتحم المنزل، ونأسرهم، فلم يقتنعوا بإمكانية ذلك، فأحضرت جرار غاز، وألقيتها بباب المنزل، وفجرتها ، ثم اقتحمت المنزل، فوجدتهم قد هربوا من فتحة أحدثوها في الجدار الخلفي للمنزل، وتركوا وراءهم أغراضهم ...

كانت مسألة الخطف وأسر الجنود حاضرة في أذهاننا ، لكن محاولات تطبيقها كانت حسب الواقع الميداني ...(وقد حاول محمود أكثر من مرة أن يأسر جنوداً صهاينة واستشهد وهو يحاول) .

* المحافظة على الاتصال فيما بيننا فقد كان بيني وبين محمود رسول دائم يتنقل بيننا ، وكذلك بيني وبين الحاج علي، واستمرّ الرسول يتنقل بيني وبين محمود حتى اليوم السابع . .

* قمنا بالحفاظ على بعض الإجراءات الأمنية التالية:

أ – التنقل بمجموعات صغيرة .

ب – كان هناك إشارات للتعارف وكلمات سرّ، عندما تقول للشخص عرّف يقول: شهيد أو ليل أو غيرها من الكلمات التي كنّا نختارها ، وكانت كلمة السرّ تتغير كل ليلة، وأحياناً كل عدّة ساعات.

ج. عدم الغفلة عن الأشخاص المطاردين الذين يستهدفهم الاحتلال بشكل خاصّ ، حتى لا يُغدروا بطريقة أو بأخرى، أو يصل اليهم أشخاص مندسون، وكان العديد من هؤلاء يعطي انطباعاً لمن هم خارج دائرته الخاصّة أنه في مكان آخر غير الذي يتواجد فيه ...

د . كنّا أحياناً نبث بعض الإشاعات لرفع الروح المعنويّة للمجاهدين ، وكنّا نعمم على المجاهدين في حالة الإشاعات المضادّة أن لا يتناقلوها ، ولا يتعاطوا معها حتى يعودوا لقائد الموقع ويتأكدوا من صحتها .

هـ . الاحتياط من الجواسيس وبعض الأشخاص المشكوك فيهم، وكنّا نبعث من يسحبهم دون إشعارهم

بما يجرحهم، أو يؤذيهم، لينتقل معهم إلى الأماكن الآمنة التي لا تواجه مخاطر مباشرة وحيث الجميع يعرفون بعضهم البعض، وكنّا نحاول التحكم بالمجموعات في الأماكن الحسّاسة والمتقدّمة بحيث لا يدخل فيها إلا الأشخاص المعروفون والثقات تماماً ...

و. كان هناك رسول بيني وبين محمود، وآخر بيني وبين الحاج علي حتى لا نعتمد على (الميرسات) وأجهزة الخليوي، وخاصة في الأشياء الحساسة ،واستمر الاتصال بيني وبين محمود حتى اليوم السابع ...

* في الأماكن التي كنّا نتمركز فيها زرعنا العبوات على أساس أن تكون خطاً أولاً وخطاً ثانياً وخطاً ثالثاً، وقد فعلنا هذا على سبيل المثال في حارة الدمج ...

* كما استخدمنا أسلوب الاستدراج في حالات عديدة، لكنه ظل محدوداً على نطاق ضيّق ...

ومثال على ذلك اننا كنّا ندرك أن حارة الدمج مغرية بالدخول، فأوهمنا الصهاينة أنها فارغة حتى أننا في بعض الحالات سقفنا أماكن معينة بـ(شادر)، ووضعنا على بعض البيوت التي سيتمركز عليها قناصة من المجاهدين عريشة حتى لا ترى الطائرات المجاهدين وهم يتنقلون، أو وهم متمركزون على بعض الأسطح، وطلبنا من الأخوة الإقلال من الحركة، وهذا ما حصل، فتقدّم الجنود ووقعوا في كميننا ...

في حارة الدمج كنت أنا قائد المجموعة المتواجدة هناك، وكنّا قد حضّرنا لعملية استدراج على النحو الذي أشرت له آنفا ، حضر محمود في اليوم الثاني من المعركة هناك ، وكانت ثمة عادة متبعة أنه إذا حضر أحد القياديين إلى موقع فإن مسؤول الموقع لا ينفذ شيئاً دون أن يشاوره، ويسمع رأيه لكن كان محمود يمتلك ميزة خاصّة في هذا الشأن بما حباه الله من خبرة وقدرة على المناورة وجرأة خاصّة في الهجوم، ولما قذفه الله سبحانه في قلوب الجميع من محبة خاصّة لمحمود جعلت له شعبية مميّزة بحيث كان الجميع يستجيب لتوجيهاته ويتعاطى معها، وفي كل مكان كان يتوجّه إليه كان تلقائياً يقود الموقف خاصّة في اللحظات الصعبة ...

ذات ليلة كنت أنا ومحمود نتفقد بعض بيوتات المخيم ، فقالت لنا إحدى النسوة إن ابنها نام قبل قليل

من شدة البكاء لأنه أراد أن يخرج ليلاً ليرى محموداً ، وبسبب الليل والخوف حالت الأم بينه وبين الخروج، فانفجر في بكاء لم يخرج منه إلا بنوم سبقه سماع حكاية من حكايا فارس المخيم الحامل على كتفيه كل هموم التشرد واللجوء ، ووعدها الفارس أنه سيأتي صباحاً ليرى ذلك الطفل الذي نام على صور حكايا فارسه.

وفي الصباح ذهبنا ، وكان الطفل قد علم أن الفارس قد مرّ على بيته ليلاً فبكى أكثر ، ولم تذهب بقايا الدموع إلا بتلك الابتسامة البريئة على وجه الطفل لرؤيته فارسه ، قبل أن يذهبوا في عناق طويل .

كنت أغبط أخي محموداً ، وأقول لعل الله أحب محموداً فنادى في الملائكة أنه أحبه فأحبوه ، فنادت في الناس أن الله أحب محموداً فأحبوه واجعلوا له بينكم القبول .

وقضينا معاً الليلة المطلة على اليوم الخامس للاجتياح . . . تناقشنا . . .ضحكنا . . .حزنا . . .وتحدثنا كثيراً عن الماضي والبدايات. . . وإذا مرّ المستقبل في حديثنا شعر كلانا أن القدر سيعاجلنا قبل رؤيته ، وأن ما يخبئه لنا قاب قوسين أو أدنى . . .وكان محمود في هذه الليلة كثير الصمت شارد الذهن ، ولربما كان يدعو أثناء صمته الاستعجال في وقوع القدر . . وغالباً ما كنت أقطع عليه حالته هذه وأبادر في الحديث. .وفي وقت متأخر قال لي : اذهب لتنام قليلاً ، فقلت له اذهب أنت ، أنا لا أريد النوم. .ونهض. . وفي هذه اللحظات أردت أن أحدثه عن فكرة مرّت لتوها في ذهني : محمود إذا انتهى الاجتياح ونحن ما نزال أحياء ... عندها التفت نحوي وكأن كلمة (أحياء) استفزته ، وقالت عيناه ما لم يصرح به لسانه : والله لن أدعها تفلت مني هذه المرّة . فقاطعني قائلاً والبسمة على وجهه أكثر عباراته ترديداً : (توكل على الله) ! ! ولم يمض وقت طويل حتى حان أذان الفجر ، وبعدها صلّى الجميع في مجموعتين ، بعد ذلك بوقت قصير بدأت معارك اليوم الخامس واشتباكاته .

كنت أنا والقائد طه الزبيدي –رحمه الله– في مكان مرتفع (على سطح دار أبو حسين) ،رأينا على بعد أكثر من مائتي متر وحدة من الجنود الصهاينة فأطلقنا عليهم النار، وأصبنا أحدهم، ولا نعرف مقدار الإصابة، بعد قليل كانت وحدة أخرى من الجنود تحاول القيام بعملية التفاف علينا ، تركناها حتى اقتربت كثيراً ففتحنا نيراننا وادينا بقيّة الأخوة ، فقام محمود بعمليّة التفاف على الجنود حتى لا يدخلوا إلى أحد

البيوت ويتمكنوا من تطويقنا أنا وطه ، فحوصر الجنود بيننا ، وحققنا فيهم العديد من الإصابات، فاضطروا للانسحاب ، وقد استمر تبادل النيران نصف ساعة أثناء انسحابهم وابتعادهم عن الموقع ... كان هذا في اليوم الرابع .

وقد كانت الاشتباكات قبل ذلك تهدف إلى عمليات جسّ النبض واستكشاف إمكانات المقاتلين، وكان محمود رحمه الله قد غادرنا في اليوم الثالث إلى موقع آخر بناءً على طلب من الأخوة هناك، ثم عاد بعد أن أنجز مهمته وأثناء ذلك حصلت اشتباكات عديدة بيننا وبين الصهاينة في حارة الدمج ...

كان تركيز الصهاينة في اليوم الأول والثاني والثالث على التخلص من العبوات الكبيرة عن طريق القصف على الطرقات والجدران بالإضافة لمعرفة طبيعة الموجودين ومن هم من خلال مناورات خفيفة، وللأسف فلم نستفد من العبوات الكبيرة بمقدار ١٠٪ بسبب القصف العشوائي الذي أدّى إلى تقطع أسلاك الكثير من العبوات.

في إحدى المرات حصلت بيننا وبينهم معركة اضطروا للانسحاب خلالها ، وإذا بهم يعودون إلى أحد المداخل بشكل مكشوف ترافقهم دبابات ، فانقدح في قلبي أن هذه مناورة فطلبت من الأخوة أن ينتبهوا للدبابات، وتوجهت إلى مكان قريب كان هناك بيت في حارة الدمج لعائلة الغريّب ، هذا البيت مرتفع وطويل، ويمتدّ من طرف الحارة حتى وسطها فادركت أنهم سيحاولون اقتحامه والتمركز فيه ، كان هذا البيت في خاصرة الحارة، ويشقّها شقّين، وكانت السيطرة عليه تعني السيطرة على الحارة إلى حدّ كبير ، كنت قد تمركزت في مكان يكشف باب المنزل وإذا الجنود الصهاينة قادمون إليه ، أطلقت عليهم النار فأصبت ثلاثة أو أربعة منهم، وكانوا بين (٦ – ١٠)جنود دخلوا إلى البيت ، وسحبوا المصابين ،ثم نزلت عن سطح دار (أبو حسين) التي كنت متمركزاً فوقها لأخبر الشباب بالأمر، ولأطلب منهم أن نقتحمها على الجنود فوجدت الشيخ محمود قد عاد إلى الحارة، فبادر الشيخ محمود واخوة آخرون إلى خلع شبك حديدي وضع حماية لأحد الشبابيك، فدخلنا ثلاثتنا محمود وأنا وشاب أخر، كان داخل المنزل رجل مسنّ قد أصيب بساقه عندما اقتحم الجنود المنزل، وكان كأنه يبكي بصمت من شدة الألم، وكانت النساء تصرخ ، أخرجناه من الشباك، وأخرجنا الناس الموجودين في المنزل، وكان هناك ولد عمره (١٥–١٦)

سنة يصرخ بشدة، ويبكي، وكان مرعوباً ، فانتهرته وطلبت منه أن يخرج، ففعل وكان هو أول من خرج من أهل المنزل ...

طلبت من محمود والشاب الآخر أن يخرجا من المنزل، وعندما فعلا بدأت بإطلاق النار على الجيش لمدة دقيقة أو اثنتين، ثم أشعلت (كوعاً) وألقيته على الغرفة التي يتواجد فيها الجنود الصهاينة، وانسحبت على أساس أن المنزل سيحترق عليهم ... ثم جاءت دبابتان وبدأتا إطلاق نار كثيف جداً وقذائف أنيرجا بأعداد كبيرة فيما قامت إحداهما بإخراج جميع الجنود الموجودين في البيت وخلال عشر دقائق كانوا منسحبين ... كان ذلك عند عصر اليوم الخامس من المعركة ...

بعد هذه المعركة قال لي محمود : يبدو أنّ تركيزهم على حارة الدمج بهذه الكثافة الهائلة يتعلق بوجودنا الاثنين معاً ، وشاورني الرأي بأن ننسحب الاثنان، فقال طه الزبيدي رحمه الله :إذا انسحبتما الاثنان فهذا سيؤثر على المقاتلين وربما ينسحبوا وراءكما . . . فتراجع محمود عن رأيه، فأصررت عليه بشدة أن ينتقل هو إلى موقع آخر على أن أظل أنا مع المقاتلين في حارة الدمج حيث كانت الطائرات أثناء ذلك تقصف علينا ، وكنّا متواجدين في منطقة لا تتجاوز مساحتها أربعة بيوت ، انطلق محمود ومعه شاب آخر يرافقه إلى موقع آخر، وكان هذا في نفس اليوم الخامس ...

كنّا عندما نلتقي أنا ومحمود نتحدّث باختصار شديد في الأوقات القصيرة التي نكون فيها بلا عمل . حدثني على سبيل المثال عن المعركة التي جرت في الحارة الغربية لكن بشكل مختصر جداً ودون تفاصيل، لكن بعد أن افترقنا هذه المرة كان تواصلنا من خلال الرسول ، وكان أغلب ما يأتي الرسول لأجله السؤال :ما أخباركم؟ وأنا كنت اسأله كذلك ، علم في أحد الأيام أنّي أصبت فخاف عليّ وبعث الرسول لينظر كيف هي حالتي، وكنت أنا أيضاً قد سمعت أنّ محموداً قد أصيبَ فطلبت من الرسول أن يطمئنه وأن يخبره أن الإصابة ليست بليغة واطمأننت بدوري على محمود ...

بعد فترة وكي لا أطيل الحديث كنت قد انتقلت إلى مكان آخر بعد أن سقطت الحارة أمام القصف الشديد والجرافات وغير ذلك ، انحشرت في أحد المنازل لمدة يومين حيث كنت فيه أنا وشاب آخر وكان ذلك المنزل قريباً من الشارع الرئيس للمخيّم ، لكن في نهاية اليوم الثامن بدأت تنهال علينا النيران وقذائف

الأنيرجا ، صعدنا إلى أعلى الحارة ، لم نجد شباباً ، لوقت حصل عندي انطباع أن الكلّ قد استشهد أوأُسر .

بعد ذلك التقيت بالحاج علي الصفوري ومعه مجموعة من المقاتلين فتعانقنا وتبادلنا القبلات، سألتهم عن محمود فقالوا : استشهد ! ! كان الخبر مثل وقع الصاعقة . . كان ذلك في اليوم العاشر ... كنّا بصعوبة نعرف أخبار بعضنا البعض في الأيام الأخيرة حتى حصل الأمر أن بعض الشباب كانوا يتواجدون في منزلين متجاورين ولا يعرفون شيئاً عن بعضهم البعض بسبب شدّة الضغط الصهيوني الهائل . . قصف وجرافات ودبابات و ... الخ .

بعدها حوصرنا في أحد المنازل ، شخصياً كانت الذخيرة قد فرغت مني تماماً وحتى السلاح فقدته وهذا كان حال الجميع . كنت قد احتفظت ببطاريتي بلفون مع جهاز البلفون طبعاً تحسباً للحاجة ، وعندما حوصرنا كانت حاجتهما قد حانت، فأعطيت جمال حويل ليتصل ببعض الجهات لإبلاغ المؤسسات الإنسانية بالتدخل كما اتصل بقناة الجزيرة ، واتصلت بدوري بالدكتور رمضان عبد الله أسأله عن حقيقة مبادرة حزب الله، وكنت قد سمعت بها من أحد الأشخاص ، كان قد مرّ علينا أربعة أيام في الجوع وفي العطش سوى أننا كنّا قبل يوم قد مررنا بماسورة ماء فيها القليل من الماء فملأنا نصف قنّينة شرب منها ستة عشر شخصاً منّا ...

بعد ذلك وأثناء مكوثي في زنازين التحقيق جاءت مراسلة لشبكة الـ (CNN) لمقابلتي، وأثناء المقابلة سألتني عن موقف في المخيّم لن أنساه ! ! فضحكت . . وقلت لها : هل يوجد شيء في المخيّم يُنسى ؟ الشهداء والجرحى والأطفال المذهولون والنساء الصابرات ... الخ . فقالت : أقصد موقفاً خاصّاً . . قلت لها : استشهاد أخي محمود طوالبة وأخي طه الزبيدي الذي قصفوا عليه المنزل واحرقوه ... لن أنسى ذلك ما حييت وسأحدث عن ذلك أبنائي وأحفادي وأحفاد أحفادي ...

في أحد الأيام جاء المحقق وسألني عن محمود . . فقلت له : لقد استشهد . قال : بعض الناس يقولون أنه حيّ ! ! فقلت : لو كان محمود حيّاً . . فقال قبل أن أكمل : ماذا لو كان محمود حيّاً؟ قلت له : إن

أكدت لي أن محموداً حيّ ، أنا على استعداد أن أقبّلك رغم أنك محقق وعدوّي وأنا أكرهك وتكرهني . .
فقال : إلى هذا الحد تحبه ، قلت له : هو أحب إلى نفسي من روحي ...

(٦-٢٠) : قبل ان تنتهي المعركة ، وحتى لا ننسى :
(أبو أسامة وراغب يكملان الشق الآخر من المعركة / الانتصار)

يتضح من إفادة ثابت المرداوي في التحقيق أنّ ضمن إعدادهم وخطتهم لمواجهة حملة الصهاينة على المخيم والمدينة القيام بعمليات استشهادية في عمق العدو . ولعلهم كانوا يخططون لأكثر من عملية ، فهذا ما كان قد حصل أصلا في الاجتياح السابق في شهر آذار حيث نفذ الاستشهادي عبد الكريم طحاينة في العفولة هجوماً على حافلة صهيونية ، كما كانت محاولة القائد القرآني أيمن دراغمة وصهره المجاهد فؤاد بشارات والتي استشهد فيها ... فمن الطبيعي إذن أنهم خططوا لتكرار التجربة في الاجتياح التالي ...
ويتضح أيضا من إفادة القائد الأسير ثابت المرداوي أن محاولته لم تنجح لهول الإجراءات الأمنية للصهاينة ...
لكن رغم ذلك كله كان هناك من تهيأ جيداً لتنفيذ هذا الشق المعجزة في تلك الظروف وفي التوقيت المناسب تماما ... إنه الشهيد القائد خالد زكارنة .

كان الصهاينة قد أعلنوا هدفهم وهو القضاء على المقاومة ، وبالأخص إنهاء العمليات الاستشهادية ، وتوفير الأمن للصهاينة في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م ، ومع مرور الأيام بدأ القادة الصهاينة يتبجحون ، وبدأت التصريحات المنتفخة بالغرور تدّعي نجاح الحملة ، ومع الخسائر التي تكبدوها في المخيم كانت هذه الدعاوى تعرض كنوع من العزاء أنهم دمّروا بنية المقاومة ، وفي صباح ١٠/ ٤/ ٢٠٠٢م كان راغب جرادات بطل سرايا القدس يسقط الأهداف الصهيونية ليكتمل الانتصار وليسوء وجوه الصهاينة تماما ...

كانت أهمية هذه العملية تكمن في :

* التوقيت : أنها جاءت في ذروة التدمير الصهيوني للمخيم .
* أن الصهاينة كانوا يقدّمون حملة السور الواقي على اعتبار أنها حققت إنجازا واضحا خلال أيام الحملة

في منع العمليات الاستشهادية .

*أن الإجراءات الأمنية الصهيونية كانت مستنفرة بالكامل ، أي أن الكيان عبأ كامل طاقته لمنع العمليات الاستشهادية . . .

*أن انطباعا حصل أن المقاومة قد سحقت وأنها الآن في الزاوية .

*أن الهدف الذي استهدفه الاستشهادي انطلق من المحطة التي وصفها عمرام متسناع رئيس بلدية حيفا – رئيس حزب العمل لاحقاً و قائد سابق للمنطقة الوسطى في الجيش الصهيوني – (أنها المحطة الأكثر تحصينا في كل إسرائيل من حيث الإجراءات الأمنية) والأشخاص الذين يركبون في الحافلة هم من الجنود والشرطة وجهاز الأمن العام (الشاباك) .

*أنها انطلقت تحديدا من منطقة جنين .

*أن الأمة كلها كانت بانتظار من يثأر للمخيم ويضرب شارون وزمرته على رؤوسهم ...

باختصار نستطيع أن نقول دون تردد ودون مبالغة أنها كانت (عملية العُسْرة) ...

كان الاستشهادي منفذ العملية الفتى الذي ما ناهز السابعة عشر ربيعا من عمره المعروف بتفوقه بالدراسة وبرفاهة العيش ، لكن قبل كل شيء برهافة الحس والانتماء الصادق ...

كان راغب معروفا – على الأقل لدى بعض أوساط الجهاد الإسلامي – بعلاقته الحميمة بمحمود طوالبة إذ كان يزوره ويساعده في إعداد بعض المواد الأولية المستخدمة في إعداد المتفجرات ... كان راغب يتألم بشدة لما يجري للمخيم ولمن في المخيم ووصيته تنطق بذلك . .

ولعل من أجمل ما في سيرة راغب أنه بينما كان ما زال طفلاً في مرحلة الروضة أعدت المدرسات مسرحية عن القمع الصهيوني للشعب الفلسطيني فأصر على أن يأخذ هو دور (الشهيد) .

أما القائد الذي أعدّ للعملية وخطط لها فكان الشهيد الشيخ خالد زكارنة ، الذي عاش في سجون اليهود ثلاث سنوات ، وسنتين ونصف في سجون السلطة ،وعاش مختفيا من لحظة خروجه من السجن إلى لحظة استشهاده ... كان خالد قائداً وخبيراً من طراز فريد متعمقاً في دراساته الشرعية ، يتقن اللغة

العبرية بطلاقة ، متابعا للشأن السياسي بدقّة ، يتقن الطبيخ ربما أفضل من (ست بيت) ماهرة ،يميل للدعابة والنكتة ، لا يجامل في الحق أحداً ، نظيف اليد ، عرف عنه كثرة دعائه أن يستشهد وهو يقاتل مقبلا غير مدبر وجها لوجه مع العدو ، وأنه كان يكره موت الفجأة لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك ، ومن أجل ذلك كان لا يحب أن يقضي اغتيالا حتى يقابل الله وهو مستعد لذلك بالنية الصادقة المخلصة ، لذلك عندما علمت زوجته أنه استشهد وهو يقاتل وزّعت الحلوى وحمدت الله انه لم يقصف وهو في مخبأ أو منزل وإنما وهو يواجه العدوّ وجهاً لوجه لما عرفته عنه من شغفه بهذا اللون من الشهادة

وحول دوره في سرايا القدس فقد وصف بأنه قائد عمليات السرايا في شمال فلسطين ، وكان الشهيد إياد صوالحة يراه شيخه واستاذه وقائده .

وبعد حديثنا عن العملية وعن الاستشهادي راغب جرادات منفذها وعن القائد الشيخ خالد زكارنة الذي أعدّ لها وخطط ، فإن ما يلفت نظرنا أن العديدين ممن كتبوا كتباً حول معركة المخيم ،أو أعدّوا مواقع على الإنترنت ، أو كتبوا مقالات ...إلخ ، تجنبوا الإشارة لهذه العملية التي تشير كل المعطيات الى أنها كانت جزءاً من المعركة إن في التخطيط أو التنفيذ أو النتائج ، وللأسف فإن بعضهم تعميهم الفئوية الحزبية التي تريد إعادة تكييف هذا الحدث المعجزة / معركة المخيم .(*)

ما نريد أن نختم به هو أنه من غير الممكن الحديث الجدّي عن معركة المخيّم ، وإيفاءها حقها وحجمها وقدرة مجاهديها الأبطال على الفعل وإنجاز الخطة التي أعدّوا لها ما أمكنهم الإعداد دون الوقوف عند هذه العملية المميزة (عملية العسرة) ...

(*) والأمر الأكثر غرابة أن مجلة فلسطين المسلمة في عددها الذي خصصته لمعركة المخيم (عدد رقم ٥أيار ٢٠٠٢) تذهب إلى أبعد من ذلك فتصر على تنسيب العملية لحركة المقاومة الإسلامية حماس التي تبنتها خطأ على اعتبار أن المنفذ هو أيمن أبو الهيجا (ابن ال٢٢ سنة) من مخيم جنين ، وطبعا تبين بعد التقصي أن هذا الاسم بهذا الوصف غير موجود في المخيم .

والخطأ أمر وارد ، لكن الأمر السيئ هو الإصرار على الخطأ حتى بعد مرور أكثر من أسبوعين على انكشافه ، وعلى معرفة الحقيقة ، وأخطر ما في الأمر أنّ هذا يمنع حالة الشفافية التي ينبغي أن تكون حاضرة في علاقات الفصائل الفلسطينية ببعضها البعض . وقد سبق لحركة الجهاد الإسلامي عندما وقعت في خطأ مماثل يوم عملية (سبارو) التي نفذها المجاهد الاستشهادي عز الدين المصري من كتائب القسام أن أصدرت بياناً توضيحياً ، وظهر الأمين العام للحركة على شاشات التلفزة واعتذر بلغة واضحة عن ذلك ...

ويكفي أن نذكر أنه قبلها بأيام كان السيد حسن نصر الله كرجل خبر السياسة والحرب يقول : انه يكفي أن تأتي عملية استشهادية واحدة في هذا الوقت لتحبط مشروع شارون، ويكفي أن الرئيس الأمريكي نفسه اضطر للإعلان أن العمل العسكري مهما كان ضخما لا يستطيع أن يوفر الأمن ويستند إلى هذه العملية كما أعلن ما يشبه ذلك عمرام متسناع رئيس حزب العمل الصهيوني .

(٦-٢١) : بعد المعركة ... رسالة إصرار :
(عندما يكون الجثمان رسالة)

بعد انتهاء المعركة ، وفي مرحلة متقدمة من عمليات الإنقاذ والبحث عن جثث الشهداء ، تم البحث تحت أنقاض أحد المنازل ، كان الهدف محاولة لمعرفة مصير ذلك الشيخ الذي لم تمنعه سنّه التي قاربت الخامسة والخمسين من القدوم إلى مخيم جنين بعد أن باع بيته وسيارته واشترى سلاحا ليقاتل ...

بعد وقت من التنقيب كان المتطوعون في اعمال البحث والإنقاذ أمام جثمان شهيد ، وتستطيع أيضا أن تقول دون تردد أمام جثمان رسالة : الشيخ رياض بدير برجله الجريحة وجسمه النحيل ولحيته الممزقة قابضا على سلاحه يضمّه إلى صدره وأصبعه على الزناد وأمامه مصحفه فيما الروح كانت قد فارقت الجسد وصعدت إلى بارئها سبحانه وتعالى ...

كان المشهد بحدّ ذاته رسالة تقول الكثير ،وتختصر المشهد الفلسطيني كلّه دون رياء ولا تزويق وبلا كلام ...

رسالة صامتة لكنها أبلغ من كل الشعراء ، وأفصح من كل الخطباء ، وتنكمش حياءً بين يديها الكتابة ! !

كان هذا الشيخ عندما كان لا يزال من أهل الدنيا ، وتحديدا قبل الشهادة بأيام ، فيما يرويه المقاتلون ، ترتجف القلوب والصواريخ تلاحقهم ، لكنه ما كان يرتجف ، كان أثناء ذلك يصلّي بخشوع عظيم كما لو أنه ليس في معركة ، وكما لو أن الصواريخ لا تتساقط من حوله ، وكما لو أنه يخلو إلى نفسه في غرفة آمنة ! ! !

كان يشجع المقاتلين وينبههم إلى بعض المعاني التي تذكرهم بالله سبحانه ... وكان يقول لهم: (إننا

مسلمون ، والمسلم يبحث عن الجنة ، والجنة منازل ونحن نريد أعلى منزلة في الجنة) ، تحدث عنه بعض المقاتلين من سرايا القدس ومن فتح وبعض من شاركوا من اليسار كما لو انهم يتحدثون عن قدّيس !.! ولكن أين الذين يقال عنهم قدّيسون من مثل هؤلاء الشهداء ؟ ! يقول أحدهم (... وكان في الجو طائرات تطلق الرصاص والصواريخ ، فأخذ الشيخ رياض قرآنه وجلس في زاوية من زوايا البيت ، وأخذ يقرأ القرآن ، والكل حوله يفكر كيف الخلاص ، وبدأ صوت الشباب يرتفع إلا أن الشيخ كان كأن الأمر لا يعنيه ...)

تأثر بعض المقاتلين الذين عايشوه ليومين أو أكثر ، إلى الحد الذي أصبحوا معه كما لو أنهم سحروا به ، وكما لو أنهم تلاميذ درسوا على شيخهم لسنوات ... ! !

كان الشيخ قد أصيب من القنّاصة الصهاينة وهو ينتقل من بيت إلى آخر ، طلب من المجاهدين أن يضعوه في أحد البيوت وأن يهتمّوا بأنفسهم ، أراد الصهاينة منه الاستسلام لكنه رغم الجرح ما كان ليفعل ... هدموا فوقه المنزل فاستشهد ... أخرج جثمانه فأعلن بصمت مزلزل رسالة المعركة :

قابضون على السلاح وأصابعنا على الزناد ، حتى بعد الشهادةلن نساوم ، فهذا زمن الجرح المقاوم والموت المقاتل ، وهذا زمن بلاغة صمتٍ لا يجامل .

(٦-٢٢) :المعركة في عيون الصهاينة :

* (كنا كأننا ندخل الجحيم ، واحمد الله أنني بقيت على قيد الحياة . لقد فخخ المقاتلون الفلسطينيون كل شيء . وضعوا المتفجرات في كل مكان ، على أغطية المجاري وفي الحاويات والسيارات وعلى الجدران وعلى أغصان الأشجار) .

(جندي إسرائيلي من القوة المهاجمة لمخيم جنين)

* (إنهم يقاتلون بشكل لم يخطر على بال أحد من صناع القرار في إسرائيل) .

(آفي كوخافي قائد لواء المظليين الصهاينة الذي غزا منطقة مخيم جنين)

* (تواجه قوات جيش الدفاع مقاومة فلسطينية شرسة في المخيم ، وتدور معارك دامية في أزقة المخيم ، ولا يبدو أن الجيش سيتمكن من تحقيق أهدافه في الأيام المقبلة) .

(صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية ٧/ ٤/ ٢٠٠٢م)

* (سيذكر الفلسطينيون مخيم جنين ابتداءً من اليوم كعاصمة للمقاومة البطولية ، أما بالنسبة لنا فسيكون المخيم كآبتنا) . (حيمي شاليف - معاريف)

* (إن عمليات الجيش في لبنان كانت عبث أطفال بالنسبة لما يدور هنا) .

(ضابط يهودي من القوة المهاجمة)

* (المعارك العنيفة تتواصل مع مائة مقاتل فلسطيني متحصن في قلب المخيم بقيادة مسؤولين محليين من الجهاد الإسلامي) . (إذاعة الجيش الصهيوني ٩/ ٤/ ٢٠٠٢)م

* (أصبت بصدمة ، ولن أنسى في حياتي ... وشعرت برغبة في البكاء بسبب الرعب . لم نمر في حياتنا بشيء كهذا) . (رقيب إسرائيلي من القوة المهاجمة)

* (إن الجولة العسكرية الحالية مع الفلسطينيين توشك على الانتهاء ولكن حرب الفلسطينيين مستمرة ... العمليات الإستشهادية متواصلة . والانفجار في باص المسافرين في طريقه من حيفا إلى القدس هو دليل على ذلك ... وأصبح من الواضح للجميع بأن كل دخول جديد إلى المناطق الفلسطينية يكلف ثمنا باهظا) .

(المحلل الاستراتيجي لصحيفة هآرتس - زئيف شيف)

* قال قائد لواء ما يسمى بالمنطقة الوسطى اللواء إسحاق إيتان (١٠ / ٤/ ٢٠٠٢)م. بأن مئات الفلسطينيين يتحصنون في مخيم جنين بقيادة كبار رجال الجهاد الإسلامي في المنطقة محمود طوالبة وثابت مرداوي والشيخ علي الصفوري. (وأضاف إيتان) بأن هذه قاعدة للمخربين الانتحاريين مضيفاً أن المخيم عاقد العزم على القتال حتى النهاية) .

* وكتب زئيف شيف الخبير الاستراتيجي في صحيفة هآرتس (١٠ / ٤/ ٢٠٠٢)م:

(من الواضح أن مخيم اللاجئين جنين يزى استعدادات كبيرة وشاملة عشية إمكانية أن يعود الجيش إلى المكان. والنواة الصعبة للمسلحين الفلسطينيين في المخيم كانت منظمة الجهاد الإسلامي التي قرر عناصرها القتال حتى الرصاصة الأخيرة ، ولن يستسلموا) .

* اعتبرت صحيفة معاريف الصهيونية (١٥/ ٤/ ٢٠٠٢م) . (أن جنين تحولت إلى المكان الأخطر

على أمن إسرائيل بسبب قربها من خط الحدود القريب من بقية مدن عرب إسرائيل ، بالإضافة إلى نجاح حركة الجهاد الإسلامي في تحويل المنطقة إلى قاعدة قوية لها) .

* يقول جندي صهيوني شارك في اقتحام المخيم :(وبعدها بدأ المقاتلون الفلسطينيون يصعدون على المسجد ليغنّوا بعض الاغاني ، ويتكلموا بالعبرية . أنا لا أعرف إذا كانوا يعرفون بأنهم قتلوا جنودا أم لا . هم جهّزوا أصلا أغاني أسمعوها لنا في اليوم التالي في شريط ، وتسمع أغنية باللغة العربية ، حاربنا في المقدمة ، وبعد ذلك تسمع بنتاً صغيرة تتكلم بالعربية لتقوية شوكة المقاتلين الفلسطينيين ، وبعد ذلك تسمع شاباً آخر يتكلم بالعبرية يجعلك متوترا جدا جدا : (اسمع أيها الجندي ، أنتم في مخيم جنين ، يوجد هنا عدد كبير جدا من الاستشهاديين ، يوجد عدد كبير جداً من المفاجآت . في البداية كان هذا غريب جداً) .

(٦-٢٣) : رسالة قوى وحركات التحرر العربية والصديقة في عزاء الشهيد قائد المعركة :

الأخوة قادة فصائل المقاومة الفلسطينية المحترمين . . . الأخ الدكتور رمضان عبد الله المحترم . .

تتقدم أحزاب وقوى حركة التحرر الوطني العربية والصديقة إليكم ومن خلالكم إلى كوادر وأعضاء حركة الجهاد الإسلامي بأحر التعازي القلبية ، بمناسبة استشهاد البطل محمود طوالبة قائد المعركة المعجزة في جنين . إننا نرى في استشهاد محمود طوالبة وإخوانه من المجاهدين الفلسطينيين الذين اجتمعوا في مخيم اللاجئين الصغير ، ومن كل المخيمات الفلسطينية ، ملحمة بطولية ستبقى متجذرة وللأبد في قلوب كل العرب والمسلمين ، لأن معركة الدفاع عن جنين ونابلس أثبتت للعالم أجمع أن الشعب الفلسطيني الذي واجه هجوم أكبر آلة حربية عسكرية في المنطقة وأحدث جيش في العالم ، هذا الشعب الذي غاص في بحر من العذاب ، محاطاً بأجساد الشهداء ، جدير بأن يحرز النصر ويدحر قوات الاحتلال الصهيوني .

إننا في أحزاب وقوى حركة التحرر الوطني العربية والصديقة نقف في الخندق الواحد مع الشعب

الفلسطيني وكل قواه المجاهدة المؤمنة باستمرار الانتفاضة، فخيار المقاومة كخيار استراتيجي لمواجهة العدو الرئيس الأول للأمة العربية والإسلامية، ونؤمن إيماناً قاطعاً أن الشهادة هي الطريق الفعلي لتحرير فلسطين.

المجد والخلود لكل شهداء مخيم جنين ونابلس وشهداء الانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

المجد والخلود لكل شهداء الأمة العربية.

أحزاب وقوى حركة التحرر الوطني العربية والصديقة

دمشق في ٢٨/٤/٢٠٠٢ م

* * *

الفصل السابع

محطات عاجلة

(٧-١) : مع الشيخ محمود ... حبّ كسر العاصفة :

(٧-١-١) : محمود طوالبة والأمين العام للحركة د. رمضان عبدالله :

يقول محمد طوالبة (الشقيق الأكبر لمحمود) : (كان (أي محمود) يحب الدكتور رمضان شلح وعلى اتصال دائم به، ويتحدث لأصدقائه عن مكالماته معه ، كان يقول عنه أنه رجل متواضع ومجاهد حقيقي، وكان متأثرا به بشكل كبير ويتمنى لقاءه ، وقبل الاجتياح بأيام عاهده على الشهادة أو النصر، وختم حديثه معه: اتصلت بكم مودعاً ونلتقي بكم في الجنة إن شاء الله) .

(٧-١-٢) : محمود ورفيق دربه في الجهاد عبد الرحيم فرج :

كان محمود وعبد الرحيم أخوين متحابين في الله ، وقد مرّت بنا قصّتهما مع العجوز أم سليمان، كما مرّ بنا أنهما انتظما في السرايا معاً عندما كانا يزوران إياد الحردان ، ومرّ بنا أنهما تعاهدا على الشهادة، وفارقا هذه الدنيا معاً في نفس اللحظة ...

ومما يدل على عمق هذه العلاقة ما ذكره محمود لأحد إخوانه المجاهدين ، قال له: عندما كنت في السجن كان عبد الرحيم يدعو بعض أصدقائه وإخوانه للصيام تطوعا كي يدعو الله أن يفك أسر محمود ويخرجه من السجن ، وكان يذهب يتصدّق على بعض الفقراء ويقول لهم أن هذه من الشيخ محمود وإن أمكن أن تدعو له بالإفراج ...

كان محمود يحب عبد الرحيم حبّا عظيماً ، وكانت أخوتهما خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى فيما نظن ، ولا نزكي على الله أحداً ...

(٧-١-٣) : محمود وإياد الحردان :

يقول محمد(شقيق محمود) : كان (أي محمود) قدوته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والشخصية المفضلة بالنسبة له ممن عرفهم رفيق دربه إياد الحردان وقد مرّ بنا حديث زوجته أنه تأثر بإياد كثيرا وعند اغتيال إياد عاهد الله سبحانه أثناء صلاته على الثأر لإياد ...

(٧-١-٤) : الشيخ محمود وأيمن دراغمة :

يقول بعض المجاهدين الذين عرفوا محموداً عن قرب بأن لقاءه بأيمن في سجن الوقائي قد أثّر فيه تأثيراً عميقاً ،ويقولون بأنه خرج من السجن أفضل مما كان قبل السجن بشكل واضح ، وكان رحمه الله قبل السجن فاضلاً ...

وكان محمود قد عرض على أيمن دراغمة أن يعملا معاً ضد الصهاينة، لكن شاء الله سبحانه أن يستشهد أيمن قبل أن يحدث ذلك وفي فترة وجود أيمن القصيرة في المخيم كان محمود يزوره ويتردد عليه دائماً ...

(٧-١-٥) الشيخ محمود وابو جندل :

يقول شقيق القائد الشهيد أبو جندل : ارتبط أخي الشهيد أبو جندل مع محمود طوالبة بعلاقة قويّة ، وأبلغني أخي خلال المعركة أن محمود طوالبة كان مطّلعاً على أوضاعه وظروفه القاسية والصعبة ، خاصة على الصعيد الصحّي حيث كان بحاجة للعلاج ، وقد وعده طوالبة إذا خرجا من المعركة أن يتكفل بعلاجه، وقال لي انه لم يشاهد أبداً في حياته مقاتلاً مؤمناً بطلاً كطوالبة الذي تميّز بالحنكة والجرأة، إنه مقاتل بكل معنى الكلمة ، وقال لي بأن محموداً قائد كبير ...

وأبلغني أبو جندل أنه إذا نجا من رصاص الصهاينة، وخرج من المخيم فسيكون له مواقف مع الذين خذلوا المخيم ومنعوا الذخيرة ، وطالبوه بالانسحاب فوراً ، لكنه رفض وقاتل مع رجال الأمن الوطني الذين رافقوه متطوعين، ومع باقي التنظيمات ، وعندما نفذت الذخيرة من أبي جندل ومجموعة الأمن الوطني التي قاتلت معه اتصل بالقيادة وطلب منها ذخيرة ، فرفضت إرسالها له ، فامدّه طوالبة بقسم كبير من الذخيرة والذي لم يبخل عليهم بشيء ، قدّم لهم كافّة اشكال المساعدة . وأبلغني أبو جندل ان طوالبة القائد السياسي والأخلاقي للمعركة ، كما أن محموداً شكّل رمزاً لأبي جندل، فخاضا معاً عدة معارك ، ففي اليوم الثالث حاصرت مجموعة (أبو جندل) وطوالبة عدداً من الجنود في حارة السكّة، واشتبكوا معهم حتى قتل وأصيب عدد منهم ، وفي اليوم الرابع اتصل به أبو جندل، وأبلغه أنه ومحمود مقبلين على فعل

شيء أكبر من القدرات والتوقعات . خلال المعركة كلّف أبو جندل وطوالبة الأخ شادي النوباني بالتكبير والأذان لرفع معنويات المقاتلين خاصة خلال معاركهم وهجومهم ، وقد استمر ذلك حتى قصف الجيش السماعات ودمّرها ، وفي الليلة السادسة قاد محمود هجوماً على مجموعة من القنّاصة في حارة الحواشين واشتبك معهم حتى قتل وأصاب عدداً منهم ...

كذلك فقد ذكرت زوجة أبي جندل أن زوجها أخبرها أن الجهاد الإسلامي أمدّوه هو وجنوده من الأمن الوطني بالذخيرة وغيرها ...

ويقول محمد ، شقيق الشيخ محمود طوالبة: خلال المعركة وقع خلاف بين أبي جندل وقيادة المنطقة التي طلبت منه الانسحاب فرفض أبو جندل الرد عليهم لأنهم منعوا عنه الذخيرة، فكان غاضباً ويبحث عن رقم الرئيس ليتصل به ، ويخبره بالأمر، فردّ عليه محمود الذي أبلغهم بموقف أبي جندل، وتفوّه المتصل بعبارات أغضبت أبا جندل ومحموداً حيث قال لطوالبة : (تعلّم الأدب ونحن ثورة) ، فردّ عليه محمود قائلاً : (أشكالك الهاربة يجب أن تتعلم الأدب) فقال : (أريد أن اعطي أبا جندل خطة) ! ! فقال له محمود :(إنه بحاجة لذخيرة كلاشن لا يملك سوى طلقة واحدة، اتق الله بجنودك ، ويوجد ذخيرة في السيباط) ،ثم زوّدهم محمود وقائد من فتح بالذخيرة حيث كانوا يرابطون بالمنطقة الغربية في حارة محمود .

ويروي الشيخ بسام السعدي :(التقيت بأبي جندل أمام المسجد القديم في المخيم ، فبادر قائلاً: أنا الضابط الوحيد من (٥٠٠) ضابط في محافظة جنين، جئت للاشتراك في المعركة متطوعاً ، وقال إن بحوزته مدفع آر بي جي مع عشرة قذائف لاستعماله عند الضرورة.

كان الشهيد أبو جندل من ذوي الخبرة العسكرية، وهذا ساعد في إمداد المقاومة بنوع من الخبرة العسكرية، ولا ننسى ان الشهيد (أبو جندل) شارك في الاجتياح السابق ، وأبلى بلاءً حسنا بإجماع كافّة الفصائل) .

ويذكر (ر.ط) وهو ممن شارك في المعركة بأن الشيخ محمود كان قبيل المعركة قد جاءه قاذف آر بي

جي مع مجموعة من القذائف، فأوكل بها الشهيد القائد أبا جندل، لأنه كان متدرباً عليها، وكان ذا خبرة في هذا المجال ...

كما جاء في كتاب (جنين غراد) ص٨٦ :(أحضر الشهيد أبو جندل قاذف ال آر بي جي) الوحيد وقذيفته الوحيدة التي كان صاعق التفجير فيها معطلاً ، وقام الشهيد محمود طوالبة بإصلاحه .)

وقد مرّ بنا سابقاً أن محموداً طلب من مجاهدي السرايا في الحارة الغربية عندما قرّر أن يتركهم أن يلتزموا بأوامر أبي جندل وأن يعملوا حسب توجيهاته ...

(٧-٢) : (طوالبه ... عنوان للاحتجاج السياسي والوطني):

تحدثنا سابقا عن هبة الجماهير الغاضبة عندما اعتقل الشيخ محمود طوالبة جهازُ الأمن الوقائي ، تلك الهبة التي تواصلت ثلاثة أيام كانت تلامس حدود الانفجار، ثم نظمت ضمن برنامج احتجاجي تشرف عليه لجنة القوى الإسلامية والوطنية في مخيم جنين ... يومها كانت الهبة احتجاجا على اعتقال الشيخ ، أما بعد استشهاده فقد أصبح هذا الاسم يعني موقفا أخلاقيا ونضاليا ، وأصبح يعني إعلانا سياسياً صارخاً دون مواربة أو دوران ...

وحتى نوثق هذه الحقيقة التي أصبحت مسلّمة بالنسبة لجماهير جنين ومخيمها ، فإننا سنسوق مشهدين في منتهى البلاغة والسطوع ...

(٧-٢-١) : المشهد الأول :

بعد معركة مخيم جنين كانت محاكمة الرفيق المناضل أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية وثلاثة آخرين من الجبهة (وهم المتهمون بقتل وزير السياحة الإسرائيلي) ، ومعهم فؤاد الشوبكي مسؤول المالية في السلطة في مقر الرئاسة المحاصر بالدبابات ، كانت هذه المحاكمة الظالمة تقع على أهل جنين ومخيمها – كما على سائر الفلسطينيين – وقوع الصدمة ، كما لو كانت إعلان استسلام بائس، وكما لو كانت إعلانا

بأن معركة المخيم لم تعكس شيئًا على الواقع السياسي الفلسطيني الرسمي ...

وفيما كانت هذه المشاعر ما زالت تتفاعل في نفوس الجميع، ويتفاعل معها ذلك الموقف الجبان لمسؤولي السلطة في منطقة جنين أثناء المعركة حدث أن قرر رئيس السلطة بعد رفع الحصار عنه زيارة جنين ومخيمها ، وبدأ الإعداد في المدينة لاستقباله ، فرض المتنفذون في الأجهزة على طلاب المدارس التوجه للملعب البلدي حيث ستهبط طائرة الرئاسة التي ما إن ظهرت وبدأت بالهبوط حتى كانت حناجر الأطفال الذين سيقوا من مدارسهم سوقًا تصدح بكل ما تملك من صوت : طوالبة .. طوالبة .. طوالبة. طوالبة ، ... إلخ

وبينما كان الرئيس يخطو على مدرج الطائرة كانت الحناجر ما زالت تصدح بهتافها المجلجل طوالبة طوالبة ، وبدأ مرافقو الرئيس وأولئك الذين كانوا بالانتظار أسفل المدرج يرفعون أصواتهم بالهتاف (بالروح بالدم نفديك يا أبو عمار) ، حتى يغطوا على أصوات الطلاب الذين حشدوا للتأييد ، واستمر المشهد حتى غادر الموكب شاقاً شوارع المدينة باتجاه المخيم ...

وعندما كان الموكب يشق الشارع الرئيسي للمخيم نحو مقبرة الشهداء كانت الأصوات مرة أخرى ترتفع، لكن هذه المرة من أفواه الجماهير المحتشدة فوق أنقاض المخيم : طوالبة طوالبة ، لعيونك يا شيخ محمود المخيم كله أسود ، طوالبة وبس والباقي كله خس ، طوالبة يا حبيب فجّر دمّر تل أبيب ، طوالبة يا مغوار والمخيم شعلة نار ، يا طوالبة ارتاح ارتاح واحنا نواصل الكفاح ...

اتحدت حناجر الصغار والكبار – حسب قول أحد الصحفيين – وصوتها يشق الفضاء يغنّي لطوالبة أغنيات المقاومة والبطولة والجهاد ، وكلما تدارك لمسامع المحتشدين قرب وصول الموكب ، تعالى الهتاف لطوالبة ... طوالبة يا مغوار فجرنا فخخنا كلنا ثوار ... وصلت صرخات الأهالي للوفد الزائر فقرروا تغيير البرنامج وقطع الزيارة للمخيم وتوجهوا لبلدية جنين ...

ورغم حرارة الشمس الساطعة وطول الانتظار بقي الجميع في مواقعهم لعدة ساعات يغنّون لطوالبة، وينشدون له أجمل الألحان ، ويواصلون هتافهم بتلك الشعارات معبرين هذه المرة عن غضبهم من عدم

الاستماع لصوتهم الغاضب على قيادة السلطة في جنين، تلك التي خذلت المقاومة، وتركتهم وحيدين في المعركة ... كانت الطالبة فدوى، والتي حضرت المشهد، – والقول هنا لصحفي رصد المشهد – تغني لطوالبة رغم معرفتها بزيارة الرئيس، لأن طوالبة قاد معركة المخيم، ودافع عنهم ببسالة، ورفض الخضوع والاستسلام، أما ممثلو السلطة فقد تركوا المخيم، ولم يشاركوا مع طوالبة ورفاقه في المعركة، لذلك فإنها وجميع زميلاتها الطالبات لن يهتفوا إلا للمقاومة، والذي يمثل المقاومة هو محمود طوالبة، وحملت الطالبات صورة طوالبة ولوّحن بها وهنّ يهتفن بحرارة: طوالبة .. طوالبة، فيما قالت الطالبة نسرين من مخيم جنين: (نوجه لطوالبة تحية عهد ووفاء، وهذا الصوت الحقيقي الذي أردنا أن يسمعه الرئيس ومن معه لا نريد منهم سوى الوفاء وصون دماء طوالبة ورفاقه ووصيتهم التي كتبت بالدم ...

بعد ذلك ادّعى أعضاء في الوفد أن إلغاء الزيارة كان لأسباب أمنية فيما زعم آخرون أن زيارة الأنقاض لم تكن في برنامج الزيارة ...

ولدى سؤال الجزيرة لحسام خضر (النائب في المجلس التشريعي) يومذاك عن سبب تغيير البرنامج حسب ظنه ؟ قال: أنه لم يعجب الرئيس أن يهتف الناس لأسطورة المقاومة طوالبة ...

(٧-٢-٢): المشهد الثاني:

بعد ما يسمى بعملية الطريق الحازم، وعندما أخذت الدبابات تكثر من مظاهر العربدة في شوارع المدن الفلسطينية ومن بينها مدينة جنين، أخذ الأطفال والفتيان والمقاومون يهاجمون الدبابات ويخوضون معها الاشتباكات بالرصاص والحجارة وربما أحيانا بإلقاء الصخور من فوق بعض العمارات، وبثت شاشات التلفزة مشهد الأطفال وهم يصعدون على ظهر الدبابة، ووصل الأمر أن أحدهم – وهو لم يبلغ الثانية عشرة– فك عنها الرشاش الذي ثبت عليها لإطلاق النار على صدور الفلسطينيين، وفي مرة أخرى فك الأطفال مكبر الصوت الذي كان ينادي (ممنوع التجول) ... ودائماً وفي كل مرة كان الهتاف الصادح للجميع أطفالاً وفتياناً ومقاومين في جميع هذه المواجهات من بداية ما يسمى بالطريق الحازم، وحتى بداية كتابة هذه السطور يوم ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٢ : طوالبة طوالبة ... وكل هذا وثّقته الكاميرا، وبالنسبة للصحفيين في

جنين أصبح المشهد المثبت على شاشة الحدث رغم مرور الأيام ...

لقد أصبح طوالبة هتاف الجماهير وعنوان المقاومة الفلسطينية في أروع تجلياتها (معركة المخيم) وأضحى المثل الأعلى والقدوة التي يتأسى بها الأطفال والفتيان ويحاولون أن يكبروا على صورته ...

(٧-٣) : (طوالبة في الخيال الشعبي ... حبيب الناس)

يذكر أحد المهتمين بالشأن العام أنه من خلال احتكاكه بالشارع الشعبي سمع ثلاث عشرة رواية حول مصير محمود طوالبة هل هو حيّ أو أنه استشهد ؟ ! سبع منها تقول بانه استشهد ، والروايات مقنعة ، وست تقول بأنه لا زال حيّاً ، وهي -أيضاً - مقنعة ...

ولو واصل هذا الشخص احتكاكه بالناس تقصّيا لهذا الأمر لوجد المزيد من الروايات والقصص التي ينسجها خيال الناس الذين أحبوا هذا القائد إلى حد العشق والوله ... بل إن كثيراً من الناس حتى بداية كتابة هذه السطور ، وقد مرّ على استشهاد القائد الشهيد محمود طوالبة أكثر من ستة شهور ، ما زالوا غير مقتنعين أنه استشهد ، بل إن أحد الصحفيين الذي له احتكاك واسع بالشارع بحكم عمله ، قال لكاتب هذه السطور :(أنا أحد الناس الذين لم يدخل هذا الكلام- استشهاد محمود - إلى عقولهم) ! ! .

وربما ما زال الكثيرون يتذكرون كيف أن جلسات الناس رجالاً ونساءً ، صغارا وكبارا في جنين وقراها كان موضوعها البارز هل استشهد طوالبة أم لا ؟ وكأن هذه القلوب العاشقة تضنّ به على الموت ! ! .

بل إن الصهاينة أنفسهم احتاروا نتيجة هذا الجدل حول مصيره ، وانعكس الأمر على وسائل إعلامهم ، الأمر الذي اضطر جهاز الأمن العام الصهيوني (الشاباك) إلى أن يعلن أن لديه ستة وعشرين دليلا وقرينة على أن محمود طوالبة قتل في المعركة) ! ! .

ونحن فيما يلي سنورد بعض التقارير والمشاهد التي تعبر عن هذه الحقيقة (حب الناس غير العادي لمحمود) :

* مع أول فوج صحفي دخل مخيم جنين بثت وسائل الإعلام صورا للدمار والخراب الذي خلّفه

الاحتلال، كان بينها مشهد لجدار يجلس بجانبه مجموعة من الشبان والفتيان وقد كتب عليه (سننتقم ...كتائب الشهيد محمود طوالبة) .

* كتبت مها عبد الهادي في موقع إسلام أون لاين . نت بتاريخ ١٢/ ٦ / ٢٠٠٢م م:

(ففي مدينة جنين – على سبيل المثال – بدأت صور الشهيد (محمود طوالبة) –قائد معركة جنين– تزيّن أجهزة الهواتف الجوالة للشبان) .

* ويقول (محيي عز الدين) من قرية يعبد لمراسلة (إسلام أون لاين . نت) الأربعاء ١٢/ ٦/ ٢٠٠٢م: (بعد استشهاد طوالبة اصبح الشباب يتفننون في ابتكار أساليب للتعبير عن حبهم وتقديرهم واعتزازهم ببطولة الشهيد وما يشكّله من أسطورة جهادية وقدوة نضالية) . ويضيف عز الدين: (إنه بالإضافة إلى لصق صور طوالبة على واجهات المنازل وفي كراسات الطلبة تمكن الشبان من وضع صورته على شاشة الهواتف الجوالة) .

* ويشير صاحب محل لأجهزة التليفونات الجوالة في جنين إلى أن أحد الشبان نجح في تصميم صور ل (طوالبة) ، وأدخلها في جهاز الحفظ الخاصة بشاشة الجهاز لتصبح خلفيّة الشاشة ، وفور انتشار النبأ تدافع عدد كبير من الشبان خاصة الطلاب منهم لتزيين هواتفهم بصور طوالبة ، وذكر أن الشبان استبدلوا الأجهزة التي لا تستوعب الصور رغم أن تكلفتها عالية ، وأكد أن هناك إقبالاً لم يعهد له مثيل على هذه الظاهرة .

* وقال شاب آخر يدعى (سامي النجار) من مدينة جنين بأنه شاهد أحد رفاقه يضع صورة طوالبة على جهازه ، فتوجه فوراً لمحل خاص بالهواتف الجوالة واستبدل بجهازه جهازاً آخر بشرط وضع صورة طوالبة عليه . وأضاف بأن طوالبة يمثل بالنسبة له الرمز الأسطوري والقدوة التي لن ينساها ويتمنى أن يصبح مثلها ، لذلك اختار أن يكون رفيقه في كل مكان . ويضيف ايضاً : لم أكن سعيداً بهذا القدر في حياتي ، فطوالبة مزروع في قلوبنا وعقولنا ، واليوم يبقى معنا في كل اتصال وكلمة ، إنه تعبير بسيط عن حبنا وتقديرنا له واعتزازنا الشديد به .

* وكتب الصحفي علي سمودي تحت هذا العنوان :(طوالبة . . . نشيد الأطفال المفضل في مخيم جنين) :

(طوالبة . . طوالبة ...طوالبة ... أغنية جديدة خط أطفال مخيم جنين كلماتها وبراءة ممزوجة بالحب والتقدير ، شكّلوا حروفها وألحانها لتصبح نشيدهم الوحيد في أول مسيرة يشهدها المخيم تكريماً لأطفاله الذين استشهدوا برصاص العدو الصهيوني الغاصب خلال العدوان والمجزرة الوحشية على أرض مخيم الصمود والمقاومة ... ولكن الأطفال الذين غادروا طفولتهم لم يعودوا قادرين على حفظ الأناشيد والأغاني الخاصة بالأطفال بل أغاني المقاومة التي أصبحت تشكل حياتهم ... وبينما كان فريق الصحة النفسية يحشد الأطفال في ساحة مدرسة الوكالة لإحياء ذكرى زملائهم الشهداء فوجئ الجميع وهم يشاهدون الطلبة يفتحون حقائبهم ليخرجوا منها عشرات الصور التي كانت للشهيد محمود طوالبة قائد سرايا القدس/ الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي وصرخاتهم تنطلق بقوة : طوالبة طوالبة - بالطول بالعرض طوالبة يهز الأرض ... واهتزت أرض المدرسة تحت أقدام الطلبة وهم ينطلقون في مسيرتهم بعفوية حاملين صور طوالبة وعدداً من صور الشهداء والأطفال وصوتهم يعلو على هدير الجرافات والطائرات التي ما زالت تحلّق في سماء المخيم ليعلو على كل الأصوات الأخرى ... يا طوالبة يا حبيب بكرة الرد بتل أبيب ... يا سرايا ويا قسام بدنا منكم انتقام . . يا طوالبة هات هات بدنا منك عبوات ... طوالبة يا جنرال المخيم صامد ما بينهار ... طوالبة قالها سرايا واحنا رجالها ... يا طوالبة يا مغوار المخيم شعلة نار ...

صور أذهلت جميع المحتشدين ، فالأطفال لم يعودوا أطفالاً وأحلامهم وأمنياتهم لا تتعلق بدمى وألعاب الطفولة ... بل بالمقاومة والشهادة ، وطوالبة الذي قاد معركة المخيم كما قال الطالب بسام زيدان (١٤) عاماً : أمنيتي أن أصبح مقاتلا مثل محمود طوالبة الذي دافع عن المخيم ولقّن العدو درساً لن ينساه ، أما الطالب معتصم الذي تفنّن في ترديد الهتافات فقال : نهتف لطوالبة لأننا شاهدناه يقاتل ببسالة ويدافع عنا ، ويضيف : صورته لا تفارقني لحظة واحدة ، فقد رأيته خلال المعركة وهو يقود شباب المخيم ويحثهم على الصمود ، وعندما هدم الجنود أحد المنازل قفز محمود داخل النار وأخرج الأسرة وأنقذ حياتها ، لذلك أتمنى أن أصبح مثل طوالبة .

أما الفتى عوض عبدالله فقال وهو يرفع راية طوالبة، ويهتف بحياته بصوت عال : (بالطول بالعرض طوالبة يهزّ الأرض) ، (جميعنا نتمنى أن نصبح مثل القائد البطل محمود طوالبة)الذي رفض أن يغادر المخيم وواصل القتال من بيت لبيت ومن شارع لشارع ، رأيت طوالبة ينصب الكمائن للجنود رغم قصف الطائرات، ويوزع العبوات على الأشبال ، وفي هذه المسيرة نريد أن نقول لكل العالم أن طوالبة ، وإن استشهد ، حيّ لن يموت، وجميعنا طوالبة .

الطالبات يهتفن بحياة طوالبة :

وانضمت طالبات المخيم للطلاب، وحملن صور طوالبة وزميلتهن الطفلة الطالبة ماريا أبو سرية والطالب محمد راتب لحلوح، وتعالت صرخاتهن : الله أكبر ، بالروح بالدم نفديك يا طوالبة ، وقالت الطالبة آمنة خالد : (جميعنا يعرف طوالبة البطل ويتمنى أن يصبح مثله ويسير على دربه ، وهذه الشعارات تعبير بسيط عن مشاعرنا) ، أما الطالبة هند ، فقالت، وهي تخرج صورة للقائد طوالبة من حقيبتها المدرسية : أتذكر في هذه اللحظات محمود طوالبة الذي لم يكن مقاتلا فقط بل كان يتفقد أبناء شعبه في المخيم، ويحثهم على الصمود ، ويوزع عليهم المساعدات ، وتضيف : في اليوم السابع من القصف والحصار نفذت المواد التموينية من غالبية المنازل في حي الدمج، ولم يتمكن أحد من إيصال أية مواد لنا ، وخلال الليل شاهدنا طوالبة يخاطر بحياته، ويتسلل بين الأزقة حاملا رشاشه ومواد تموينية وزعها علينا ، لن أنسى ذلك ...

وروت الطالبة ميساء علي أنها شاهدت طوالبة وهو يهاجم مجموعة من الجنود حاولت التسلل للمخيم وتقول : (الجميع شعر بالخوف على طوالبة ورفاقه لأن الطائرات كانت تقصف بشدة للتغطية على الجنود الذين هاجمهم طوالبة ورفاقه وأصابوهم ، إنه بطل حقيقي لن ننساه) .

ساعة من الهتافات:

وتجمع الطلاب والطالبات قرب النصب التذكاري لزملائهم الشهداء فزينوه بالأكاليل ثم اصطفوا حوله ليبقى نشيدهم على مدار ساعة أغنيات تتردد لأول مرة تمجد بطولات طوالبة ، وقالت الطالبة علا ذياب

: (أغنياتنا تعكس مشاعر أطفال مخيم جنين ، وتقول للعالم إن شعباً ينجب أبطالاً وقادة كمحمود طوالبة حي لن يموت ، سنحمل رايته ، ونواصل دربه حتى نحقق حلمه وأحلام أطفال فلسطين الذين يطاردهم الغول الصهيوني ، فقد قتلوا الطفولة المعذبة بدم بارد ، والوحيد الذي دافع عنا وثأر لدموعنا ومعاناتنا هو محمود طوالبة .

* تقرير آخر لعلي سمودي :

(خرج اللاجئون الفلسطينيون في مخيم جنين من بين ركام الدمار الصهيوني وثنايا المجزرة الوحشية أكثر قوة ووحدة وتلاحماً واستعدادا للتضحية والبذل والعطاء ، وبمقدار أكبر من الثورة والسخط والغضب والاستنكار للموقف العربي والدولي ، وبينما كان أهالي المخيم يصبّون جام غضبهم ولعناتهم على زعماء العرب المتخاذلين المستسلمين ، كانت أم علي ، ومعها عدد من ماجدات المخيم ، يؤكدن أن الاستثناء الوحيد في هذا الغضب الساطع هو الشهداء ، وفي مقدمتهم محمود طوالبة ، والسبب -كما تقول هند عويس (٦٥عاما) ، والتي هدم منزلها المكون من ثلاث طبقات : (لأن هؤلاء الشهداء والقائد طوالبة هم المجاهدون الحقيقيون الذين لم يتخلوا عنا ، ولم يفرطوا بنا ، أو يساوموا ، أو يتآمروا على شعبنا ، وأضافت ، وهي تقبّل صورته بحرارة وتمسح الدموع عن عينيها) : (جميع القادة تآمروا علينا ، ورضخوا لأمريكا وإسرائيل ، الشهداء وطوالبة رفضوا التخاذل والرضوخ ووقفوا مع شعبنا . لذلك كله فإن البشر والشجر والحجر في فلسطين ينحني إجلالا وإكبارا لهذا المجاهد الذي رسم فلسطين في قلبه وضميره ، وجعل قضيتها قبلته الأولى والأخيرة) .

نفس الموقف يتردد على لسان كل فلسطيني في المخيم الذي صمد في وجه أعتى حرب عدوانية صهيونية ، وبينما يتسابق الشبان والأطفال لتزيين واجهات المنازل والشوارع بصور الشهداء ، قال سعيد ، بفخر واعتزاز : نرفع صور طوالبة لأنه أبرز رموز المقاومة ، واعتقد أنه يعيش في قلب وضمير كل فلسطيني في المخيم الذي استمد الصمود من صمود مقاتليه .

أما والدة الشهيد محمد عمر حواشين الذي اغتالته قوات الاحتلال في اليوم الأول من الاجتياح الغاشم

للمخيم ، وفي اليوم السابع قامت بهدم منزلها وتشريدها فقالت : (سنرفع صورة الشهداء وطوالبة في كل بيت وفوق كل أنقاض لنؤكد أن شعبنا سيواصل التحدي وتعلّم الدرس من ملحمة البطولة في مخيم جنين، فمنهم ومنه نستمد معالم الإرادة والصمود ، وسبب تقديرنا لطوالبة لأنه القائد الذي لم يتمرس إلا في خندق الجهاد والمقاومة ، لم يتراجع أو يتلوّن كغيره ، ويكفي أن اقول بأن ولدي الشهيد كان يردد في آخر يوم وآخر لحظات حياته مع أقرانه : (يا طوالبة يا حبيب اقصف دمّر تل أبيب) .

وبينما كانت طواقم الإغاثة تواصل رفع الأنقاض تسلّق الطفل ضياء عويس أنقاض منزلهم المدمّر وهو يحمل صورة ، منظر أثار جماهير المحتشدين في المخيم ووسائل الإعلام التي راقبت ذلك الطفل الفلسطيني الذي يتسلق منطقة الخطر، والجميع يتساءل عن صاحب الصورة ، وفيما حبس العديد الأنفاس قلقا على حياة الطفل ، وصل ضياء لقمّة البيت ورفع إشارة النصر، ثم نصب الصورة التي كانت للشهيد طوالبة وعدد من المقاتلين على واجهة المنزل وهو يبتسم ، وفي اليوم التالي تسابق أطفال وشبان المخيم لتقليد ضياء وألصقوا العشرات من صور طوالبة ورفاقه على امتداد واجهات المخيم وذلك كما قال شفيق : كرسالة وفاء وتقدير لرمز المقاومة والصمود الذي وقف بصلابة في المعركة، وأكّد رياض أنه يرفض تعليق صور أخرى لأن الجميع خذلوا شعبنا وتآمروا عليه، أما الشهداء فبقوا معنا ، ولا نبالغ إذا قلنا بأننا نشعر بوجوده معنا في كل وقت .

وتروي الطفلة سماهر عيسى خالد ان الجنود لدى اقتحامهم منزلهم استشاطوا غضباً عندما شاهدوا صورة طوالبة تزيّن واجهة المنزل، فمزّقوا الصورة، وكسّروا محتويات المنزل، وهددوا بنسفه فوق رؤوسهم، ولكن تلك التهديدات لم تخف سماهر التي بدأت تجمع الصورة الممزقة، وتعيد ترتيبها ونصبها مكانها ، وفي اليوم التالي توجهت إلى جنين وأحضرت صورة جديدة .

* * *

الفصل الثامن

بأقلامهم

(٨-١) : (محمود طوالبة... الاسم الاشهر والعنوان الابرز)

بقلم: الشيخ عبد الحليم عز الدين(أبو القسام) ؛

قائد سياسي اعتقل في مخيم جنين خلال الملحمة؛

(سجن هداريم)

أبو عبد الله ، الشيخ محمود طوالبة، الاسم الاشهر، والعنوان الابرز في منطقة جنين رغم ان عمره لم يتجاوز الثالثة والعشرين ربيعاً ، استطيع ان اقول بملء فمي بان منطقة جنين لم تعرف في تاريخها الطويل شخصاً يحظى بثقة الجماهير واحترامها مثل أبي عبد الله (الشيخ محمود)، ولم يكن الاجماع الجماهيري على شخص مثلما كان على هذا الشيخ الفتى أبي عبد الله.

أما عن دور الشيخ في الاجتياح الاخير، والذي كان نتاج تراكم بطولات سنة كاملة للشيخ محمود، رفع خلالها منسوب العمل الجهادي درجات كثيرة، وترك بصمات واضحة في كل الميادين، وأهمها أو اخطرها انه استطاع بفضل الله ان يحول المتفجرات التي كانت سلاح النخبة لدى العسكريين الى سلاح شعبي في متناول الجميع حتى ظهر في مخيم جنين ما يعرف بأشبال الاكواع ، وقد طورها الشيخ كثيراً – كما اخبرني بعض من عرفه من قرب –لتصبح مناسبة لكل المقاومين حتى الاطفال منهم، بحيث تكون سهلة التحضير والحيازه والنقل والاستخدام.

وأهم ما ميز الشيخ الشاب أنه لم يكن حزبياً متعصباً ، بل كان يرى في رسالته الجهادية متسعاً للجميع وفي امكاناته حتى المالية والمادية ، ناهيك عن خبرته ودعمه المعنوي الحقيقي لكل شريف لديه الجاهزية للتضحية والقدرة على الجهاد والمقاومة .

وعندما يتقدم الاعداء باتجاه المخيم عبر الاجتياحات المتكرره يظهر الشيخ كأنّ حرمه مستهدف يحيط به الخطر، فينهض بهمة الرجال وشجاعة الابطال، لا يستتر ولا يحتجب ولا يتوارى، بل يعمل كل شيء ؛ يعلّم، ويحرض، ويعدو في آن واحد، ولا يبالى بمن يستهدفه، او يتربص به.

ما عرفت احداً في حياتي أكثر منه جدا وهيبة ونشاطا ، كان مساعدوه يتوسلون اليه ان يرتاح بعض

الوقت، او ينام ساعات من النهار او الليل ليأخذ قسطا كافيا من الراحة ،وقبل الحديث عن دوره في الاجتياح الاخير لا بد من شهادة حق، وإن بدت تمس بعض المقاومين، ولكنها كلمة صدق وشهادة حق لا بدّ منها، فربما لا يعرف الكثيرون ان الشيخ ومساعديه هم الذين حموا المخيم في الاجتياح قبل الاخير من السقوط الكامل حيث سقطت مناطق كثيرة في المخيم بعد مقاومة عنيفه وشرسة، وقد انحصرت المقاومة في بقعة ضيقه جداً حوصر فيها عددٌ كبير من المقاومين، نسبة عالية منهم من المطلوبين، وعند مساء ذلك اليوم من الاجتياح بدأ الحديث عن ضرورة الانسحاب من المخيم .

انسحب كل المشاركين من السلطة ، وربما كان هناك دور لبعض الاجهزة، ولكن بطريق غير مباشر، وقد انسحب عدد كبير من المقاومين والمطلوبين اتجاه المدينة، ورغم ان بعضهم رفض في البداية الا انهم خرجوا في نهاية المطاف بقطع النظر عن الاسباب و الدوافع والظروف، وقد بُلغ الشيخ باجماع الفصائل والمقاومين على ضرورة خروج المطلوبين من المخيم، وان الطريق مؤمن، وبعد كثير من الضغط اعلن الشيخ استعداده للاستجابه لتلك الضغوط وانه يمكن ان يفعل ذلك، وانه سيرتب الامر بمعزل عن الترتيبات، الا انه اقفل جهازه الخاص، وقطع اتصاله مع الجميع ، وجمع نفراً من مساعديه، فتبايعوا على الشهادة، واخذوا مواقعهم، وباتوا ليلتهم وحدهم يحملون السلاح، وينتظرون الشهادة، ولكن أجلهم لم يكن ليأذن بدخول الجيش اليهم ، لأن الله قد هيأ الشيخ – كما بدا لنا فيما بعد – ليكون أهم قيادات المعركة التي استشهد فيها فيما بعد (الاجتياح الاخير)، وربما لو خرج الشيخ في ذلك الاجتياح ، وتأكد الجيش من خلو المخيم من المقاتلين لسهل عليهم دخول المخيم ليلتها ، ثم لا يخرجون منه حتى يشتتوا ذلك التجمع الضخم للمقاومين في تلك البؤرة الأكثر اشعاعا في المنطقة في كل فلسطين، ولا ندري ربما ما كانت عرفت الانتفاضة وتاريخ المقاومة الفلسطينية مثل ذلك الحدث الضخم (معركة المخيم الباسلة في شهر نيسان عام ٢٠٠٢)م، لو كان ذلك لاعداء الله في الاجتياح قبل الاخير، اما عن دور الشيخ في الاجتياح الاخير الذي اعلن فيه انه جندي لدى احد مسؤولي الجهاز العسكري في الجهاد الاسلامي – كما اخبرني حين لقيته في السجن، ولكن ذلك لم يؤثر، على حضوره الضخم في وجدان المقاومين والفصائل وعامة الناس الذين احاطوا

بمشروع المقاومة، ومكثوا في المخيم رغم الموت القادم نحوهم بسرعة صاروخ الاباتشي فليس أبو عبد الله ممن تصنعه الكرسي، او ترفعه ابداً ، بل مثله يعطي للكرسي قيمتها وللكلشن والمركز مداها ومعناها ، ولم يكن المركز التنظيمي ليغير في وقعه من شيء .

لاحظت الجندي الصلب منذ اليوم الاول في الاعداد للمعركة يتحرك بروح المسؤولية أكثر من كل القاده المعروفين وغير المعروفين، يجهز الافكار والادوات والخطط ... يعبئ الناس بكلماته وحركاته وسكناته ليلتف الجميع حوله ، ويتعلق المقاومون بكل انتماءاتهم به، وحتى غير المؤطرين ،وقد قال لي ضابط المخابرات الاسرائيلية في التحقيق: ان الشيخ محمود كان يُشغل ثلاثة مصانع متفجرات في الاجتياح الاخير ذكر أنهم دمروها .

محمود الشيخ الجندي هذه المرة كان قبلة كل المقاومين من الفصائل، وكل الشرفاء من الاجهزة كانوا يلتجؤون اليه لكي يمدهم باسباب الصمود والمقاومة، ولم يكن ابدا الا عند حسن ظن الجميع به دائما ، ولست املك من الشهادات ما يكفي للاحاطه باسمه العظيم ايام المعركة الاخيرة والكبرى نيسان ٢٠٠٢م (الاجتياح الاخير) ، ولكني كنت اراه ممتشقاً سلاحه ما ان يصل إلى محور من محاور المواجهة، او يطل على مجموعة من المقاومين الا ويشعر الجميع انهم باحسن حال وأكثر امنا وحبا للمواجهة وحماسة للقتال، وقد شهد بعض الاخوة بأنه –رحمه الله– قبل استشهاده بوقت قصير قتل جنديين اسرائيليين انتقاما لاستشهاد أخيه في المعركة (اشرف ابو الهيجا) الذي استشهد في اليوم السادس من الاجتياح .

وعندما بدأت حارات المخيم تسقط والجرافات تهدم البيوت، قرر الشيخ وأهم مساعديه الشهيد الشاهد والبطل المتواضع الصامد المعروف بالعبد الاسمر(عبد الرحيم فرج)ان يثبتوا في احدى الحارات التي اوشكت ان تسقط، وإظن ان اسمها حارة الحواشين، قررا ، وربما كان معهما ثالث او رابع لا اعرفهم، ان لا يغادرا حتى يغادرها الاعداء ، او يموتا دونها ، ولكن الله اختار لهم الخير، فكانت شهادتهم الاروع لكل مقاوم يرغب عن الدنيا الى الآخره ليسطّر في سجله العظيم اجمل صفحات المجد واشرف سطور المقاومة ،لقد جاء استشهاده افصح بياناً واصدق تسجيلاً لأحداث المقاومة .

قبل الختام استطيع ان اقول بان كل واحد من الابطال الذين شاركوا في الاجتياح الاخير (معركة المخيم) كان يمكن ان يتصور غيابه عنها وقد يجد الناس له عذراً ، اما الشيخ محمود فلم يكن ابدا ممكنا غيابه عن تلك المعركة، ولا يمكن أن يتصور محمود خارج المخيم بمحض ارادته في أي اجتياح او معركة، وليس ذلك ظني وحدي بل ربما يكون هذا موضع اجماع.

رحم الله الشيخ الشاب والقائد الجندي والفرد الامة والرمز الفتى، رحم الله ابا عبد الله، سلام الله عليه يوم ولد ويوم التزم المجد ويوم بايع اياد الحردان ويوم حمل الرايه وقاد الجهاد في مخيم جنين ويوم استشهد تحت لوائها ،والسلام على محمود يوم يلقى الله بإذنه سبحانه.

(٨-٢) : (كلمات عن القائد الأسطورة)

بقلم :المناضل رائد عباس ؛
منسق الجبهة الديمقراطيـة
في القوى الوطنية والإسلامية .

للمرة الثالثة على التوالي أمزق الصفحة التي اكتب عليها ليس لشيء سوى أنني أشعر بالرهبة وثقل المسؤولية التي تدق ذهني ووجداني لانني سأكتب عن أحداث ووقائع قد تكون عادية وطبيعية، ولكن صاحبها بالحقيقة لم يكن عاديا وإن كان في طبيعته وتصرفاته من أبسط بني البشر، ولأن الشخص الذي أنوي أن أعبر عما يجول بخاطري نحوه قد تجاوز كل الحدود، وإن كان هو الآن في عالم الخلود الأبدي ...

محمود طوالبة عندما التقيته في مشفى جنين حين كنت في زيارة احد المرضى، لم يخطر ببالي أن هذا الإنسان الجالس على حافة السرير، والذي يتبادل بيسر أطراف الحديث سواءمع الجالسين أو مع اؤلائك الذين يحادثهم عبر هاتفه النقال الذي لم يتوقف عن الرنين طيلة وجوده بيننا حتى أنه طلب من زميله الذي رافقه للمشفى تأجيل الرد على تلك المكالمات المستعجلة .

لم أكن أعرفه من قبل وما سمعته عنه – حتى ذلك اللقاء – لم يتجاوز معلومات محدودة تناقلتها وسائل الإعلام، وكان أهمها في ذلك الوقت أنه المسؤول عن تجهيز شقيقه للقيام بعملية فدائية استشهادية، وحتى أنه ودعنا وخرج معتذرا بسبب انشغاله لأعرف –بعد ذلك –من صديقنا في المشفى أن الشاب الذي خرج هو محمود طوالبة .

لقد أطلت في تشخيص هذه الواقعة لأنها بالنسبة لي هي الأهم، لأنها الأولى التي تركت في الذهن الانطباعات عن شخص كان يصنع في تلك اللحظات أسطورة من نوع مميز وفريد في عالمنا الراهن، ولأن محمود طوالبة أصبح الحديث عن معرفته وقصص العلاقة المباشرة معه مكسبا وذخرا من الاعتزاز والفخار الحقيقي .

بعد هذاالقاء العابر والجميل الذي عرفت – من خلاله– محمود طوالبة دون أن أتحدث إليه، توالت أحداث كثيرة وكبيرة في نفس الوقت ، وعاش شعبنا مزيدا من المتغيرات في معادلة صراعه المحتدم مع أعدائه، ولكن الأهم منها تلك الأحداث (الجنينية) التي رافقت اعتقال محمود طوالبة ونقله من سجن جنين إلى سجون السلطة في نابلس تحت حماية فرق الأمن الأمريكية الأوروبية، وبترتيب منها .

في هذه اللحظة وقع انفجار غير ذلك الذي شاهده الناس في شوارع المدينة والمخيم والمسيرات الحاشدة التي خرجت تطالب السلطة بالإفراج عن محمود طوالبة ،وعن تلك التحركات التي وقعت على كل مستوى لمنع التداعيات الدموية التي كادت تترتب على اعتقال طوالبة، بل إن الانفجار الذي شاهدته في الجانب الآخر من الصورة تلك هو ذلك الحب الجارف الذي يحظى به الإنسان بين أبناء شعبه كتعبير عن مدى مصداقيته واخلاصه. والشيء الذي يلفت النظر في ذلك أننا تعودنا أن تتدفق مشاعر الحب والوفاء للشهداء وأن تنظم لهم الأغاني والأناشيد التي تسمو ببطولاتهم وتضحياتهم، ولكن المختلف في قصة هذا الرجل ان هذه الأغاني والأناشيد والهتافات كانت تردد له، وهو ما زال حيا في زنازين السجن الفلسطيني، لقد نال مرتبة الشهداء في ضمير ووجدان أبناء شعبه ووجدانهم وهو ما زال يهيىء نفسه للمزيد من العطاء للذين أحبوه ودافعوا عنه بمثل عناده .

في مثل هذا الوقت زرت بيته المتواضع في مخيم جنين وجلست مع والدته وخالته وإخوانه يرافقني بعض الأصدقاء، وتبادلنا معهم حديثا وديا بدأ عن محمود ولينتهي بمحمود، فكان حاضراً في جميع الأحداث والمعارك التي تميز بها مخيم جنين ليتحول الى أسطورة تعلو وتعلو، وقد كانت معركة التصدي لاجتياح المخيمات، وما سبقها ، وما تلاها من عمليات توغل لضرب المقاومة الفلسطينية، لتجيء حملة السور الواقي في سياق معركة الدفاع عن شرف الأمتين العربية والإسلامية وكرامتهما وكبريائهما .

هذه المعركة البطولية المشرقة والمشرّفة هي الرسالة الأخيرة التي يكتبها محمود طوالبة ورفاقه بالدم والنار ،فقد كتبها ونقلها حية ومباشرة إلى كل أرجاء الدنيا، معركة المعارك التي أبى إلا أن يكون قائدها المميز، فأرعب المحتلين ،وأفقدهم صوابهم ، وجعل من أسطورتهم التي لا تقهر خرافة من الماضي

السحيق، فالحكايات الصغيرة التي تناقلها أهالي المخيم عن تصرفات جنود الاحتلال، والرعب الشديد الذي اتسم به تنفيذ المخطط الإجرامي بتدمير المخيم واستعمال كل الوسائل للوصول لهذا الهدف واستخدام الإمكانيات العسكرية الهائلة التي يمتلكها جيش الاحتلال في المعركة التي سجلها التاريخ بين فدائيي مخيم جنين والقوة الأولى في الشرق الأوسط .

هذا هو محمود طوالبة الذي شهد له العدو والصديق ،والقاصي والداني ، والذين عرفوه أو سمعوا عنه، لقد كان الشعلة الأكثر سطوعا في درب المقاومة، والتحدي والصمود والإعجاز الذي تعمد بالدم والشهادة والخلود الأبدي .

ولتكن كلمات الأخ الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي حاضرة عند الحديث عن طوالبة حيث ذكر – بوضوح تام– أنه إتصل عند بدء عملية السور الواقي بالمجاهد محمود الذي قال له بأن هذه الحرب – بالنسبة له – كرّ بلا فرّ ، وان الدفاع عن المخيم واجب ديني ووطني وخيار لا يعلو عليه خيار آخر، وودعه على أمل اللقاء في جنات الخلود .

(٨-٣) : (كلمات عن الفارس الذي امتطى صهوة التاريخ)

بقلم : الصحفي علي سمّودي ؛
مراسل الجزيرة وروبتر وجريدة القدس في جنين .

راودتني كثيرٌ من الافكار في طريقي لمنزل عائله الشهيد محمود طوالبه في مخيم جنين للكتابه عن الطوالبه الذي اصبح سمة ملازمة لكل نواحي الحياة في المنطقه ، فمنذ فترة وبعد معركة المخيم ، وانا احاول الكتابه عنه ، وكلما بدأت ووجدت مدخلا للحديث عنه ، توقف قلمي ليعاتبني وكأنه يقول لي ...بدايه خاطئة ...فتقف كلماتي عاجزة ، وتفقد الكلمات معانيها ، ودوّامة البحث لا تتوقف مع سيل الحكايا التي يتناقلها الصغير والكبير في جنبات المخيم . .ولأول مرة تعجز كلماتي عندما أريد الحديث او الكتابة عن شهيد ، ولا زال قلمي عاجزا عن خط أي كلمة عن القائدين محمود طوالبه وزياد العامر ...

لازمتني حالة البحث عن البدايه ، ولم أتمكن من التغلب عليها لأنها تزايدت وانا اتذكر خطواته الجريئة و الشجاعه في قلب المعركه ، وفي عيونه التي كانت تنبض حبا لأهله وشعبه ووطنه ، وغضبا وحقدا على أعداء الحريه وخفافيش الليل وفي كلماته المؤمنه الملتهبه ، رافقتني وانا استمع لروايات الاهل عن محطات كثيرة مجهوله ، وعلمت ان الشهيد حرص على اخفائها ، وهو يشق عتمه الليل لينير درب الحياة والنور للأجيال القادمة ، او يمسح رأس يتيم ، ويضمد جرح مصاب ، ويلبي استغاثه ملهوف ، فتتبلور شخصيه المقاتل الصلب العنيد المتمرد الشامخ ، لتتحد مع شخصيه الانسان المؤمن الصادق ، وتتجلى في عنوان واحد : محمود طوالبه ، مدرسة الأجيال الجديدة ، وانبعاث النور في عصر الظلمه والديجور . .

فلم اكن أتوقع ان اجد في هذا الزمان الصعب ، وهذا العالم المادي ، زمن الذاتيه والردة والانكسار ، ان ارى اطلالة جديدة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، في اروع صور الزهد والايثار التي تجسدها شخصيه محمود طوالبه الذي انتزع ابنته من مهدها ليتبرع به لطفلة يتيمة تعهد برعايتها طوال حياته ، والاعظم من ذلك انه اوصى بها زوجته بعد مماته ...

صور نادرة تتالت على مسامعي لتضاعف عجزي وقله حيلتي وانا اخط شهادات كل من عرف محموداً الذي ذكّرني في لحظات كثيرة بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي رفض إن ينام وعيون الاطفال تبكي جوعا وعطشاً ، فآثرهم على نفسه وعياله ، فهل يمكن ان تتكرر الصورة في زمن القحط والردة والتخاذل ، والاجابة نعم ، فمحمود المطارد والملاحق والمهددة حياته ليل نهار لم يكن يرضى لعينه ان تغفل وتنام وعيون صغار المخيم تبكي شظف الحياة وقساوة العيش ، فكان يوزع راتبه على العائلات المستورة ، وعندما تصل مساعدات يصر على توزيعها وايصالها لمحتاجيها ، وعندما كانت سماح –زوجته – تذكره باسرته التي لا يختلف واقع معاناتها عن الكثيرين كثيرا ، كان يغضب ، ويتبرع حتى بما في منزله ومخصصه وحصته ...

وحتى وهو في السجن لم ينسَ محمود واجباته ومسؤولياته ، فأصر على ان تصل مساعداته التي يقدمها من مخصصه لكل الاحبه الذين احتضنهم ، لم تبهره الحياة وبريق الاعلام والدعايه فلزم الصمت ، واختار الفعل لغة للتعبير ، ابتسامه هادئه تخترق القلب لتبعث اشعاعاً من نور لابناء جلده ، ولتتحول لألسنه لهب تخترق حدود الأمن وتكسر قاعدة الحصار ، وتصنع ملاحم جديدة في مسيرة الايمان والمقاومة ...

ومع ذلك لم يتغير حالي ، فمن اين ابدأ ، ومحمود يجود بقوت عياله من اجل اسعاد ابناء شعبه ، ليذكرنا بحكايا علي بن ابي طالب ،كرم الله وجهه ، في التواضع والاحسان والجود والكرم ، فعندما قرع احدهم منزله يطلب الماء . امضى محمود وعائلته ليلتهم دون ماء بعدما قدم له جميع زجاجات الماء ، حتى لم يبقَ لأطفاله قطرة ماء ، وعندما شاهد في منزله ثلاث حرامات صوف أصر على التبرع باثنين منها لعائله فقيرة ...

من اين أبدأ حكايتي عن الفارس الفلسطيني الذي امتطى صهوة البطولة ، وتجاوزت حدود عطائه كل المقاييس ، لتعيد الذاكرة لحكايات السلف الصالح في عصر المتغيرات والانقلابات ، ولتعكس روح الايمان ومعالم الوعي والانتماء الصادق التي تميز بها ، والتي تتحدث عنها بحسرة وألم – بعد رحيله – تلك

الحاجّه التي افتقدت الاهل والاحبه فعوضها محمود عنهم ليتولى اصلاح منزلها ورعايتها بنفسه . .ففي عزّ الأزمات لم ينسَ زيارتها والاطمئنان عليها ، وحتى عندما تلفت الكهرباء في منزلها تولى اصلاحها بنفسه . .

وتتراكم الصور ... وتبرز كل يوم حكاية جديدة تضيف لسجل محمود لوحات عز وفخار ، جعلته يحظى بشعبية واسعة لم يسبق لها مثيل حتى في اوساط الاطفال الذين يتفننون في التغني ببطولاته وتمجيد شخصيته التي اصبحت حلم الصغير والكبير ، لتتحول لأغنية في سيمفونية الانتفاضة المتواصلة ، ولصرخة غضب في وجه الموت البشع ، ولنداء مقاومة في لحظات الانكسار والتراجع ، ولشعار يتردد في كل مناسبة ، ففي المسيرة يهتفون بحياته ، وبالافراح يغنون لبطولاته ، وفي الاحزان يبكون غيابه ، في الصف يتحدثون عن مواقفه ، وفي الحي يتسابقون لحمل اسمه ، وفي المواجهة يستنصرون به على ازيز الرصاص الحاقد ، ويتفاخرون به امام الجنود ، ليعلنوا ميلاد الف الف محمود ...

ولكن محموداً يبقى الحكاية الاصعب عن الرواية ، والاعسر على البداية ، حتى ان الكثيرين يرفضون التسليم برحيله عنهم بعدكل ما شاهدوه من مآثر الاعجاز التي سطرها مع رفاقه في معارك المخيم جميعها ، خاصة في ملحمته الاخيرة والتي لا يتوقف الجميع عن الحديث عنها بفخر واعتزاز ...

في رحلة العمل الاعلامي كتبت الكثير عن سير الشهادة والشهداء والمقاومة ،وقرأت عن الكثير ، ولكن الحديث عن محمود حديث مختلف ، وعالم آخر لا زلت عاجزا عن الدخول لمساربه ، فأبجديات اللغة تنحني اجلالًا واكباراً للسيرةِ الخالدة ،وتلاوين الكلمات تتلاشى امام صور الاعجاز التي سطرها بدمه ، بكبريائه وزهده وتواضعه ، بحبه للجميع وحسن اخلاقه وطيب معشره ، بعظمة شخصيته ...بقوة شخصيته وحضوره الفاعل حتى في اشد اللحظات ...في الحفاظ على وحدة الصف حتى والهجمة تشتد-لتزرع نار الفتنة والفناء الداخلي ... في زرع البسمة على شفاه المحرومين ...في بث روح المقاومة في اشد الاوقات واحرجها ، فقد رفض الانسحاب والتراجع عندما اشتد القصف والحصار ، وأصر على المواجهة ، وعندما اصيب ضمد جرحه وعاد لارض المعركة يزرع الصبر ويوزع الارادة والقوة ، ويحض

على الشهادة التي اصبحت حياته وامنيته وهدفه ...

اقتحم كل خطوط النار لينقذ محاصراً ويفك الحصار عن الاطفال والنساء .

امام ذلك كله، لا يمكن الا ان اعترف بحقيقة واحدة : انني لا زلت عاجزا عن بدء الحكاية ، وان عباراتي ترتجف كلما شرعت في خط معالم الحروف الاولى في حكاية المجد الخالدة التي ستتناقلها الاجيال وتحفرها في عمق سفر النضال الفلسطيني ، وتتلخص في آية اعجاز واحدة اسمها محمود طوالبه ... .

(٨-٤) : طوالبة...طوالبة

بقلم: الصحفي ناصر أبو بكر؛
مراسل قناة (أبو ظبي) في جنين.

طوالبة. . .طوالبة. . . هذا هو النشيد الأكثر شيوعاً لدى أطفال مخيم جنين، وهو الأكثر رسوخاً في اذهانهم، وكما يقول المثل الفلسطيني الشائع :(خذ فالها من اطفالها)، حيث تعبر هذه المشاعر الطفولية الصادقة عن احساس كل مواطن من المخيم والمحافظة وكل من عرف هذا المناضل المجاهد الذي يملك صفات فريدة من الشجاعة والاقدام والتواضع وحب الوطن وحب الشعب ، فكلما تذكرته وتذكرت حبه لمواطنيه شيوخاً واطفالاً ، ادركت تماماً سبب شعبيته البالغة والمنقطعة النظير، على الأقل بالنسبة لما شاهدته، ورأيته، واحسسته في أوساط المناضلين والمجاهدين ، حتى الأكبر منه سناً والأكثر منه خبرة حين كان يجوب شوارع المخيم مروراً بشارع الساحة وصولاً لحارة الحواشين كان الجميع يشير . . (هذا هو طوالبة)، هذه الاشارات كانت تعني مدى الاحترام والتقدير لشجاعته ورمزيته لدى الجميع ، حيث أنه وبسرعة البرق تحول من مواطن عادي فيه صفات الرجولة وحب الوطن والشعب، إلى قائد يشار اليه بالبنان والإعجاب الشديد ، وكنت عندما ألتقيه بسبب طبيعة عملي الصحفي، وهو- أيضاً- جزء من اعجابي الشخصي الشديد بهذه الحالة النادرة والمتميزة، احاول الدخول إلى عالمه البسيط، ولكنه المتميز ببعد نظره وعمق تفكره كان يرفع دائماً خيار المقاومة ويراه الحل الأمثل لدحر الاحتلال، كانت كلماته البسيطة التي كانت يتبعها بعد كل جملة (انشاء الله سنقوم) ، (والحمد لله على ما انجزنا)، وكانت عيناه المشعتان ووجهه الباسم تعبر جميعها عن إيمان بقضية لا بد ان تنتصر، كانت هذه الملامح وهذه الكلمات البسيطة هي برنامج طوالبة القائم على الجهاد والمقاومة لدحر الاحتلال، ولتحقيق هذا الهدف كنت أشعر بحسه (الوحدوي) الشديد بين جميع الفصائل المقاومة، ولا يفرق بحبه لتنظيمه (الجهاد الإسلامي)، وإيمانه بفكره وبرنامجه السياسي المقاوم، لا يفرقه عن أي تنظيم آخر، لا بل استطيع القول بان فعله اليومي الجهادي شكّل حالة

اجماع والتفاف جماهيري حوله وحالة شعبية (وحدوية) لم يسبق لها مثيل. جمعت كل فصائل المقاومة تحت اسم المقاومة ورايتها.

كنت اشاهد – وهذه ليست سراً – تعامل المقاومين معه بأنه رمز، والنظر اليه من جميع التنظيمات بأنه رمز (وحدوي)، كنت اشاهدهم يشيرون اليه باحترام لقدراته وشجاعته وكنت عندما ادخل معه ازقة المخيم أرى النساء يرفعنَ اصواتهن بالدعاء له بالنصر وطول العمر، وكانت نظرات الكبار والصغار تتابعه، تحرسه، تدعوا الله، وتحمده على هذا القائد الشاب الذي حوّل معركة مخيم جنين في شهر نيسان الماضي إلى تاريخ سيظل يذكره الكبار والصغار، وسيكتبه التاريخ للأجيال القادمة كما كتب عن كل قيادات الثورات الفلسطينية ومعارك الشرف والتحرير، لقد شكّل طوالبه، ومعه كل قادة المقاومة من كل التنظيمات؛ من فتح وحماس والشعبية والديمقراطية، وكل شبل وامرأة وشيخ وشاب، شكّل معهم – جميعاً – حالة نضالية أصبح من الواجب دراسة اهم استخلاصاتها من حيث الإعداد والتحضير لها، وكذلك النتائج التي افرزتها، وكذلك من حق هذا القائد الذي احببته كحبي لكل الشرفاء المناضلين المخلصين، وكحبي لفلسطين ببلداتها وقراها ومخيماتها، وايماني بعدالة قضيتنا وحتمية إنتصارنا، من الحق والواجب أن ننصف هذا القائد، ونذكر طرفاً من ميزاته وصفاته، لأن الحديث عنه يطول، ولا أبالغ إذا قلت إن محمود طوالبة كما يسميه اخوته في حركة الجهاد الإسلامي (الشيخ محمود)، أو كما يسميه أهالي المخيم (طوالبة) ليختصروا اسمه ورمزيته بكلمة أصبحت تعني فكرة الجهاد والمقاومة والصمود والبطولة، وتسطر واحدة من أروع وأشرف المعارك التي جرت في تاريخ الشعب والثورة.

إنه لأمر حتمي إذاً أن يكون طوالبة قائداً يحتذى به خاصة في الوحدة الوطنية وحب الوطن والإخلاص له.

(٨-٥) : (محمود طوالبة كما عرفته)

بقلم : الصحفي محمد بلاص؛
مراسل جريدة الأيام اليومية في جنين.

كانت آخر مرة التقيت فيها الشهيد محمود طوالبة (أبو العبد) ، في يوم الاثنين سادس أيام معارك نيسان الشهيرة في مخيم جنين .

وكالعادة كانت ابتسامة عريضة ترتسم على جبين (أبو العبد) ، وهو يتقدم مجموعة من المقاتلين كان من بينهم ثابت المرداوي من قادة (سرايا القدس) ، كانوا يتفقدون المواقع الأمامية لساحة القتال مع الجيش الإسرائيلي.

في الزقاق المؤدي إلى حارة (الدمج) ، توقفت لعدة دقائق مع محمود الذي عرفته تماما كما أعرف أحد أخوتي، بسبب جيرتنا في السكن، لسنوات طويلة، وقد بدا مبتسما ، رغم كل الظروف العصيبة التي كان أهالي مخيم جنين يمرون بها ، بسبب القصف الإسرائيلي الوحشي، ويمد بالعزيمة والإرادة كل مقاتل كان يلتقي به داخل الأزقة .

دار حديث قصير بيننا ، فقلت له :(بتعرف يا أبو العبد إنك وجهك مبيض ومحلوّ، خلّص لما بتكبر بنتي راح أجوزك إياها) .

وكان رد محمود (بشرفك ما بتليق الشهادة على هذا الوجه) ، وهو يمسك بلحيته التي بدت طويلة، على غير العادة، فقلت له: (لا ، نريدك بيننا ، فالكل يحبك) ، ولم يجعلني أكمل حديثي، فقاطعني قائلا (إللي بحبني يتمنى لي الشهادة في سبيل الله) .

في ذلك اليوم كان الشهيد محمود طوالبة يرتدي على ظهره حقيبة صغيرة، ويحمل بإحدى يديه خوذته، وباليد الأخرى سلاحه من نوع (إم١٦) ، وتوقف قليلا يتمعن بثلاث عبوات تولى بنفسه زراعتها في الشارع، وفوجئ أن الأسلاك المربوطة بها قد قطعت، على ما يبدو – كما قال أحد زملائه – بشكل

متعمد ،قطعها عملاء لجيش الاحتلال .

ورد الشهيد محمود على زميله بالقول (الله أعلم، فإن كان العملاء فعلوها الله وحده يسامحهم) .

كانت تلك الكلمات الأخيرة التي تحدث بها محمود ، قبل أن يكمل طريقه نحو حارة(الدمج) التي كانت في تلك الأثناء تشهد معارك عنيفة بين المقاتلين الفلسطينيين والجيش الإسرائيلي .

في ذلك اليوم اضطررت للخروج من المنزل الذي لجأت إليه ، ومعي إثنان من إخوتي وزوجتي وأطفالي ، بعد أن تعرض للقصف بالصواريخ ، ولم أعلم ما حدث مع الشهيد محمود طوالبة والآخرين من المقاتلين الذين كانوا برفقته داخل المخيم ، وذلك بسبب اعتقالي لمدة ثلاثة أيام في حاجز (سالم) ، وبعدها كان مصيري كما هو الحال بالنسبة للغالبية العظمى من رجال المخيم ، النفي إلى قرية رمانة ، حيث علمت بنبأ استشهاد محمود طوالبة .

كثيرون قالوا إن محمود طوالبة يكاد يتحول إلى أسطورة ، ولكن في حقيقة الأمر فإنه كان بمثابة أسطورة حقيقية ، قبل استشهاده وبعده . . .

فهذا الشاب العشريني المعروف منذ صغره بتقواه وصدقه وأمانته ، وينتمي إلى أسرة لاجئة من قرية نورس داخل الأراضي المحتلة في العام ٤٨ ، وهي ذات القرية التي أنحدر منها ، ارتقى سلم النضال تدريجيا ، حتى تحول إلى أسطورة يتغنى بها الأطفال والكبار ، وهزت إسرائيل .

ما أعرفه عن الشهيد محمود طوالبة ، أنه حتى بعد أشهر قليلة من اندلاع انتفاضة الأقصى ، كان ينشغل في البحث عن لقمة عيشه ، حتى ذلك اليوم الذي قتل فيه الإسرائيليون خمسة فلسطينيين ، على مقربة من حاجز لقوات الأمن الفلسطيني في منطقة صباح الخير ، حيث شاهدت محموداً من أوائل الذين حضروا إلى مستشفى جنين الحكومي ، وقد بدا في غاية الذهول من حجم الجريمة .

وما كانت إلا أشهر قليلة ، حتى لمع نجم محمود طوالبة ، خصوصا عندما بدأ الإسرائيليون بمطاردته على خلفية نشاطه البارز في (سرايا القدس) .

قد يتساءل بعض الناس عن الأسباب التي جعلت محمود طوالبة يتحول إلى أسطورة ، فتلك الأسباب-

من وجهة نظري – كانت متعلقة بقناعة الجميع تجاه ذلك الشيخ العشريني، بأنه الصادق الأمين في تعامله، وتواضعه، وإخلاصه في المقاومة لدرجة أنه أرسل أحد أشقائه ، وهو مراد ، لتنفيذ عملية استشهادية في مدينة حيفا .

هنا وسط المنازل الصغيرة المتلاصقة، أمضى طوالبة غالبية حياته القصيرة (٢٣ عاما) ، لكنه – رغم صغر سنه نسبيا – تحول إلى بطل شعبي ارتقى إلى حد الأسطورة بالنسبة لأهالي المخيم ممن لا يزالون يتغنون بذلك الاسم .

وترتسم في شخص محمود طوالبة صورة شاب ملتزم وصاحب عزيمة، يقول الفلسطينيون إنه كان كأي واحد منهم، بإمكانه العيش حياة طبيعية لولا الاحتلال وجرائمه .

انضم طوالبة إلى حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وخلال بضعة شهور كان هذا الشاب الذي اضطر لترك دراسته في المرحلة المتوسطة، قد أصبح القائد العسكري للحركة، فبدأت رحلته مع المقاومة بالعمليات الاستشهادية ونصب الكمائن والهجمات المسلحة لدرجة أن إسرائيل كانت تلاحقه في كل مكان، باعتباره المسؤول عن مقتل عشرات الإسرائيليين والمستوطنين .

وصار محمود طوالبة بندا من بنود المحادثات الأمنية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل التي مارست ضغوطا حتى قامت السلطة باعتقاله في أواخر العام الماضي، مما أثار ثلاثة أيام من التظاهرات الشعبية الفلسطينية الغاضبة أمام أحد المراكز الأمنية بالقرب من جنين حيث كان معتقلا، ونقل لاحقا إلى سجن في نابلس حيث نجح في الفرار بعد أن استهدفت المقاتلات الجوية الإسرائيلية المعتقل بهدف القضاء على من فيه في شباط العام الماضي .

وبعد انتهاء الاجتياح تم العثور على جزء نصفي من جثته المشوهة ، لكن كثيرين في المخيم يعتقدون أنه لم يمت ، وأنه ما زال حيا ، لكن شقيقه يقول إن محمود طوالبة مات فعلا ، (لقد استشهد ، لان هذا ما كان يريده وأعلم أنه لا يتراجع)

ترك محمود زوجة وطفلة عمرها ثلاث سنوات اسمها دعاء ، وطفلا رضيعا اسمه عبد الله ولد قبل

أقل من شهرين من استشهاده .

والآن وقد مرت شهور طويلة عن استشهاد الشيخ الذي كان دائما يسخر من الموت، ولا يكترث كثيرا لتهديدات اسرائيل ومحاولاتها لاغتياله، فإن كثيرين من أهالي مخيم جنين لا يصدقون أنه استشهد، ويشعرون أنه لا يزال فيهم، يرونه في عيون أطفالهم، وصورته ترتسم على الدوام في أذهانهم، وأطفالهم تلهج ألسنتهم على الدوام (طوالبة .. طوالبة).

(٨-٦) : (الشيخ محمود)

بقلم الصحفي والأديب : عصري فياض.

كتبت خلال عقدين من الزمن خواطر وحكايا وقصصاً انتجتها نفسي التي تصطاد هموم من حولي بشفافية وعمق، ولكن لم أر نفسي أشد انفعالاً حينما طلب مني أن أكتب عن الشيخ محمود . . .

لأنني سأكتب عن رجل أكبر من هذا الزمن ، رجل حاله خاصة في الإيمان والورع والتقوى والزهد في كفته الأولى وجهاد وعاشق للشهادة في الكفة الأخرى . . .

رجل يسيل لعاب القلم فيه ساخناً ، وتنساب الدمعة من المقلة المقهورة اصفى من ماء المطر ، رجل تهفو إليه قلوب الطفولة البريئة لتحج إلى روضته الطاهرة ، فينحني هذا الطفل الذي لم يتجاوز الربيع الرابع ، فيقبل تراب روضته وكأن شوق الظمأ اوشك على إهلاكه فارتوى.

رجل يتزاحم المجاهدون للحاق به والسكن إلى جواره ، لأن اللجوء إلى جواره ادفأ من برد حياة الذل والمجهول . . .

رجل تتسابق المناهج الثورية لتتفيأ بظله ، وتحسد حركة قد اختارها ودفعه القدر لحمل رايتها . . .

هذا الرجل . . . كان بالأمس طفلاً يحبو إلى باب منزله كي تشرق عيناه على مأساة شعبه في هذا المخيم ، وكبر وانطلقت قدماه الطريتان إلى مدرسة الوكالة برفقة صديقه في الدرب والشهادة يحملان كتباً قديمة وشطائر الزيت والزعتر والمجهول . .

هذا الرجل اتعبته الدنيا فداسها ، ومضى بعزم يكبح شهواتها بسلاح الزهد والتطلع إلى الجنة . . .

هذا الرجل ملك قلباً أرق من نسائم يافا ، ودمعاً سخياً دفاقاً اغزر من ينابيع نورس . . . يؤثر الناس على اطفاله ، يتصدق بما حوى بيته المتواضع من اثاث زهيد ، يكفل يتيماً ويزور الفقراء ليلاً يتحسس اوجاعهم . . .

هذا الرجل بارٌ بوالديه لا ينفك عن تقبيل يديهما ، ولحوح في طلب رضائهما حنونٌ جداً مع اخواته فقد

كان يبكي لبكاء احداهن، ويبكي من حوله حينما تغادر احداهن بيت ابيها لبيت زوجها ..

هذا الرجل المجاهد الذي صنع تاريخاً يحتذى ، بدأ بصمت وعفوية، وتدرج إلى المقدمة باستحقاق، عرف معنى التضحية ، وادرك معاني القيادة ... كان أكثر من امتشق السلاح مهابةً، وأكثر المجاهدين سحراً وتأثيراً على كل اطياف المقاومة ، والأكثر صدى في مساحات المحافظة والوطن والأمة...

كان أكثر من زرع الشوك ليوقع فيه الأعداء ، وأكثر المعادن الإنسانية صلابة في تسييج مخيمه، وأكثر من ضرب بالمعاول والمطارق لفتح الطرقات أمام المجاهدين والمقاومين ليمرو، ويمرغوا أنف المعتدين... شجاع يسخر من الموت ، ينزع من بين شدق الأعادي براميل الموت ، تحت أعين طائرات الأباتشي ...

استشهد بعد أن امضى أيامه صائماً مجاهداً صلباً ، استشهد بعد أن أتم رسالته التي اكتملت فصولها مناهج وعبراً بملئ عباب البحر ، استشهد وقد ارادت إرادة الله عز وجل أن تترسم مساحته فوق المليار مسلم وعربي، لتقول: إن نسل عمر و علي وحمزة والحسين وأبي ذر وجعفر ماضون إلى يوم القيامة ..

لقد انبتت ارادة الله هذه الشجرة المباركة في زمن التردي والذلة والانحطاط الذي تعيشه الأمة ، لتكون مبعث أمل وضوءاً في عمق عتمة اليأس بان الإسلام قادم ، وان ثورته على موعد مع المستقبل ، وان منهاج القوة والمفاصلة هو الأبقى ، أما ما دون ذلك فهو هالك واصحابه معه.

لك رضى الله ورسوله يا محمود ، وعذراً لهاتك العملاقة ، فكل ما يقال فيك مقزم ... محض كلام ليس يرقى لشسع نعلك..

(٨-٧) : المجد والعزة والبطولة ... غصون في شجرة عظيمة هي محمود طوالبة

بقلم : الصحفي ديب حوراني؛
مراسل فضائية المنار.

محمود طوالبة، اسم اصبح غير كل الاسماء ، وانطلق ليصبح ظاهرة شعبية مميزة، وخاصة في اوساط سكان جنين ومخيمها الذين يرددونه وكأنه اغنية او شعارٌ ثوري. فهو بطل للمقاومة بكل اطيافها وليس فقط سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الاسلامي التي كان يقودها ، وتألقت بشكل يفوق التصور في ظل قيادته. خطط وأعد الكثير من العمليات الاستشهادية والتي ضربت في العمق الصهيوني، واصبح كابوسا يقض مضجع المجرمين الصهاينة واجهزتهم الامنية ومؤسساتهم الحكومية التي حاولت كثيرا النيل منه . بقي يعمل ويعمل سواء في صنع المتفجرات او باعداد الاستشهاديين ، وابدع كثيراً .

محمود طوالبه كان يلاحق الموت والشهادة ، في احدى المرات قال من كانوا معه انه تاثر كثيرا جراء اغتيال الشهيدين ؛ عكرمه ستيتي ومجدي ابو الطيب من كتائب الاقصى، فما كان منه الا ان تزنر بحزام ناسف، وذهب الى الشارع الالتفافي، وبقي حتى الصباح ينتظر أية دبابة او سيارة مستوطنين صهيونية ليفجر نفسه بهم، وينال الشهادة، الا ان أياً منهم لم يمر تلك الليلية، وفرت الشهادة منه، وطارت مرة اخرى كأنها طائر، ولكن ليس بعيداً .

وما ان بدأت معركة مخيم جنين في نيسان ٢٠٠٢ حتى كان له دور بارز ومهم بجانب اخوته ورفاقه من ابطال المقاومة ، وقال الذين شهدوا المعركة معه انه قتل العديد من الجنود الصهاينة، وخاصة الكمين الذي قتل فيه (١٣) جنديا صهيونيا ، وانه في كل مرة عندما يقتل جنديا كان يعود اليهم ، ويمثل لهم بشكل ساخر حالة الجنود الصهاينة وجبنهم وتوسلاتهم قبل ان يقتلوا . ظل يقاوم ويقاتل في المخيم سواء بسلاحه الرشاش او من خلال الكمائن وزرع العبوات الناسفة ، الى ان استشهد وهو واقفٌ مثل اشجار الزيتون .

بعد استشهاده خرج محمود طوالبه من كونه شخصاً عادياً مثلنا ليصبح رمزاً واسطورة شعبية ومثالاً عظيما يتمنى الكل منا ان يكونه . فترى الطلاب والاطفال يعلقون في صدورهم صوره ويلصقون على دفاترهم وشنطهم وحاجياتهم ملصقات له . ويتناولونه في احاديثهم واقاويلهم ممتلئين عزة وفخاراً ، ومتمنين ان يلحقوه على الدرب الذي شقه في معمعان المعارك والبطولات .

محمود طوالبه ... جسد رحل ... . وذكريات بقيت، تؤثر، وترشد، وتلهم الثوار اكثر من مئات الملايين من الاجساد الصنمية في امتنا ... . فالمجد والعزة والبطولة غصون في شجرة عظيمة ...إسمها محمود طوالبه .

(٨-٨) : (محمود الإنسان يداعب الأطفال)

بقلم :الصحفي عاطف أبو الرب ؛

مراسل جريدة الحياة .

محمود طوالبة ، كما عرفه الناس في جنين ، هذا الشاب الذي ذاع صيته ، فكان أحيانا يسبب له الاذى والخوف من المجهول . محمود لم يكن خارقا للمعقول ، ولم يأتِ من كوكب آخر ، كان شابا بسيطا ، متواضعا ، تراه فتشاهد البراءة في عينيه ، وقد يكون أبسط مما حاول بعضنا بحسن نية أو سوء نية أن يصفه . لم ألتقه إلا صدفة ، وكنت كلما وقعت عيني عليه ،وهو يسير في مخيم جنين، أو خارجه ، أتأمله ، أحاول أن أعرف ما يفكر به هذا الشاب . حقيقة لم أجد في محمود ما هو غير مألوف ، إلا نظرته الهادئة للأمور ، وحديثه الهادىء مع كل من صادفه من معارفه ، صغاراً كانوا او كباراً ، كان يتكلم بهدوء بلغ حد الخشوع . لم يغره هذا الاهتمام من الآخرين ، ولم يجعله يشعر بالكبرياء ، لكن اعتقد جازما أن هذه الحفاوة كانت تسبب له الإحراج ، فكان يرد على هذا ويجامل ذاك ، وهو يدرك أكثر من غيره أن حركته محسوبة عليه .

ولن يكون حديثي عن محمود مجرد وصف لحركاته ، وتصرفاته ، بل سأتناوله من خلال حادثة بسيطة مع مجموعة من الأطفال تؤكد حقيقة ما أقول ، وتؤكد أن محموداً كان طفلاً في شخص شاب، وكان رجلاً بكل معاني الرجولة ، يحن على الأطفال ، يداعبهم ، ويستمع لكلماتهم ، يجاملهم ، ويشجعهم وهو ماض في طريقه وعمله دون أن يمنعه ذلك من مواصلة طريقه وعمله في إعداد المتفجرات وزرعها في كل مكان قد يصله الجنود في عدوانهم على جنين ومخيمها . نعم لم يحالفه النجاح في كل ما قام به ، لكنه نجح في بذل كل جهد استطاع أن يقدمه من أجل فلسطين .

كان ذلك غداة اجتياح نيسان الكبير ، والذي ارتقى فيه محمود وآخرون سلم المجد ، وسطع نجمه في سماء فلسطين . كان ذلك في خلة الصوحة ، في الشارع الفاصل بين جنين والمخيم . يومها كان محمود

ومجموعة من بضع شباب وفتية قد انتهوا من زرع العبوات في شوارع المخيم . انتشر خبر وجود محمود طوالبة في الحي ، فخرج الأطفال يبحثون ليشاهدوا هبوب الريح ، فارس المخيم ، بطل العبوات الناسفة في حيهم . خرجوا يرددون اسم طوالبة دون أن يكونوا على علم بشخصيته ، فتوقف محمود ومن معه يرحبون بهذا الاستقبال . وقف محمود يداعب هذا ويمازح ذاك ، ويسأل عن اسم فلان ، ويبارك لهم أسماءهم ، ويشجعهم . فتدافع الأطفال ؛ هذا يريد أن يمد يد المساعدة ، وهذا يريد المشاركة ، وآخر أسرع إلى بيته ليحضر الطعام والماء للمجاهدين ، وهو ينادي على والدته التي لبت له هذه الرغبة ، وتوجه طفل آخر لبيته ، وبحث في معدات والده ، وحمل فأسا ، وقدمها لمحمود .

قال له استخدمها في حفر الشارع ، وازرع القنابل . وكان لهذا الطفل طلب وحيد من محمود . والسؤال ماذا كان طلب هذا الطفل الذي لم يتجاوز عمره سبع سنوات؟ لقد طلب شيئا واحداً ، طلب أن ينظر بعينه عبر العدسة الموضوعة على بندقية محمود ، وان يحملها ، لتبقى في ذاكرته !!!

استجاب محمود لهذه الرغبة ، ولكن بعد أن تأكد أن سلاحه خال من الرصاص ، فكان لذلك الطفل ما أراد ، وشاهد عبر هذه العدسة العالم بعين محمود ، وكلما دار نقاش ، شارك ذلك الطفل باعتزاز ، يتحدث عن علاقته بمحمود ، هذه العلاقة التي يعتز بها ويفتخر أمام أقرانه من الأطفال ؛ يقول أنه حمل سلاح محمود ، ونظر بنفس العين ، وهو يدرك أن محموداً مصدر فخر واعتزاز ، وأن مجرد حمل سلاحه يشعره بالاعتزاز .

أما بعد ، فقد استشهد محمود ، لكنه بقي خالدا في عقل كل طفل من أطفال مخيم جنين ، ومدينة جنين ، وفي عين كل من شاهده . بقي محمود في سجل الخالدين ، وسيبقى -كذلك- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهم خالدون بأمر الله.

(٨-٩) : الجنرال محمود طوالبة ... قائد معركة جنين البطولية

(حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين)

٢٧/محرم/١٤٢٣هـ الموافق ١٠/٤/٢٠٠٢م

كم هو فخر هذه الأمة جمعاء بمعركة جنين التي حشرت جيش العدو في زاوية حجمه الطبيعي، الذي حاول أن يضخمه بالأسطورة التي لا تقهر، وأنه صاحب الذراع الطويلة، فمعركة جنين كسرت هذه الذراع، وأذلت كبرياء هذا الجيش، وهي تشكل عنوان المرحلة المقبلة من المواجهة مع هذا العدو الذي بات مقتنعًا أن المعارك القادمة مع هذا الشعب ، وهذه الأمة لن تكون إلا على هذه الشاكلة من البسالة والتضحية والصمود . .

معركة جنين كشفت عن طبيعة المعدن الذي يشكل هذا الشعب بإيمانه وصلابته، والذي يتفوق على كل المعادن، حتى معدن اليورانيوم لا يمتلك من الطاقة ما يمتلكه هذا الشعب الأبي، وخصوصًا إذا ما تفاعل مع إسلامه تفاعل الجنرال محمود طوالبة، الذي شكل أسطورة المقاومة وعنوان التحدي، ومثال الإرادة والفداء في الشعب الفلسطيني.

هذا كله يستشف من معركة جنين البطولية، حيث حول بيته إلى كمين متفجر يصطاد به جنود العدو، ثم يفجره فوق رؤوسهم ويوقع بهم العديد من القتلى والجرحى، هذا الجنرال (على حد وصف الصحف الأوروبية له) الذي قاد عملية نصب الكمائن لجنود العدو الارهابي، فيجندلهم ما بين قتلى ومصابين، ليرتفع صراخهم من الذعر والرعب والألم، وليعلوا على هدير طائراتهم وضجيج دباباتهم، هذا النموذج الاستشهادي الذي أفرغ من جلادته وصبره على كل المخيم ألوانًا من الصبر والتحدي، والذي أفشل كل محاولات العدو الهادفة إلى تفريغ المخيم من قاطنيه، ليسهل عليهم- فيما بعد- تدميره فوق رؤوس المقاومين، فإذا بالمخيم كله، حجارته . . مجاهديه . . منازله وساكنيه من الشيوخ والنساء والأطفال، يتحولون إلى جنود مرابطين

مقاومين، يأتمرون بأمر الجنرال محمود طوالبه، ليسطر أروع المعارك، ويكتب أجمل صفحات تاريخ هذا الشعب، ملحمة البطولة والانتصار، التي دفعت قادة جيش العدو ومحلليه السياسيين للاعتراف بأن ملحمة جنين كانت ملحمة حركة الجهاد الإسلامي، ملحمة الجنرال محمود طوالبة.

أيها الجنرال (صدقت الله فصدقك الله ونحن على ذلك من الشاهدين)، ألم تقل ذلك لأمينك العام يا محمود؟ حينما خاطبك بأن الحرب كر وفر، فقلت له: (إن الملتقى في الجنة بإذن الله). وها أنت ترتقي إلى الجنان شهيدًا فذًا، لا تعرف للانكسار طريقًا، وتضع كل ألوية الجيوش العربية تحت ثقل أرطال النحاس والنياشين التي يصغرون تحتها، وينوء بهم حملها، تضعهم في حجمهم القميء فيما أنت تتطاول فوق الرؤوس والتيجان لترتقي مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين.

يا محمود، كسرت قيدك منذ أقل من شهرين، ووضعت سجانيك في خندق العمالة مع الذين سلموا أشقاءك وإخوانك لجنود العدو، وهم يختبئون كما الجرذان في دهاليز العتمة والعار.

يا محمود، نحن لا نرثيك، ولكن نبكيك كبكاء النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة رضي الله عنه في معركة أحد ونقول: على مثل محمود فلتبكي البواكي، ولكن يا محمود، إن أمهاتنا لا زلن قادرات على إنجاب القادة والجنرالات أمثالك.

يا محمود، إن دمك يتوزع على دماء الأباء والأمهات لينجبن من أمثالك وأمثال إخوانك المجاهدين.

فسلام عليك يا محمود في الخالدين، سلام على المجاهدين في جنين ومخيمها، وفي نابلس وقلعتها وفي بيت لحم وكنيستها وفي الخليل وحرمها..

سلام على هذا الشعب الذي كشف هشاشة هذا العدو، وأكد حقيقة هذه الدولة العبرية السائرة نحو الزوال.

يا شعبنا الأبي، هذا هو أنت، هذا هو محمود، هذه هي معركة جنين، هذه هي حركة الجهاد الإسلامي وحماس وكتائب شهداء الأقصى وكل المقاومين الأبطال، هذا هو طريق الانتصار وطريق كسر قيود الذل والعار.

الفصل التاسع

سيرة من ألم ودم

(طوالبة في السياق الزمني للعطاء العسكري لحركة
الجهاد الإسلامي في فلسطين / منطقة جنين)

مقدمة :

يمتد سجل العطاء الجهادي العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين / منطقة جنين في بداياته الأولى إلى بداية الثمانينات زاخراً بآهات الأسرى وأنّات الجرحى، كما بإثخان العدو ومكاسرته ، وكان لهذا الامتداد دور الأرضية أو العامل الرئيسي، بعد فضل الله سبحانه وتعالى ومنّته ، بالإضافة إلى عوامل أخرى عديدة ومهمة في ذلك الانطلاق المبارك لنشاط سرايا القدس في منطقة جنين في ظل انتفاضة الأقصى ، وكانت ميزة هذا العطاء المبارك في بداياته – كما هو الشأن بالنسبة لكل مشروع الجهاد الإسلامي – أنه انطلق في مرحلة كان القتال في فلسطين فيها يواجه الطعن في مشروعيته ، ويسحب المشروع الوطني الرسمي إلى حدود مفاوضات سريّة عبر العواصم بحثا عن دور ، وكان إسلامياً في وقت كان الإسلاميون قد انسحبوا من ساحة القتال لترتفع فوقها شعارات قومية وماركسية وما شاكل ...

ويمكننا تصنيف عطاء الجهاد الإسلامي / جنين العسكري تحت عدة عناوين رئيسية كما يلي :

(٩-١): البدايات ١٩٨٥-١٩٨٩م. الجهاد الإسلامي يغرد خارج السرب:

أبرز عنوان على عطاء الجهاد الإسلامي في منطقة جنين في هذه المرحلة عملية باب المغاربة الشهيرة (١٥/١٠ / ١٩٨٦م) ، التي كان لعدد من قادة الجهاد الإسلامي في قريتي سيلة الحارثية وبرقين، دور تسليحي ولوجستي في إنجاحها ، وهذه العملية النوعية أسفرت عن مقتل وإصابة (٦٩) جنديا صهيونيا خلال تأديتهم لصلاتهم المزعومة قرب حائط البراق في القدس بعد أن قذفهم المجاهدون بعدد من القنابل اليدوية ، وكان هؤلاء المجاهدون من منطقة القدس، والقيادي الذي يقف خلف العملية من قرية تل قضاء نابلس ، كما لعب أولئك الأخوة من منطقة جنين دورا في تهريبه للخارج عن طريق إخوة من قطاع غزة ، وعلى إثر ذلك قضوا سنوات عديدة في سجون الاحتلال ...

شهدت الانتفاضة الأولى في بداياتها مواجهات بالزجاجات الحارقة في قرية سيلة الحارثية ، هاجم فيها المتظاهرون من أنصار الجهاد الإسلامي، الذين كان يقودهم الشهيد القائد صالح طحاينه والأسير رائد السعدي، الجنود الصهاينة ، مما أدى إلى حرق الكثيرين منهم ، وقد توفي أحدهم ، وإثر ذلك قامت

القوات الصهيونية بهدم منازل أربعة من قياديي الجهاد الإسلامي من القرية المذكورة تحت حجة أنهم يقومون بالتحريض .

كما شهدت هذه المرحلة، وتحديدا في بداية الانتفاضة الأولى، أول محاولة للاتجاه بالانتفاضة نحو العمل العسكري من خلال مجموعة من قادة الجهاد الإسلامي من نفس القرية المذكورة آنفا أبرزهم الشهيد القائد صالح طحاينه ، وقد قضّوا في سجون الاحتلال سنوات عديدة إثر ذلك.

في نفس الفترة قام المجاهد الأسير رائد السعدي مع مجاهد آخر بإلقاء قنبلة يدوية على باص صهيوني لكنها لم تنفجر ، وكان رائد قبل ذلك ، وتحديدا سنة ١٩٨٦م قد نفذ بعض العمليات عندما كان لا زال في حركة فتح ، وقد حكم- بعد ذلك - مؤبدين، وحكم معه آخرون ...

(٩-٢) : ١٩٩٠م - ١٩٩٣م ... تطور الأداء الجهادي :

* كان من عطاءات هذه المرحلة مقتل مستوطن يدعى (شلومو يحيى) قرب طولكرم على يد المجاهد الأسير إياد أبو خيزران من الفارعة بتاريخ ٤/ ١٠ / ١٩٩١م، وقد شارك معه مجاهد آخر في العملية ...

* طعن جنديين صهيونيين كانا ضمن فرقة للقوات الخاصة هاجمت المجاهد (إياد أبو خيزران)، فتصدى لهم بسكّينه المباركة ، ففتحوا بعد ذلك نيران رشاشاتهم وأفرغوا أكثر من عشر رصاصات في جسده ، وما زال في أسره يعاني من مشاكل صحية خاصة في رجليه ...

(٩-٣): جلعاد (ليلة المناجل) ١٤/ ٢/ ١٩٩٢م ... الكرامة والصاعقة:

معسكر جلعاد أي معسكر الأبطال باللغة العربية يقع شمال مدينة أم الفحم الواقعة داخل الخط الأخضر قريبا من مدينة جنين ...

في ليلة السبت ١٤/ ٢/ ١٩٩٢م التي اختيرت بشكل مقصود ، إذ يقلّ فيها عدد الموجودين داخل

المعسكر من جنود الاحتلال ، كان أربعة من المجاهدين يصلون قيام الليل بركعات بلغت العشرات ، صلاة مودّعين تحت شجرة قريبة من المعسكر استعدادا للقاء الله سبحانه ، وما أن أتموا صلاتهم حتى انقضّوا على المعسكر تسبقهم صرخات (الله أكبر . . الله أكبر) تدوّي في سماء المنطقة ، أُلقي الرعب في قلب الحارس الواقف بباب المعسكر ، فولّى هاربا ، لكنّ بلطات المجاهدين وسكاكينهم كانت أسرع منه فودعته إلى حتفه ، وألحقت به ثلاثة جنود آخرين ، أخذ المجاهدون أسلحة الجنود القتلى من نوع M ١٦ وعادوا إلى بيوتهم سالمين بفضل الله سبحانه رغم أنهم أصلاً كانوا قد استعدّوا للشهادة ...

في الصباح كان الخبر يقع على الصهاينة وقع الصاعقة ، وسمع أهالي أم الفحم والقرى المجاورة الصراخ والعويل ينطلق من القلوب الجوفاء ، إحدى الصحف الصهيونية سألت جنديا كان في المعسكر في خيمة مجاورة للحدث ، ماذا حصل ؟ فأجاب : سمعت صراخا وهتافات الله أكبر ، سألوه ماذا فعلت عند ذلك ؟ أجاب : غطيت رأسي ببطانية ! ! ولما سألوه : لماذا ؟ قال : لا أريد أن أواجه الموت ! !

وقد ادّعت مجموعة الفهد الأسود المحسوبة على حركة فتح أنها تقف خلف العملية ، لكن بعد ستة عشر يوما تبيّن أنها خليّة للجهاد الإسلامي تضم الشيخ سعيد جبارين وإبراهيم اغبارية وأخاه محمداً وقريبهما يحيى ، أولهم من أم الفحم والبقية من قرية مشيرفة المجاورة لها ، وما زال الفرسان الأربعة قيد الأسر (نسأل الله أن يفرج كرب الأسرى جميعا) ... وأعلن أن هؤلاء الأبطال راقبوا المعسكر جيدا ولفترة من الزمن بالنواظير من الجبال المشرفة عليه ، ودرسوا جيدا تحركات الجنود ...

أثناء التحقيق معهم استجوبوا حول صلتهم ببعض قادة الجهاد الإسلامي في منطقة جنين ، ولا ننسى أن نذكر أن الصهاينة ووسائل إعلامهم أطلقوا على تلك الليلة المباركة (ليلة المناجل) ...

(٩-٤) : عشاق الشهادة ... عصام براهمة في ذروة المجد :

لم يكن عصام براهمة مجرد مقاتل هاوٍ كمعظم مطاردي الانتفاضة الأولى ، بل كان لكل من عرفه أو سمع عنه قائدا عسكريا من الطراز الأول ...

كان عصام قد ترك حركة فتح فكريا وسياسيا في سجن جنين المركزي عام ١٩٩٠م ، وتبنّى الخط

السياسي والفكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين معتقداً بالإسلام رسالة شاملة جامعة ، ليصبح أكثر من قائد عسكري بعد أن قرأ لسيد قطب ومالك بن نبي وغيرهما ، ومن داخل مدرسة يوسف عليه السلام بدأ يخطط لما بعد السجن ...

أتم سنوات حكمه الأربعة وانطلق نحو الحرية ، وسريعا أجرى اتصالاته مع قياديين في الجهاد الإسلامي من سيلة الحارثية وعرابة والخليل ورام الله ، وبسبب عمقه العقائدي ووضوحه الفكري والسياسي وتجربته الطويلة في السجون وقدراته العسكرية المميزة ، وفي أجواء حركة الجهاد الإسلامي المنفتحة دوما للتجارب الريادية ، أخذ عصام دوره البارز خلال شهور عديدة ليصبح (قائد عشاق الشهادة – الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين / منطقة جنين) . وهو الذي اختار الاسم هذا ، ثم امتد به ، بفضل الله سبحانه وتعالى وبجهوده الدؤوبة المباركة ، نحو أنحاء عديدة في الضفة الغربية ...

وكان القائد الأبرز بالإضافة لعصام في تلك الفترة الشهيد صالح طحاينة ، وعمل معهما المجاهدون أنور حمران وطاهر زيود وإياد حردان وأحمد عمور وصالح عبيد وحسن براهمه (الذي استشهد في تلك الفترة) وأحمد عارضة (المعروف بشقير) وغيرهم ، وقد وفقهم الله سبحانه وتعالى لتنفيذ العديد من العمليات الجهادية الناجحة كان من أبرزها :

– اقتحام مستوطنة دوتان ، وخطف سيارات تحتوي على سلاح للمستوطنين ، نفذ أحمد عارضة (المعروف بشقير) عملية الخطف الأولى وحده ، وشاركه في الثانية (التي كانت بتاريخ ٦/ ١٠ / ١٩٩١م) إياد حردان وآخرون ، وإياد هذا هو نفسه الذي وفقه الله سبحانه بعد عقد من الزمن ليضع لمسات بارزة في تكوين سرايا القدس في منطقة جنين خلال انتفاضة الأقصى ، ثم ليتفجر جسده أشلاءً في عملية غدر صهيونية جبانة .

وكان لعمليات الخطف تلك دور مهم في تسليح مجموعات عشاق الشهادة في بداياتها وفي ظل محدودية الإيرادات المالية وشحها ذلك الوقت .

– تفجير عبوّة ناسفة في حافلة عسكرية صهيونية على شارع جنين نابلس بتاريخ ٢/ ٨/ ١٩٩٢م بمحاذاة

قرية عنزا ، أدت إلى جرح جنديين حسب اعتراف العدو ، وقاد المجموعة الشهيد عصام براهمة ... .

- زرع عبوة شديدة الانفجار على شارع جنين نابلس بمحاذاة قرية عنزا وتفجيرها بحافلة عسكرية صهيونية بتاريخ ٧/ ٩ / ١٩٩٢م، مما أدى إلى إصابة ضابط صهيوني حسب اعتراف الصهاينة، وخلال انسحاب عصام، رحمه الله، باتجاه قرية قباطية كانت القنابل الضوئية تقلب الليل إلى نهار ، فاضطر عصام إلى أن يجتاز جبلاً أجرد زحفا على بطنه ، خلال ذلك كانت مروحية صهيونية تهبط على الجبل قريبا منه فقلع بعض شجيرات الزرد ، ونام على الأرض وغطى بها جسمه، وأخذ يتلو آية الكرسي، وآيات من سورة يس ، وعندما أقلعت الطائرة طارت تلك الأغصان عنه من قوّة ريح الطائرة لشدة قربها منه ، ونجّاه الله سبحان وتعالى منهم ، ووصل إلى قباطية ، وقد تجرح جسده الطاهر نتيجة الزحف على الحجارة والأشواك ...

- إصابة مستوطن كان يعمل ضابطا في حرس الحدود في سهل مرج ابن عامر عن قرب بمسدس ، بعدة رصاصات في رأسه وبطنه بتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٩٩٢م ، والمستوطن هذا من مستوطنة قاديش في الشمال الشرقي لقرية سيلة الحارثية ، وقد نفذ العملية الشهيد القائد صالح طحاينة وكان معه الأسيران طاهر زيود وأحمد عارضه (شقير) اللذان ما زالا في الأسر ... والجدير بالذكر أنهم تركوا التراكتور الذي كان يقوده المستوطن يمر عن جسده وتركوه ظانين أنه قد انتهى ، لكن تبيّن بعد ذلك أنه لم يمت .

في ٨/ ١٠ / ١٩٩٢م أصيب الشهيد القائد صالح طحاينة في كمين قرب قرية (مصمص) داخل الخط الأخضر، وذكر الصهاينة أن ذلك جرى أثناء اشتباك مسلح وأغمي على صالح ليستيقظ فيجد نفسه في المستشفى ، حدّث أحد إخوانه فيما بعد في زنازين جنين أنه عندما استيقظ ، واكتشف انه لم يستشهد بعد، شعر أن الدنيا حوله أصبحت سوداء مظلمة، وشعر بحزن شديد، وعندما كان في المستشفى حضر فريق من المحققين الصهاينة لاستجوابه ، عرّضوه لتعذيب شديد ؛ أحد أشكاله أنهم كانوا يحرّكون البربيش الموضوع في رئته بشكل عنيف وكان قد أصيب بها لكنه رغم ذلك قدّم لهم قصصا مفبركة حاكها جيدا حتى لا يضر أحدا من المجاهدين الذين شاركوه جهاده ...

– تفجير باص صهيوني لشؤون الاستيطان على طريق مستوطنة متتياهو القريبة من قرية خربثا – رام الله بتاريخ ١٧/ ١٠ / ١٩٩٢م، والتي أسفرت عن مقتل وإصابة عشرة صهاينة ، كان أحد القتلى مديرة مجلس المستوطنة ، وقد نفذ العملية عصام بيديه الطاهرتين ، وكان معه مجاهدان من قرية خربثا هما : (محمد فلنه وعطا فلنه) ، ولا زالا في الأسر من ذلك الحين ، وتم التفجير عن طريق تشريك عبوة موصولة بسلك رقيق يمتد في عرض الطريق، وبمجرد أن تصطدم السيارة به تنفجر العبوة ، وقد جاءت العملية تكريما لروح الشهيد حسن براهمة من قرية عنزا الذي كان قد استشهد قبلها بأيام، وأصيب معه صالح عبيد الذي اعتقل، وظل في السجن ست سنوات، وردّ الكيان الصهيوني على العملية بقصف قاعدة للجهاد الإسلامي في مخيم البدّاوي في لبنان .

وألطاف الله سبحانه وتعالى لم يحرم منها عصام هذه المرة ، فقد وجدها كما في السابق ، وكما في اللاحق ساعة العسرة ، كان الصهاينة قد فرضوا طوقا واسعا على عدد كبير من القرى المحيطة ، وكان عليه أن يخرج من الطوق ، وقد فعل بتوفيق الله ، في طريقه التي قطعها مشيا حتى جبال الخليل واستمرت معه أياما ، أصابه عطش شديد ، أحس أنه سيهلك بسببه ، وكالعادة لجأ إلى الدعاء ، كان قد مرّ عليه وقت طويل وهو في حالة العطش ، فإذا به أمام أغصان لاحظ تحتها غالونات ، كان الوقت موسم الزيتون، فحصها ، فكان له ما أراد ، وشرب حتى ارتوى .

– ولعل أبرز عطاءات عشاق الشهادة، (وربما أبرز عطاءات الشعب الفلسطيني في تلك المرحلة) كانت معركة الاستشهاد الأسطورية التي أكرم الله بها القائد الشهيد عصام براهمه عندما حاصرته قوات الاحتلال داخل أحد المنازل في قريته (عنزا) ، كان ذلك مساء ١٠/ ١٢ / ١٩٩٢م ، ليلة الجمعة واستمر إلى صباحها ١١/ ١٢ / ١٩٩٢م ، كان يشرف على تلك القوات من اللحظة الأولى قائد المنطقة الوسطى داني ياتوم (الذي أصبح فيما بعد رئيسا للموساد وشغل مناصب أخرى) ، وقائد الجيش الصهيوني في منطقة جنين أمل فارس بالإضافة لقائد القوات الخاصة . لحق بهم فيما بعد وفي وقت متقدم من المعركة التي دامت تسع ساعات ، رئيس الأركان والمفتش العام للشرطة (والذي يلحق بمسؤولياته

القوات الخاصة التابعة لحرس الحدود) ...

نادوا على من في البيت – الذي كان في موقع منخفض وغير مناسب عسكرياً –أن يخرجوا رافعي الأيدي، وحسب آخر الخارجين من البيت صعد عصام على السدة ، بدأ يقرأ القرآن من مصحف كان يحمله في جيبه ... حاول الجنود الاقتراب ، قنص بعضهم ، بدأوا يطلقون الصواريخ المضادة للدروع ، خمسة عشر صاروخا في المرحلة الأولى ، اشتعل البيت الذي احتوى على أثاث جديد وأكثر من خمسين تنكه زيت ، بعد ساعتين من الاحتراق أحضروا إطفائية تابعة لبلدية جنين ، كانوا مطمئنين أن النار أكلت جسد المقاتل الأسطورة ، أو على الأقل خنقته عملية الاحتراق ، ربما شعر عصام أن رجال الإطفائية عرب فلم يطلق النار ، لكن ما أن أتموا إطفاء المنزل، وبدأ الصهاينة بالاقتحام ،حتى انقض عليهم كالأسد ، قتل منهم وجرح ، ونال عصام الشهادة التي عشق بعد تسع ساعات من القتال ، وربما أنّ رعبهم أصبح هوسا فلم يقتربوا من الجسد الذبيح ، بل أجبروا بعض الأهالي على إخراجه ، وكانت النتيجة في جانب العدو مقتل قائد القوات الخاصة (يدعى ساسون وهو من الشين بيت) واثنين آخرين ، وجرح خمسة ، وذلك حسب اعتراف العدوّ الذي ذكرت روايته أن داني ياتوم نجى بأعجوبة ، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يستخدم فيها العدو الصواريخ المضادة للدروع ضد أفراد ...

في نهاية عام ١٩٩٢م ونتيجة للعمليات البطولية للجهاد الإسلامي وحماس ، أقرت الحكومة الصهيونية إبعاد (٤١٥) مجاهدا من الضفة والقطاع كان نصيب الجهاد الإسلامي في جنين منهم ستة كانوا من ضمن خمسين مبعدا من حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين إلى مرج الزهور ...

(٩-٥) : الجهاد في سبيل الله ماض رغم أوسلو ونتائجها: ١٩٩٥م - ١٩٩٩م:

كان ظل أوسلو ثقيلاً على الجهاد الإسلامي كما على حماس ، حيث الملاحقات الأمنية المسعورة والحرب الإعلامية الفاجرة لكننا سنقتصر ، كما في السابق ، من حديثنا على الجهاد الإسلامي في منطقة جنين بحكم طبيعة الموضوع الذي يحاول أن يضع الشهيد القائد طوالبة في السياق الزمني للعطاء الجهادي

العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في منطقة جنين .

– عند بدء إعادة الانتشار في الضفة، وقد أزمع الصهاينة تسليم مدنها لسلطة أوسلو ، بدأت عملية نقل واسعة للأسرى : ذوي الأحكام العالية إلى السجون المركزية داخل الخط الأخضر ، وذوي الأحكام الخفيفة إلى معتقل النقب الصحراوي ، وكان أن اقتنص الشهيد القائد صالح طحاينة الفرصة فانتحل شخصيّة أسير من ذوي الأحكام الخفيفة، وانتقل مكانه إلى النقب، بينما انتحل الآخر شخصية صالح ، وانتقل مع ذوي الأحكام العالية إلى سجن كفاريونا ، وبعد عشرين يوما من وصوله للنقب في الثلث الأخير من عام ٩٥م، خرج مكان أسير كان قد حان موعد الإفراج عنه ، ولم يكن في ذلك يبحث عن حريته الشخصية ، بل كان يملأ قلبه الهم بمواصلة العمل الجهادي وخاصة العمل للإفراج عن الأسرى الذين شعروا أنهم غدروا ، وأصبحوا في حكم المنسيين ...

أصبح صالح المطارد الأول ل (بيرس – عرفات) ، والمطلب الأول على قائمة إسرائيل المقدمة للسلطة، فتم تأسيس جهاز أمن اقتصر وجوده على مدينة جنين تحت اسم (جهاز الأمن الخاص) ، وغرضه الوحيد مطاردة الشهيد صالح ، وقد تم حلّه مباشرة بعد استشهاده ، ولم يقتصر الأمر على هذا الجهاز، بل شاركت بقيّة الأجهزة بدور الوكالة عن الصهاينة في عملية المطاردة المسعورة التي شوّشت بشكل كبير تحرّكات الشهيد في إنجاز مشروعه ، لكنه تمكّن من تشكيل مجموعة عسكرية كان لها دور في القيام ببعض العمليات الجهادية مثل عملية بديا في شهر ٦/ ١٩٩٦م التي قتل فيها الشرطي مئير ألوش، وجرحت زوجته ، والتي نفذها المجاهد الأسير محمود عبدالله عارضة وآخرون ، وعملية باقا الشرقية التي تمثلت بمهاجمة سيارة إسرائيلية بالأسلحة الرشاشة ، أصيب جميع ركابها الذين تبيّن أنهم رومانيون، وقد نفذها المجاهدون المشار لهم قبل قليل ، وفي شهر ٦/ ١٩٩٦م أيضا .

– بعد استشهاد صالح واصل إياد المسير، لكن سجون السلطة كانت بانتظاره ست مرات قبل

السابعة التي استشهد فيها .

في عام ١٩٩٨م، وبعد خروجه من الاعتقال السادس في سجون السلطة لاحت له فرصة للعمل في ظل وجود الشيخ خالد زكارنه وأنور الحمران الذي كان على رأس التنظيم في جنين آنذاك ، فكانت عملية شارع محني يهودا الاستشهادية المزدوجة في القدس بتاريخ ٦/ ١١/ ١٩٩٨ التي نفذها المجاهدان سليمان طحاينة (شقيق صالح) ويوسف الزغير من عناتا / منطقة القدس (وهو شقيق زوجة سليمان) وقد أوقعت العملية عشرات الإصابات ، وكان الشهيد سليمان قد خرج من سجن السلطة قبل العملية بوقت قصير ، وكتب في وصيته : (أريد أن ألقى وجه ربي وأتحدى السلطة وكلينتون ونتنياهو وواي بلانتيشن أن يمنعوني من ذلك) .

وعقب العملية شنت السلطة حملة شعواء ضد الجهاد الإسلامي متزامنة مع حملة أخرى قام بها الصهاينة ، اعتقل فيهما الكثيرون من نشطاء الجهاد الإسلامي في منطقة جنين، كان من بينهم في حملة السلطة أنور حمران ، وخالد زكارنه ، وإياد الحردان ، وثابت مرداوي وجميعهم كانت لهم فيما بعد أدوار مهمة في قيادة السرايا .

– من داخل السجن واصل أنور وإياد محاولة الترتيب لإعادة تشكيل مجموعات جهادية نفذت إحداها العديد من العمليات قرب قرية عرابة ، أدت إلى إصابات محققة في صفوف الجنود والضباط والمستوطنين ، وفي إحداها هربت الدورية عندما شنّ المجاهدون هجومهم عليها ، وقد تم تقديم ضابط الدورية للمحاكمة أمام إحدى المحاكم العسكرية الصهيونية ، وكان أعضاء هذه المجموعة محمد عدنان مرداوي ، وكفاح عارضة وسامر عيسى وغيرهم ، وكانت كتائب القسام قد تبنت هذه العمليات والتي تبين بعد اعتقال أولئك المجاهدين وقوف الجهاد الإسلامي وراءها ...

– واصل إياد وإخوانه محاولاتهم، فهرب هو والقائد الشهيد أسعد دقة (قائد سرايا القدس في طولكرم) ومجاهد ثالث من سجن جنيد لكنّ ثلاثتهم اعتقلوا بعد الهرب بقليل .

(٩-٦) : (سرايا القدس) ... الانطلاق المبارك والعطاء المميز : السرايا دوماً على مفاصل التحولات ...

كان لسرايا القدس ، بداية انتفاضة الأقصى ، شرف تنفيذ عملية إطلاق النار الأولى ، والعملية الاستشهادية الأولى ، وتفجير السيارة المفخخة الأولى ، وأتت ثلاثتها متعاقبة : كانت الأولى بالقرب من مطار غزة الدولي ، وقتل فيها جندي صهيوني على الأقل وجرح آخرون ، والثانية كانت عندما فجّر الاستشهادي البطل نبيل العرعير جسده الطاهر ، وهو يقود دراجة هوائية ضد حاجز للجنود الصهاينة (بتاريخ ٢٦/ ١٠ / ٢٠٠٠م) ، وكان معها إطلاق اسم سرايا القدس على الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ، وكان الذي اختار الاسم الأمين العام للحركة د . رمضان عبدالله ، أما الثالثة فقد كانت في القدس المحتلة عندما تم تفجير سيارة مفخخة عن بعد عبر هاتف خليوي (بتاريخ ٢/ ١١/ ٢٠٠٠م) ، وقتل فيها اثنان : إبنة الوزير الصهيوني الحاخام إسحاق ليفي وزوجها .

استمر هذا الاسم (سرايا القدس) بالصعود مباركا بفضل الله سبحانه مع العمليات التي نفذتها حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين فيما بعد ، والتي دفعت بالقوى والفصائل الأخرى للدخول بقوّة في هذا التنافس الشريف في قتال العدو الصهيوني لتحقق الحركة بذلك سمة رافقتها في مراحلها المختلفة تتمثل في أنها ، منذ نشأتها دوما ، كانت تقف على مفاصل التحولات التاريخية الخطيرة في مواجهة المشروع الصهيوني بدءا من نشأتها ذاتها التي دفعت بمجمل الحركة الإسلامية الفلسطينية ،فيما بعد ، إلى ساحة القتال ، أو كما يقول المفكر الإسلامي البارز راشد الغنوشي : (وكتب الله لفتحي وإخوانه أن يكونوا المقص الذي دشن المرحلة الجديدة ... المرحلة الإسلامية لا لقيادة العمل التحريري فقط ، وإنما لقيادة المنطقة كلها ... وهو لعمري من أعظم تحولات عصرنا)- من مقدمة كتبها لكتاب (رحلة الدم الذي هزم السيف)- ثم بعد النشأة بسنوات قليلة كانت سلسلة العمليات التي أعقبت عملية الهروب من سجن غزة المركزي بقيادة الشيخ الحافظ للقرآن مصباح الصوري بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٩٨٧م وصولا إلى معركة الشجاعية ٦/ ١٠ / ١٩٨٧م التي آذنت بانطلاق الانتفاضة الأولى لتضع الشعب الفلسطيني كله على أعتاب مرحلة جديدة ومعه كل المنطقة ...

نفس الأمر سيتكرر عند بداية انتفاضة الأقصى على النحو الذي أشرنا إليه سابقا ، عندها كانت

الأجهزة الأمنية الفلسطينية تتفاخر بأنها أجهزت على البنى التحتية للجهاد الإسلامي وحماس ، بل كان بعض كبار ضباطها يتحدون أنه خلال العقد القادم لن تستطيع بعض الأجنحة العسكرية القيام بعملية واحدة، لكن ما أن انقضى أسبوعان على انتفاضة الأقصى حتى كانت سرايا القدس تنطلق بحيوية كبيرة انعكست على مجمل الحالة الفلسطينية ...

وبما أن حديثنا يقتصر على الجهاد الإسلامي في منطقة جنين، والتي تمثل شاهدا على ما اشرنا إليه قبل قليل ، فإننا سندلف قليلا إلى سجن جنيد في نابلس .

فعشية انتفاضة الأقصى، وحتى بعد مرور عدة أسابيع منها ، كان يقبع في ذلك السجن أنور حمران وإياد حردان وأسعد دقّة والشيخ خالد زكارنه ، وكان معهم أيضا محمد بشارات ووائل عسّاف ومحمد قاسم عارضة ، وكان قد انتقل من هناك إلى سجن الوقائي في رام الله زيد بسيسي بعد أن أُلهب ظهره بالسياط ، وكسرت يده أثناء التحقيق، وجميع هؤلاء سيبرزون في ظل انتفاضة الأقصى كقادة لسرايا القدس في جنين باستثناء أسعد وزيد اللذين كانا من قادة السرايا في طولكرم ، وفي تلك الأثناء كان ثابت المرداوي قد خرج من سجن جنين ...

جاءت الانتفاضة ليخرج قسم كبير منهم تحت ضغط الشارع الذي هجم على سجن جنيد في هبة جماهيرية مشهودة لمدينة نابلس لإنقاذ السجناء السياسيين من الجهاد الإسلامي وحماس ... اقتحم السجناء الأبواب ودفعوا الحراس إلى أن تمكنوا من الخروج ، كانت الطائرات تحلّق بالجوّ فيما الجماهير تحيط بالسجن تحطّم أسيجته ، اضطرت السلطة مع هذا الضغط الى الافراج عن عدد من السجناء واستثنت آخرين اعتبرتهم هاربين وأنّ عليهم أن يعودوا للسجون المهددة بقصف الطائرات ، كان من هؤلاء الشيخ خالد زكارنه وإياد الحردان وأسعد دقة والشيخ عبد الحليم عز الدين (أبو القسّام) ...

اعتقل إياد وعبد الحليم في عرّابة، ووضعا في سجن جنين المركزي، فيما أودع خالد زكارنه وإخوة من حماس في سجن جنيد مرة أخرى ، أما أسعد ، ومعه مجاهدان آخران من الجهاد الإسلامي، فكان حظهم الإقامة في سجن طولكرم، لكن في ظروف أفضل مما لإخوانهم السابقين إلى حد ما ...

كانت سرايا القدس في هذه الفترة قد شنّت مجموعة من الهجمات ضد الصهاينة استجابة للواجب الشرعي في قتال المحتل، وانتقاما للدماء العزيزة لأبناء شعبنا ...

وبدأ اسم إياد الحردان مرة أخرى يتردد على ألسنة القادة الصهاينة وعبر وسائل إعلامهم التي كانت تهدد وتتوعد ،وأصبح سجن جنين المركزي- الذي كان يقيم فيه سجينان اثنان ليس غير، هما إياد الحردان وعبد الحليم عز الدين - قبلة لأولئك الشباب الذين يسعون للقتال والشهادة ، وأصبح كذلك ساحة للقاء القادة المؤسسين لسرايا القدس في جنين ثابت مرداوي ومحمد بشارات ووائل عساف ، وأخذ ينضم إليهم أسامة تركمان ومحمود طوالبة وعبد الرحيم فرج (المعروف بعبد الساره) وغيرهم، وبطبيعة الحال لم يكونوا يزورون إياداً مجتمعين بل واحداً واحداً أو اثنين اثنين بأوقات مختلفة، وتحت دعاوى مختلفة أيضا ...

(٩-٧) : أنور وإياد : أطلقوا جيل أسامة :

لم يكن إياد ، وهو الذي كان قد عزل في الزنازين مرات عديدة هو وأنور وأسعد والشيخ خالد ، وذاقوا الأمرين بتهمة أنهم يحاولون إعادة نشاطهم من داخل السجن ، ولم يكن وهو الذي تحمّل جسده الطاهر صنوف العذاب ، وظل يعاني نتيجة التعذيب من انزلاق إحدى فقرات العمود الفقري حتى الشهادة، وأبى أن يبوح ، لم يكن ليدع الفرصة السانحة تفوت بعد أن هيّأها الله سبحانه وتعالى ...

كان إياد وهو ما يزال في سجن جنيد قد قرأ في عدد من أعداد المجلة المركزية للجهاد الإسلامي (المجاهد) نداءً للدكتور (رمضان عبدالله) الأمين العام للحركة تحت عنوان: (أطلقوا جيل أسامة)، (أي أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما الذي قاد جيشا فيه كبار الصحابة رضوان الله عليهم وسنّه ما تجاوز الثمانية عشر عاماً ، ويقصد من ذلك تحريك الحيوية في التنظيم والعمل الحركي من خلال جيل يتدفق عطاءً وحيوية ، فكان أن التقط إياد الرسالة من هذه العبارة التي كثيرا ما كان يرددها داخل سجنه في جنيد ، وانطلقت السرايا في جنين لتستقطب خلال شهور قليلة عشرات القادة والاستشهاديين والمجاهدين من الشباب الأكثر طهرا ونقاءً وعطاءً ، والكثير الكثير من الأنصار والمؤيدين ...

بدأ العمل مع الشهور الأولى لعام ٢٠٠١م ، فكانت العمليات التالية لسرايا القدس في منطقة جنين :

– هجوم ضد سيارة عسكرية في اليوم الثاني لاستشهاد القائد أنور الحمران عندما كانت الجماهير تشيّع جثمانه الطاهر بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٠م وقد أصيب عدة جنود ، وكان المجاهد الذي شنّ الهجوم عن بعد أقل من ثلاثة أمتار دون أن يجرؤ الجنود على التوقف ، أحد الذين جنّدهم أنور الذي كان حينها القيادي الأبرز للجهاد الإسلامي في منطقة جنين على جميع الأصعدة ، وقد استشهد في مدينة نابلس عندما أطلق عليه قنّاص صهيوني النار من نقطة عسكرية في أعلى الجبل الجنوبي لنابلس ، عندما كان أنور وحيدا في الطريق المقابلة على بعد ثلاثمائة متر أمام المبنى الجنوبي لفرع جامعة القدس المفتوحة هناك ...

– هجوم على سيارة للمستوطنين قرب مستوطنة شافي شومرون بتاريخ ١٩ / ١/ ٢٠٠١م حيث أصيب ثلاثة مستوطنين ، وعاد المجاهدون إلى قواعدهم بسلام .

– تفجير عبوتين ناسفتين كبيرتين في باص صهيوني على شارع جنين – نابلس مقابل قرية عنزا ، ثم مهاجمته بالأسلحة الرشاشة بتاريخ ١٨/ ٢/ ٢٠٠١م، كان من بين المنفذين الشهيدان أسامة التركمان ووائل عسّاف ...

– صدّ هجوم للقوات الخاصة الصهيونية على منزل الشهيد نصر جرار من كتائب القسّام بغرض اعتقاله ، وكان هذا الهجوم هو الأول من نوعه على منطقة تخضع للحكم الذاتي ، وقد تصدّى لهذه القوة الشهيد أسامة التركمان من سرايا القدس وحيدا ، وأصاب العديد من الجنود بعد أن أمطرهم بوابل من الرصاص ، ولاحقهم بين البيوت والأشجار ، وعن بعد أمتار قليلة ، مما أفشل عملية القوات الخاصة التي كانت تساندها طائرات الأباتشي والدبابات التي كانت تتواجد في حرش قريب ، وكان هذا في (شهر ٣ / ٢٠٠١)م .

قال أحد الجيران في تلك المنطقة :(إن الجنود كانوا يركضون على غير هدى ، وكلما سمعوا رشقة من رصاص الشهيد أسامة انبطحوا أرضا ، حتى وصلوا إلى حرش السعادة حيث تنتظرهم الدبابات وبحماية الأباتشي التي حلّقت حتى انبلاج الفجر ...) .

وكان أسامة قد استولى على العديد من المعدات العسكرية لهذه القوة الصهيونية التي أُخذت بهجومه الصاعق، فقام أحد الأجهزة الأمنية بمصادرتها وتقديمها لجهة معينة ظهر العديد من أفرادها وهم يعرضونها أمام وسائل الإعلام !!

- مهاجمة قافلة عسكرية على الطريق الالتفافي لمستوطنة جنّيم بتاريخ ٥/ ٣/ ٢٠٠١م، استشهد خلالها القائد الشهيد أسامة التركمان الذي شيّعه في اليوم التالي - يوم عيد الأضحى المبارك -أكثر من عشرة آلاف شخص، والجدير بالذكر أن أسامة كان صائما في ذلك اليوم ، وبعد أن تناول إفطاره انطلق لتنفيذ العملية ...

وكان الثأر لأسامة في الهجوم المباشر على مختار مستوطنة شافي شومرون بتاريخ ١٥/ ٣/ ٢٠٠١م، والذي شنّه القائد محمد بشارات، (والذي انضم للسرايا من خلال أنور حمران عندما كانا معا في زنازين سجن جنيد في نابلس، وقد أصيب هذا المستوطن إصابة مباشرة عن قرب فيما جزم محمد بأنه قتله.

- هجوم الغور الذي قاده محمد بشارات على سيارة للمخابرات الصهيونية كان فيها الضابط المسؤول عن منطقة طمّون بتاريخ ١٩/ ٣/ ٢٠٠١م، وقد أصيب هذا الضابط بالإضافة لآخر ، وقال الصهاينة أنّ جنديين أصيبا ، وتجنبوا الإشارة لهويتهما وسقطت السيارة التي كانت قد رصدت لفترة في أحد الوديان ، وكان ممن شارك في الهجوم الشهيد وليد بشارات ...

- وفي ٢٧/ ٣/ ٢٠٠١م أدخل المجاهدان ؛ عبد محمود أحمد عبيد، وعبد الجبار صبري خليل الشمالي من عرابة سيارة مفخخة إلى مدينة القدس المحتلة حيث تم تفجيرها عن بعد بالقرب من مجمع (يد حروتسيم)، وأدت لإصابات عديدة وأدخلا سيارة أخرى بعد ذلك وضعت في شارع يافا في القدس المحتلة بتاريخ ٢٧/ ٥ / ٢٠٠١م ،وأدت ايضاً لإصابات عديدة ، في صفوف الصهاينة بالإضافة إلى موجة من الذعر والرعب ...

- بتاريخ ٥/ ٤ / ٢٠٠١م جاء اغتيال الشهيد القائد إياد الحردان الذي كان لا يزال سجينا : حنّ

لأهله ، فتوجّه للهاتف العمومي القريب التابع للمقاطعة(وهي مجمع للأجهزة الأمنية التابعة للسلطة) ،ضغط الأرقام ، كلمات قليلة ودوّى انفجار عنيف ، مُزّق الجسد الطاهر وصعدت الروح إلى بارئها ...

هبت جماهير جنين ومخيمها وقراها على السلطة وأجهزتها ، وتليت وصيّة إياد : (لا يسير في جنازتي أي شخص يعمل في جهازي الوقائي والمخابرات) ، وكان يوصي إخوانه أن يوصوا بذلك أيضا عندما كان في سجن جنيد ، تحوّل الحدث إلى العنوان الأبرز على كل المستويات الإقليمية والمحلية والعالمية حتى أن الـ CNN ، الشبكة التلفزيونية الأبرز في العالم ، جعلته عنوانها الرئيس ، وبالصورة ، ليوم كامل .الصهاينة – بدورهم – أخذوا يتبجحون ؛ فقال عوزي لانداو وزير الأمن الصهيوني للإذاعة الصهيونية الرّسمية : (يجب تكثيف عملياتنا وعدم الاكتفاء بهجمات كل ثلاثة أيام ليكن الضرب ليل نهار) ، وادّعى وزير النقل الصهيوني أفرايم سنيه أن (مقتل إياد الحردان سيكبح نشاطات حركة الجهاد الإسلامي بصورة كبيرة) ... لكن بعيدا عن عالم الأوهام وتشوشات السكر والعربدة أعلن الأمين العام للجهاد الإسلامي من دمشق أن إياداً هو قائد سرايا القدس في جنين وأن استشهاده فتح بابا للثأر على درب الجهاد في سبيل الله .

تأخر الثأر لكنه جاء ، فكانت العملية المزدوجة في الخضيرة بتاريخ ٢٥/ ٥/ ٢٠٠١م، التي نفذها الاستشهادي أسامة أبو الهيجاء وعلاء الصبّاح ، وتضاربت مصادر العدو في نتائج العملية لتستقر على قتيل وستين جريحا ، كان محمود طوالبة هو من رشحهما للمهمة، وعرّفهما على ثابت المرداوي الذي أحضر المادة المتفجرة من كفر راعي وعنبتا ...

ردّ العدو باغتيال القائد محمد بشارات والمجاهدين وليد بشارات وسامح أبو حنيش بتاريخ ٢/ ٧/ ٢٠٠١م، عندما قصف سيارتهم من الطائرات بالقرب من قباطية، وردت السرايا (بقيادة طوالبة و المرداوي والحاج علي الصفوري الذي شقّ دربه إلى السرايا في هذه المرحلة تحديدا) بسلسلة عمليات استشهادية بعضها نجح ، وبعضها فشل ، كانت أبرز العمليات في هذه السلسلة عملية بنيامينا في محطة القطارات هناك يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠١م ، وقد نفذها الإستشهادي نضال أبو شاذوف ضد تجمع للجنود ، وأسفرت عن مقتل ثلاثة جنود وإصابة أكثر من عشرين ، وكان الذي اختار الهدف وقام بالنقل الشهيدان

محمد ياسين ومصطفى ياسين ، كما كانت في نفس السلسلة عملية استشهادية في كريات موتسكين قرب حيفا بتاريخ ١٢/٨/٢٠٠١م، أسفرت عن خمسين إصابة حسب مصادر العدو ، وقد نفذها الاستشهادي محمد نصر الذي انضم للسرايا عندما كان حارسا في السجن الذي يقبع فيه إياد في جنين دون علم جهاز الاستخبارات الذي كان يعمل فيه ، وقد جاءت هذه العملية عقب التبني الخطأ للجهاد الإسلامي لعملية (مطعم سبارو) يوم ٩/٨/٢٠٠١م، التي نفذها الاستشهادي عز الدين المصري من كتائب القسام ، وقد أخطأ أحد قادة السرايا في جنين عندما ظنّ أن حسين أبو ناعسة هو الذي قام بالعملية، وكان قد أرسله لتنفيذ عملية في صباح ذلك اليوم نفسه ، اعتذر الأمين العام للحركة د . رمضان عبدالله بشجاعة القادة الحقيقيين وتواضع المؤمنين عن هذا الخطأ ، وصححه ، وصدر بيان توضيحي من الحركة بخصوصه ...

كما جرى تفجير عبوات ناسفة بحافلات العدو ومركباته في نفس تلك الفترة بتاريخ ٢٦/ ٧/ ٢٠٠١م، وقد شنّ العدو إثرها هجوما على جنين ، وهدم جزءا من مبنى المقاطعة، وتصدّت له قوى المقاومة المختلفة ...

وفي تلك الفترة اغتال العدوّ الشهيد المجاهد مصطفى ياسين على باب بيته في قرية عانين، وكان ذلك بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠٠١م . فأتى رد الجهاد الإسلامي ، وفي عمق الغور ، كان هذه المرة على يد أسد الغور القائد أيمن دراغمة والقائد محمد ياسين والمجاهد يوسف سويطات ، وبترتيب مع ثابت المرداوي الذي أبوْا عليه أن يخرج معهم حتى لا تصاب السرايا بضربة قاتلة إن حصل معهم ما لم يحتسبوا ، وخاصة أنه –بالنسبة لهم– الأمير ...

انطلقوا متوكلين على الله، ووصلوا منطقة الغور، اجتازوا حاجزا عسكريا صهيونيا ، وفي عمق الغور نفذوا مهمتهم ، لاحقوا سيارة ، ساروا بمحاذاتها ، سلطوا نيرانهم على من بداخلها ، فانقلبت السيارة ، وكانت النتيجة سبعة من الصهاينة ما بين قتيل وجريح ، وعاد الفرسان إلى جنين سالمين بفضل الله سبحانه، وكان ذلك صباح يوم ٩/٩/٢٠٠١م ، وقد حملت العملية اسم الشهيد مصطفى ياسين، وأعلن أنها الرد على اغتياله ...

نفذ العدو بعدها هجوما واسعا على جنين، وخاصة أنه جاء معها في نفس اليوم عملية استشهادية لكتائب القسام قام بها الشهيد محمد حبيشي ، وقتل فيها ثلاثة جنود صهاينة، وأصيب آخرون، وقالت مصادر العدو أنه خرج من مدينة جنين ، وقد استمر الهجوم اسبوعا كاملا، يهجم ليلا ويرتد نهارا ، وتم فيه تدمير مبنى المقاطعة بشكل شبه كامل، وفي أحد النهارات هاجم المقاومون دبابات العدو الصهيوني بالقرب من حرش السعادة القريب من المخيم، فاستشهد المجاهد البطل إياد المصري من سرايا القدس ، كما استشهد معه المجاهد البطل ابراهيم الفايد من حركة حماس ، وفي مساء ذلك اليوم الذي استشهد فيه إياد ١١/ ٩/ ٢٠٠١م كان مصاب السرايا كبيرا عندما تم محاصرة منزل الشهيد سفيان العارضة في عرابة، ودار اشتباك بين القوات الصهيونية المدججة بالسلاح وبين المجاهدين بأسلحتهم الفردية ، وفي الساعات الأولى لفجر يوم ١٢/ ٩/ ٢٠٠١م، استشهد ثلاثة من أبرز نشطاء سرايا القدس؛ أسعد دقة من قرية عتيل ،وهو قائد سرايا القدس في منطقة طولكرم ،ووائل عساف، وسفيان عارضة من قرية عرابة من قياديي السرايا في منطقة جنين، واستشهدت معهم المجاهدة بلقيس العارضة شقيقة سفيان . وفي أحد الصباحات (يوم ١٨/ ١٠/ ٢٠٠١م) استهدف العدو مدرسة الإبراهيمين للبنات فاستشهدت الطفلة رهام الورد .

أتى رد السرايا بعمليات متتالية؛ أولاها في الغور يوم ٢٤/ ٩/ ٢٠٠١ ، وقد حملت اسم بلقيس عارضة ثأرا لشهداء عرابة، وأعلن العدو بعدها ، لكي يطمئن مستوطني الغور، أنه سيفرض غطاءً أمنياً واسعاً لمنطقة الأغوار بما في ذلك غطاءً جوياً) . وقاد هذه العملية القائد القرآني أيمن دراغمة ، وأسفرت عن مقتل مجنّدة صهيونية وإصابة زوجها ، وقد شنت السلطة إثرها حملة لاعتقال أيمن دراغمة رغم أن العملية في المنطقة المحتلة عام ١٩٦٧م ، وكان قد هيأ الإمكانات اللوجستية للعملية القائد الشهيد محمد ياسين والقائد الأسير ثابت المرداوي ...

جاءت بعد ذلك عملية السرايا في بيسان يوم ٧/ ١٠ / ٢٠٠١م، والتي رتب لها الشيخ خالد وثابت وأيمن ، ونفذها الاستشهادي البطل أحمد دراغمة من طوباس ، وقد أودت بحياة ضابط أمن مستوطنة

شلوخوت، وكان الذي أوصل الاستشهادي إلى هناك أيمن دراغمه ، وفي طريق عودته مشياً كان منهكا من طول المسافة التي قطعها ذهابا وإيابا ليجد بانتظاره افراد أحد الأجهزة التي اعتقلته لشهور عديدة رغم أن المستوطنة تلك تقع في الضفة ... ! ! .

وثالثة تلك العمليات كانت في الخضيرة، وحملت اسم رهام الورد إحياءً لذكرى الشهيد المؤسس الدكتور فتحي الشقاقي ، وثأرا لشهداء مجزرة بيت ريما ، وأتت في الوقت الذي كانت فيه الدبابات الصهيونية تحاصر جنين ومخيمها ...

نفذ هذه العملية الاستشهادية البطلان يوسف سويطات ونضال الجبالي من مخيم جنين بالأسلحة الرشاشة ، كان ذلك يوم ٢٨/ ١٠ /٢٠٠١م، فقتلا ستة صهاينة، وأصابا أربعين ، وقد تبعها حملة من السلطة على الجهاد الإسلامي مهّدت لها في غزة ورام الله ردا على العملية وأعلنت ذلك رسميا ، وكان يقف خلف العملية القائد الشهيد محمد ياسين، والقائد الأسير ثابت المرداوي ...

يوم ١/ ١١/ ٢٠٠١م ، قامت إحدى السرايا بتفجير عبوة ناسفة عند يعبد أسفرت عن إصابة جندي ومستوطنة حسب اعتراف العدو ...

ثم جاءت العملية المشتركة مع كتائب الأقصى بتاريخ ٢٦/١١/٢٠٠١م، والتي رتّب لها الحاج علي الصفوري، ونفذها البطلان الاستشهاديان؛ مصطفى أبو سرية من السرايا وعبد الكريم أبو ناعسة من الكتائب بالأسلحة الرشاشة، وكلاهما من مخيم جنين ، وأسفرت عن (٢٥) قتيلا وجريحا ، فكان رد السلطة حملة شعواء ضد الجهاد الإسلامي ونشطائها .

بعدها بأيام وتحديدا في ليلة ٣٠/ ١١/ ٢٠٠١م كانت عملية الشهيد البطل الشيخ سامر شواهنه من سيلة الحارثية قرب معسكر (٨٠) القريب من الخضيرة ، وقد أودى بحياة أربعة صهاينة وجرح عشرة ، ووقف وراءها الشيخ الشهيد خالد زكارنه ، وكانت هذه العملية فاتحة حرب الباصات المدمرة في انتفاضة الأقصى.

وفي هذه الفترة جاءت عملية الاستشهادي نمر أبو سيفين من قرية اليامون في ال(تشيك بوست) في

حيفا في ذروة تضييق السلطة ضد الجهاد الإسلامي ، وقد أسفرت تلك العملية عن إصابة عشرين جنديا . وكانت بتاريخ ٩/ ١٢ / ٢٠٠١م .

كذلك كانت عملية تفجير عبوة في مصنع صهيوني في مستوطنة كنسير بتايخ (١٣/ ٣/ ٢٠٠٢م)، وقد أسفر الانفجار عن إصابة ثلاثة مستوطنين . .

وفي نفس الفترة – ايضاً – تمت عملية مشتركة مع كتائب الأقصى، نفذها البطلان جلال خليل محاميد من الجهاد الإسلامي ، وتوفيق هاشم محاميد من فتح ،وكلاهما من قرية دير أبو ضعيف بتاريخ ٨/ ٢/ ٢٠٠٢م ، وأدت لاستشهادهما .

وقد سبقها بوقت قصير عملية أُخرى قُتل فيها أو أُصيب ثلاثة مستوطنين على شارع جنين نابلس.

هذه العمليات الأربعة الأخيرة كانت في ظل هجوم مسعور للأجهزة الأمنية على الجهاد الإسلامي في جنين، وكانت السلطة قبل ذلك بأسابيع عديدة وتحديدا يوم (١٤/ ١١/ ٢٠٠١م) ، اعتقلت محمود طوالبة، وأودعته مع أيمن دراغمة في سجن الأمن الوقائي في نابلس ، ثم نقلتهما إلى السجن المركزي لينضم إليهما محمد ياسين في نفس القسم والحاج علي الصفوري في قسم قريب ، وكان لاعتقال محمود أثرٌ مدوٍ في جنين خصوصا ، وفي الضفة عموما ، إذ ثارت جنين عن بكرة أبيها لثلاثة أيام متتالية بصورة عنيفة جدا ، ولأسابيع بصورة احتجاجات سلمية ...

وعندما قصف السجن المركزي في نابلس، هبّ أيمن دراغمه ومحمد ياسين ومحمود طوالبة والحاج علي الصفوري وغيرهم من السجن، وعادوا إلى المخيم ، لتبدأ حرب المخيمات التي شنها الصهاينة، وكان الهجوم الصهيوني على مخيم جنين في شهر آذار، وسنتطرق اليه –فيما بعد– بالتفصيل ...

أثناء الحملة على المخيم ردت السرايا بعمليتين ؛ إحداهما في الغور واستشهد فيها القائد أيمن دراغمة وصهره المجاهد فؤاد بشارات يوم ٣/ ٣/ ٢٠٠٢م ، والثانية كانت عملية استشهادية في العفولة نفذها المجاهد عبد الكريم طحاينة من سيلة الحارثية داخل إحدى الحافلات يوم ٥/ ٣/ ٢٠٠٢م، أسفرت عن قتل صهيوني وجرح ستة عشر آخرين ، وكان يقف خلفها ثابت المرداوي .

في هذه الفترة استشهد القائد محمد ياسين في قرية سيريس يوم ٧/ ٣/ ٢٠٠٢م، عندما حاصرته القوات الصهيونية الخاصة التي طالبته بالاستسلام، لكنه قاتلها حتى الشهادة ، بعض أهالي هذه القرية أكّدوا أنه أصاب العديد من أفراد القوات الخاصة إصابات محققة وأنهم (الأهالي) وجدوا بعض أدوات الإسعاف التي استخدمها الجنود كما وجدوا بقع دم ، كان محمد أثناء الاشتباك متماسكا ، وكان يطلق النار متقطعا حتى لا يجد نفسه دون ذخيرة ، أصيب برصاصة قاتلة، وكان آخر كلامه- كما روى صاحب المنزل الذي أصيب هو الآخر بجراح بالغة : (الحمد لله أني نلت الشهادة) ، وقد ذكرت الصحف الصهيونية أن الاشتباك دام لعدة ساعات ، فيما قال بعض المسؤولين الصهاينة بأن استشهاد محمد كان بمثابة إزاحة كابوس.

باستشهاد هذين القائدين اللذين نقلا السرايا في جنين نقلة نوعية بما تفضل الله عليهما من خبرة وشجاعة تلقت السرايا ضربة مؤلمة وقاسية غاية القسوة .

وبعد أسبوعين كانت عملية الاستشهادي رأفت أبو دياك في وادي عارة يوم ٢٠ / ٣/ ٢٠٠٢م التي سقط فيها داخل إحدى الحافلات الصهيونية ثمانية قتلى وعشرات الإصابات ، وكان بين القتلى خمسة جنود ، والتي وقف وراءها طوالبة ومرداوي والشيخ خالد ، وكانت أنجح عملية للسرايا حتى ذلك الوقت، لتحتفل جنين ومخيمها بهذا الانتصار العظيم ...

جاء بعد ذلك الهجوم الصهيوني الشامل على الضفة تحت اسم السور الواقي أواخر شهر ٣/ ٢٠٠٢م، والذي وصل إلى جنين يوم ٢/ ٤ / ٢٠٠٢ م ، وكانت الملحمة الخالدة في مخيم جنين ، والتي قادها الشهيد محمود طوالبة بالإضافة لعدد آخر من القادة الشهداء والأسرى من السرايا وكتائب الأقصى وكتائب القسام ، كان نصيب السرايا ثلاثة قادة شهداء بالإضافة إلى العديد من مجاهدي السرايا ، وهؤلاء القادة هم : الشيخ محمود طوالبة ، والشيخ رياض بدير (والذي كان قد جاء - بما يشبه رحلة القسام وتلاميذه - سوى أنه خرج من طولكرم وليس من حيفا بعد أن باع منزله وسيارته واشترى سلاحا ليقاتل) ، وطه الزبيدي بالإضافة لقائد أشبال سرايا القدس منير الوشاحي الذي استشهدت والدته أيضا ...

ووقع في الأسر القائدان ثابت المرداوي والحاج علي الصفوري من السرايا والشيخ عبد الحليم عز الدين (أبو القسام) من الجناح السياسي للحركة ، وكان معهم العشرات من المجاهدين فيما نجى الشيخ بسام السعدي بفضل الله سبحانه (وهو من القادة السياسيين) ...

ومن الأمن الوطني استشهد القائد أبو جندل (الذي رفض أوامر قادته بالانسحاب) ، ومن حركة فتح زياد العامر فيما وقع جمال حويل في الأسر(وهو من القادة السياسيين لفتح في المخيم) ، أما حماس فقد استشهد قائد كتائب القسام في مخيم جنين محمود أبو حلوة واعتقل الشيخ إبراهيم جبر (وهو قيادي سياسي) .

في ذروة الهجوم، وعندما كان الصهاينة على ألسنة قادتهم وعبر وسائل إعلامهم، يتبجحون أن زمن العمليات الاستشهادية قد ولى ، وأنهم استطاعوا بفضل حملة السور الواقي توفيرالأمن للصهاينة ، كان بطل سرايا القدس الاستشهادي راغب جرادات يتقدم صاعدا نحو الشهادة من قلب الحصار الهائل ليفجر جسده الطاهر في حافلة للجنود والشرطة والعاملين في جهاز الأمن العام (الشاباك) عند الياجور القريبة من حيفا بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٠٢م ، اعترف الصهاينة بمقتل عشرة جنود وضباط ، وكان ثمة روايات (بعضها صهيوني) تتحدث عن أكثر من ذلك ، كان بين القتلى مدير أحد السجون وهو برتبة ميجر (مقدم) ، ودار حديث حول مقتل بعض ضباط المخابرات ، وقتلت ابنة أخت ممثل إسرائيل في الأمم المتحدة والتي تلقى خالها التعزية من (ممثل فلسطين) هناك !! (وهي بالمناسبة شرطية) ، بعد هذه العملية الرائعة في كل شيء كان الحزي يغطي وجوه القادة الصهاينة ، وكان الرئيس الأمريكي الذي استنكر العملية يصرح (أن العمل العسكري لا يوفر الأمن) ، وفي لحظة تدمير المخيم كان راغب يعلن –بدمه– أن حملة السور الواقي قد فشلت ... وقد وجه هذه العملية وأعد عبوتها الشهيد القائد خالد زكارنة رحمه الله .

وبعد العملية أيضا أعلن عمرام متسناع رئيس بلدية حيفا– ورئيس حزب العمل فيما بعد– أن الحل العسكري لا يوفر الأمن ، فالعملية التي حصلت في الياجور في ظل هجمة إسرائيلية هائلة استهدفت محطة الحافلات الأكثر تحصينا من حيث الإجراءات الأمنية في كل إسرائيل) .

ورغم ذلك حاول الصهاينة أن يعزوا أنفسهم بأنهم ضربوا بنية المقاومة بشكل كبير وخاصة في جنين ...

وبعد عدة أسابيع كان الاستشهادي البطل محمد حمدية يفجر نفسه قرب دورية اعترضته قريبا من العفولة يوم (٢٠/٥/ ٢٠٠٢) بعد أن شك بعض المارة بأمره ، ورأى الشيخ القائد خالد زكارنة أن يتم الإعلان عن العملية واسم الاستشهادي بعد أن يتم تنفيذ عملية ناجحة وبشكل سريع ليرتبط اسم الاستشهادي بعمل ناجح فاختار هدفا قريبا من قرية سيلة الحارثية وتم زرع عبوة ناسفة ، وعندما اقتربت منها سيارة عسكرية تم تفجير العبوة وأطلق خالد صاروخ لاو عليها ، وقد أصيب بشكل كبير ومؤكد ، جرى اشتباك مع دورية أخرى فاستشهد خالد الذي كان يدعو الله في صلاته (أن يستشهد وهو يقاتل وجها لوجهه مقبلا غير مدبر) ، فرزقه الله الشهادة كما أحب ، وأعلنت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين أن خالداً قائد عمليات السرايا في شمال فلسطين ، وكان استشهاده يوم (٢٢/ ٥/ ٢٠٠٢م) .

بعد أسبوعين كانت السرايا تبدد الكثير من الأوهام ، وتسجل تطورا نوعيا في المقاومة الجهادية ضد المحتل الصهيوني ، لاحق البطل البدريّ حمزة السمودي يوم ٥/ ٦/ ٢٠٠٢م ، باصا صهيونيا عسكريا ، وعندما ألصق سيارته به كان انفجار هائل يدوي ، مائة كيلو غرام من المتفجرات حوّلته إلى خردة ، وأودت بتسعة عشر صهيونيا ، اعترف العدو أن منهم أربعة عشر ضابطا وجنديا ، وزعم أن الآخرين مدنيون ! ! وكان الجرحى بالعشرات بمن فيهم حارس برج قسم (٧) في سجن مجدو العسكري الذي احتفل نزلاؤه الفلسطينيون بالعملية عبر صرخاتهم المدوية (الله أكبر . . الله أكبر . .) ، حملت العملية اسم القائد الشيخ أبي أسامة (خالد زكارنه) إكراما له من الحركة ومن تلاميذه الذين كانوا أوفياء بحق ، وأعلنت الحركة أن العملية تأتي في سياق الرد على الهجمات الصهيونية ، وانتقاما للقادة الشهداء ، الشيخ محمود طوالبة ، والشيخ رياض بدير ، وأبي جندل ، وجهاد أحمد جبريل الذي اغتاله الصهاينة بالتآمر مع أطراف عربية ، كما أعلن والده أحمد جبريل الأمين العام للجبهة الشعبية – القيادة العامة ... بعد ساعات من العملية كانت طائرات الأباتشي تطلق النيران من الرشاشات الثقيلة فوق مدينة جنين فيما الدبابات تجتاحها من عدة مداخل ...) .

فيما بعد أعلن العدو أنه هدم منزل حمزة السمودي منفذ العملية ومنزل المطارد إياد صوالحة القيادي في

سرايا القدس الذي يقف وراء العملية والتي قدر لها أن تكون – إذا أخذنا في الاعتبار سائر المستويات في تقييم أي عمل عسكري مقاوم – الأخطر في انتفاضة الأقصى .

كانت العملية قد تسببت مباشرة بإلغاء حفل تكريم كان يزمع الصهاينة إقامته لتكريم الجنود الذين عاثوا دمارا ، كما امتلأوا رعبا في مخيم جنين الذي أصبح عنوانا على فضيحتهم وهشاشتهم ، وكان الحفل سيقام في نفس اليوم وقرب مكان العملية ، ثم فيما بعد أيضا أعلنت جماعة صهيونية أطلقت على نفسها اسم (الإشارة)، معظمها من الجنود والضباط ، عن مسيرة بالسيارات تنطلق في شوارع الكيان لتقف على أطلال الجنود الذين قتلوا على مفرق مجدو وأطلال حافلتهم، لينتقلوا بعد ذلك إلى حاجز سالم ليقيموا مهرجانا ، ويعلنوا عبر بياناتهم أن مطلبهم الأساسي الانفصال تماما عن الضفة الغربية وقطاع غزة (راديو العدو صباح يوم الاثنين ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٢م) .

بعد هذه العملية المميزة، وبعد عمليتين أخريين؛ إحداها لكتائب القسام ، والأخرى لكتائب الأقصى في مدينة القدس المحتلة، اتخذ العدو قرارا باحتلال جميع مدن الضفة الغربية وأطلق على حملته هذه اسم (الطريق الحازم) .

ومن بداية الحملة التي استهلها العدو فيما يتعلق بمدينة جنين بالتحقيق مع والدة الشيخ بسام السعدي المسنة عن مكان ابنها الشيخ (وهو من القادة السياسيين للحركة في جنين) ،وقد استشهدت أثناء ذلك يوم (١٩ / ٦/ ٢٠٠٢م) ، من بداية الحملة والمقاومة في جنين تتواصل بكل الوسائل حتى على مستوى الأطفال الذين يلاحقون الدبابات، يرمونها بالحجارة رافعين أصواتهم بالهتاف الدائم (طوالبة .. طوالبة)، والذين استشهد أحدهم وهو بسام غسان راغب السعدي (ابن أخ الشيخ بسام) يوم (٢٦/ ٦/ ٢٠٠٢م) أثناء رميه دبابات العدو بحجارته الصغيره، وفي اليوم التالي حمل الأطفال جثمانه الطاهر ملفوفا براية الجهاد الإسلامي وشيّعوه إلى مثواه الأخير ، في مشهد غاية في الإثارة رغم أنه للأسف لم يحظ باهتمام إعلامي كما يستحق.

كذلك عبر مقاتلو السرايا وأنصارها ومقاتلو كتائب الأقصى ومقاتلو كتائب القسام الذين كانوا أحيانا ينفذون هجومات تشترك فيها الأجنحة الثلاثة، وأحيانا سرايا القدس وكتائب الأقصى، وأحيانا أخرى أحد هذه الأجنحة وحده ، لكن برزت سلبية خلال هذه الفترة، فمثلاً عندما نفذ مجاهدان؛ أحدهما من

السرايا ، والآخر من كتائب الأقصى ، هجوما ضد وحدة من الجنود ترجلت من داخل دبابة على مشارف حي الدّبوس في الجهة الشرقية لجنين ، فبادرت جهة من كتائب الأقصى لإصدار بيان تتبنى فيه العملية ، وتقول أنها حدثت على أبواب المخيم ، ودون الإشارة إلى أنها كانت مشتركة ...وقد أسفر الاشتباك عن إصابة ثلاثة جنود صهاينة .

رغم ذلك استمرت السرايا تدعم العمل المشترك ، وتدفع به بوسائل متعددة دون أن تسمح لهذه السلبيات أن تطغى على علاقاتها بأي طرف مقاوم ...

بعد ذلك هاجمت قوة صهيونية مدرعة مخيم جنين ، فتصدى لها المجاهدون من سائر الأجنحة العسكرية بالإضافة لأشبال المخيم ، فاستشهد عبد الكريم ابن الشيخ بسام السعدي من السرايا بتاريخ ١/ ٩/ ٢٠٠٢م ، وأصيب أخوه عز الدين الذي تقدم محاولا إنقاذ شقيقه فوجده ينطق بالشهادتين ، ثم فاضت روحه إلى بارئها ، وكان عبد الكريم قد شارك في القتال في سائر الاجتياحات التي قام بها الصهاينة ضد جنين ومخيمها ، وكان يشارك في أعمال الحراسة رغم صغر سنه ، قبل ذلك كان يشارك في التظاهرات على حاجز الجلمة كما كان – دائما – يزور الشهيد القائد إياد الحردان في سجنه في جنين ، ويوفر له احتياجاته .

– في هذه الفترة قضى البطل معمر دراغمة شهيداً برصاص عدد من عناصر حركة فتح باليامون الذين قالوا إن ذلك تم عن طريق الخطأ ... وما زال كثير من الغموض يلف هذا الحادث المؤلم ، والشهيد معمر هو شقيق القائد الشهيد أيمن دراغمة وكان أحد أبرز نشطاء الحركة الميدانيين في طوباس .

– في ٥/٩/٢٠٠٢ أعلن العدو عن الإمساك بسيارتين إحداهما تحمل ٦٠٠ كغم من المتفجرات قرب الخضيرة ، وأن العبوات موصولة بهاتف خليوي ، وشنّ حملة تفتيش واسعة بمساعدة الطائرات ، لكنه لم يتمكن من إلقاء القبض على أحد ، واتهمت بعض مصادره الجهاد الإسلامي بالوقوف وراء المحاولة التي ادعى وزير خارجية العدو شمعون بيريس أنها لو تمت (لأسفرت عن انقلاب في الوضع الإقليمي سياسيا واجتماعيا) ، وكانت هذه الشحنة هي الأكبر التي يتم إدخالها إلى داخل مدن الكيان .

– وفي يوم الأربعاء ١٨/ ٩/ ٢٠٠٢م ، كسرت سرايا القدس جدار الوهم الذي خيل للبعض نتيجة أربعين يوما من الانتفاضة لم تشهد عمليات استشهادية ، أن هذه العمليات الاستشهادية قد ولى زمانها ،

الأمر الذي أغرى شارون أن يقف ليعلن أنه قضى على الإرهاب وعلى الإرهابيين، فكان أن أتاه الجواب ساطعا بوضوح الدم عندما فجر الاستشهادي البطل مرزوق مدحت غوادرة جسده الطاهر قرب مدخل أم الفحم بسيارة للشرطة الصهيونية التي جاءت تتحقق من هويته بعد أن أخبر عنه جاسوس من مدينة أم الفحم كان قد اشتبه به ، فقتل شرطي على الفور وجرح آخر، ولم يكن هناك سواهما داخل السيارة ، كما أصيب الجاسوس الذي كان قريبا من الشهيد ...

- بتاريخ ٦/ ١٠ / ٢٠٠٢م استشهد المجاهد البطل سامي جلامنه أحد أبطال السرايا أثناء اشتباك مع الدبابات الصهيونية التي كانت تقتحم جنين ومخيمها لتعانق روحه مع أرواح شهداء معركة الشجاعية الذين استشهدوا بنفس التاريخ من عام ١٩٨٧م ليطلقوا شرارة الانتفاضة الأولى ...

ومع قرب حلول الذكرى السابعة لاستشهاد قائد حركة الجهاد الإسلامي في فلسطينومؤسسها ؛ المفكر فتحي الشقاقي ، وبعد اشتباك مسلح شاركت فيه طائرات الأباتشي والدبابات، استشهد مجاهدان من السرايا هما : محمد موسى من قرية مركة ، ووسيم سباعنة من قباطية ، وأصيب معهما مجاهد ثالث هو رياض نزال من قباطية تم اعتقاله .

رداً على مجازر العدو في الشجاعية وخانيونس ورفح، وتكريماً لشهداء السرايا في جنين، وإحياءً لذكرى الشقاقي السابعة، وجهت السرايا ضربة صاعقة للعدو ، حين فجر البطلان؛ أشرف الأسمر ،ومحمد حسنين من جنين سيارتهما المفخخة بحافلة عسكرية صهيونية في مفترق كركور - الخضيرة ليكون الحصاد أكثر من أربعة عشر قتيلاً وأكثر من خمسين جريحاً .

جنّ جنون العدو بعد (مصيدة النار) في كركور، فجيّش حملة كبيرة على مدينة جنين، أعلن رسمياً أنها الأكبر منذ حملة السور الواقي، وحدد لها هدفين : تدمير البنية التحتية للجهاد الإسلامي، وتصفية قائد السرايا في الشمال البطل اياد صوالحة، الذي حمّله العدو مسؤولية العملية وغيرها من العمليات التي اقضت مضجعه .

سبعة عشر يوماً وفرقة جولاني الصهيونية المتخصصة مدعومة بعشرات الدبابات والطائرات والوحدات الخاصة ، وهي تمشط السياط والبلدة القديمة والمراح والمخيم ومعظم أحياء جنين .. حتى أنها فتشت بعض البيوت ثلاث مرات، حتى كانت مشيئة الله التي لا رادّ لها ليرتقي فارس السرايا البطل الحبيب اياد

صوالحة إلى جنات الخلد بعد معركة رمضانية بدأت بعد منتصف الليل حتى السحور اعترف العدو بضراوتها وبسقوط ثلاث جنود جرحى .

بعيداً عن جنين جاء رد السرايا سريعاً جداً ، وفي ذات اليوم قتلت سرايا القدس ضابطاً صهيونياً ، وأصابت آخر برتبة نقيب في غزة ...

وبعد ستة أيام كان الزلزال المدوي هناك على أرض خليل الرحمن حيث خاضت سرايا القدس معركة استشهادية سقط خلالها القائد العسكري الصهيوني لمنطقة الخليل العميد درور فاينبرغ -وهو أعلى رتبة عسكرية تسقط خلال انتفاضة الأقصى- وسقط معه ثلاثة ضباط آخرين، وأكثر من تسعة جنود صهاينة، وعشرات الجرحى كلهم من الجنود .. كانت المعركة متقدة واثنان من أبطال السرايا الثلاثة ما زالوا يقاتلون في (زقاق الموت) ، ليصدح صوت الأمين العام للجهاد الإسلامي عبر الجزيرة والمنار معلناً : (قائد بقائد وليس كل الرؤوس سواء .. نم قرير العين يا اياد .. لقد توقع العدو أن ترد السرايا في الشمال فجاءتهم سرايا القدس في الجنوب) .

لم تكد تمر ساعات على معركة الخليل الاستشهادية حتى كان العدو يغير على عاصمة الجهاد ثأراً لقتلاه في الخليل، فاستشهد المقاتل البارز في السرايا : إبراهيم السعدي ، ابن الشيخ بسام ، وشقيق الشهيد عبدالكريم ، وابن عم الشهيد الطفل بسام غسان السعدي ، وحفيد الشهيدة بهجة السعدي . كان لهذه الملحمة الجهادية الرائعة وقع كبير جداً على الرأي العام الشعبي الذي وجد في قادة الجهاد الإسلامي مثالاً عجيباً في الشهادة والقدوة الحسنة .

وفي ٦/١٢/٢٠٠٢م ، وبعد عدة حملات مسعورة على السيلة الحارثية لاعتقاله تمكن العدو من اغتيال الشهيد المجاهد البطل عبد الهادي عمر العمري أحد الأبطال البارزين في كمين مخيم جنين الشهير الذي أوقع في حينه ثلاثة عشر جندياً صهيونياً خلال معركة المخيم الكبرى.

وقبل أن تختتم سنة ٢٠٠٢ أيامها وشهورها كان العدو يشن هجمة كبيرة على بلدة قباطية مستهدفاً قائدها الأبرز في سرايا القدس الشيخ الشهيد حمزة أبو الرب (أبو إسلام) ، حيث قاتل الشيخ الأربعينيّ قتال الأبطال ورفض الاستسلام في ملحمة جهادية مشابهة تماماً لملحمة القائد إياد صوالحة ... أستشهد

الشيخ بعد أن أوقع خمس إصابات في صفوف الوحدات الخاصة أحدها خطرة جداً ، فكان ثأر السرايا أسرع من البرق بعد ذلك بيوم واحد هناك أيضاً على أرض خليل الرحمن برصاص بطلين من أبطال السرايا : أحمد فضة ومحمد شاهين من بلدة دورا ، اللذان اقتحما مستوطنة (عتنائيل) مستهدفين المعهد الديني التلمودي فقتلوا أربعة من جنود الاحتلال ومستوطنيه، وأصابو أكثر من عشرة ، ليعلن قائد الجهاد الدكتور .رمضان عبد الله عبر الجزيرة : (لقد بعث لنا العدو برسالة ، وها قد أرسل له مجاهدونا الرد) .

– و قبل أن ينتصف الشهر الأول لعام ٢٠٠٣م، كانت السرايا ، ومن مسقط رأس حمزة (ابو إسلام) –قباطية الثأر– ترسل اثنين من فلذات كبدها : الاستشهاديين البطلين (ربيع زكارنة وهاني زكارنة) قرباناً لله ثأراً لقائدهما ، واللذان اقتحما مستوطنة (قادش) القريبة من جنين مما أسفر عن مقتل حارس المستوطنة وإصابة خمسة جنود صهاينة .

بعد ذلك وقبله، شن العدو هجمات عديدة على منطقة جنين، استهدفت في –غالبيتها– نشطاء الجهاد الإسلامي ؛ في إحداها كانت حملة خاصة على المخيم، شارك فيها الطيران وأرتال الدبابات لاعتقال المجاهد عبدالله الوحش ابرز وجوه المقاومة الشعبية المسلحة عن سرايا القدس ، خلالها قتل العدو مسؤولاً بارزاً في الأمم المتحدة مما خلق حملة تنديد عالمية للعدو ، كما أصيبت في تلك الحملة ناشطة إيرلندية تقيم في المخيم منذ مدة للتضامن مع الشعب الفلسطيني . كما شن العدو حملة أخرى تصدرت وسائل الإعلام استهدفت حي المصاروه، قرب الحسبة القديمة حيث دارت اشتباكات عنيفة جداً تم خلالها اعتقال الناشطين في الجهاد : مراد حسنين ومحمد عقل . كما شن العدو حملات عديدة لاعتقال الشيخ بسام السعدي القائد السياسي والاجتماعي في الجهاد الإسلامي، والشيخ حمزة أبو الرب في قباطية والذي هدم العدو منزله لدوره المسؤول في السرايا ، والذي استشهد فيما بعد كما اسلفنا .

وإجمالاً لا يكاد يمر أسبوع دون أن يعلن العدو عن إصابات في صفوف جنوده يكون للسرايا دور ريادي فيها ، ومن الجدير بالذكر أن اعتقالات واسعة نفذت في صفوف الجهاد الإسلامي كما في صفوف غيرها من قوى المقاومة ، وأعلن العدو أنه ألقى القبض على قياديين ونشطاء مثل طارق عز الدين، ومحمد

طوالبة، وطارق قعدان، ونظام صوافطة، ومحمد القاسم، ومحمد أبو طبيخ، ومحمد جرار، ومحمد جرادات، وسعيد الطوباسي، وعبدالله الوحش، ومراد حسنين، ومحمد عقل وغيرهم ...

حقاً لقد كان الشيخ محمود حاضراً دائماً في كثير من عمليات السرايا قبل استشهاده ، ولم يتراجع هذا الحضور حتى بعد استشهاده ، إذ أعطاه من دمه روح التواصل ، ومن روحه فرح الانطلاق الواعد الذي لا ينكسر ...

نسأل الله أن يبارك هذه المسيرة ،وأن يبارك عطاءها ،وان يرفع من شأنها ،وان ويعظم الثواب... إنه ولي ذلك . .

* * *

بدل الخاتمة

كلمات تتأهّب للّقاء، عنوانها ...

(رصاصك يكسر كل حصار)

مولاي أبا عبدالله ، هل ذبحوا وريدك قبل ارتواء الفجر من شهد الجراح ... يا تسابيح المخيم، ورسائل الصمود من الكرمل العنيد ... يا ذكريات كربلاء حين ينتصر الدم على السيف ، ويلاطم الكف المبتور ألف مخرز ومخرز .

الحرب كرّ ثم كرّ ... فلسفة جيل طوالبي ... فلسفة اسم من زمن البدايات والعبق الأول للسرايا ، وما يختزل من مخيم ضخ في خلايانا الصمود .

حاضر في كل مواجهة ... ناثر في أزقة الفقر رايات نصر وإباء ... بكلّه خرج، ومدركٌ إلى أين يمضي ... عبّد بالقرآن دربه وبالبندقية هدفه ... واستأنس بالموت فكان مثالاً للشموخ والإقدام.

أحدق في عينيك فيقشعر منّي البدن ... تحملني نظراتك نحو (بدر) ، فأرى الملائكة تقاتل معك ... وأميل نحو (أُحد) فأراك تستنشق من (جنين) رائحة الجنة ... يحملني هذا الشموخ اليك فأرى فيك شيئاً من كربلاء ، لا بل كلّ كربلاء . . . تتسارع فيك حمية الملايين المصطفة طابورين تعبر وسطهما متفرّساً في الوجوه، فتهتف وأنت تسرّع الخطو مليبا نداء الحسين: ألا هل من ناصر ينصرنا .

حرثت حرثك يا محمود ، زرعت الأرض موتا وشظايا ... وامتد صفيح مخيمك الناري مرايا ... قصصا ودروسا وحكايا .

محمود ، ما كتب اليراع ملاحم إلاّ وأنت وسامها ... صبت يداك الموت فوق رؤوسهم ... محمود في كل ثانية تلاحقهم يهود ... عرين ضم آلاف الأسود .

كل فرسان المخيم يحفظون ... فأنت المهند والسنان ... بك أرض المخيم تتقد ، وبه أفئدة تخبئك في الشغاف ... وألسنة تلهج لك بالدعاء ... وأنت أنت ... هامة تشرع إصرارها للطائرات ... ودم يكشف للأمة سر الصمود والانتصار .

روحك قد بذلت لله ... البيت تفجر لله ... الأخوة والأهل وعمرك لله ... ربح البيع أبا عبدالله، ربح البيع أبا عبدالله .

طوال الوقت تعلمنا يا محمود ، أنا بالفطرة كنّا أبرارا ... وبالثورة صرنا احرارا ... شنقْنا الموت، وقرأنا صحيفة الواجب، وكان الواجب أن نمضي، فمضيت ... بطل يتعمم بالقدس، وسلاحك صمت وانفجارات ... وحولك ربّيونَ ما وهنوا ... وعرابة تؤسس للنهوض ... وطمون تنثر الورد في درب المقاتل . . . والسيلة ربيع الراغب أول ثارات المخيم.

أتحدّثنا كم كانوا أقزاما في عينك يا محمود؟ فخطوط النار بذلك تشهد ... رائحة البارود تشهد ... أشلاء تتطاير ما زالت تشهد ... ليل كحّل عينيه بإشراقة وجهك ... وجموع تنتظر الفرحة، كل أولئك يشهد أن الصبح تنفس من كفيك سلاحا وبشائر ... وإذا عسعس ليل الأمة فإن دماك تضيء العتمة فجراً ، وتملأه ذخائر .

كيف لنا اختصار قلبك المقاوم يا محمود ، ووجهك فوق وجوه الفرسان مظلة ورد . وكلما مر طيفك يا محمود ، يبتسم المخيم ... فهنا زرعت بذور الثورة ... وهنا آخر منعطف ألقيت فيه دماءك ... وبعد مخيمك المذبوح أبا عبدالله، فلا بد قِصاص ... وليس خيار غير ثبات القلعة والنار ... ورصاص يكسر ألف حصار ... وبذا صرخت كل الأقدار ... يا قبلة كل الثوار ... يا محمود الراسخ، لم يتزحزح منك قرار ... كم يشبهُ فعلك بالليل هبوب الإعصار ؟

ترى سيدي، أكان للمخيم أن يحتل هذه الرمزية لولاك ... أكان للمخيم أن يلم جراحات الأمة لولاك ... يا شاهرا سيف الإمام في وجه خيبر ثائرا ، ليضيء محرابا بساح القدس خانته المنابر .

أبا عبد الله ، ماذا نفعل إن سألت عنك (دعاء) ؟ ، أو نهضت أشلاء من تحت الأنقاض تفتش عن أشلاء؟ أنجيب بأنك مرتحل ؟ كلا ... يا محمود الراسخ في الوجدان شموخا وإباء ...

باق معنا يا محمود . . .

باق في السراء وفي الضراء . . .

الملاحق

ملحق رقم (١)

(موجز سريع لأبرز بطولات سرايا القدس في فلسطين عامة من بداية انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠/٩/٢٨م وحتى ٢٠٠٢/١٢/٣١م)

١- عمليات الشهور الأولى (١٠-١١-١٢/٢٠٠٠م) من انتفاضة الأقصى

- قتل جندي صهيوني في قطاع غزة في عملية إطلاق نار ، تبنتها السرايا بعد وقوعها بعدة أيام .
- العملية الاستشهادية الأولى في انتفاضة الأقصى (الاستشهادي الأول : نبيل العرعير) ، أسفرت عن إصابة أربعة جنود صهاينة حسب المصادر الصهيونية .
- السيارة المفخخة الأولى في انتفاضة الأقصى ، كانت في القدس ، وكانت بدون استشهادي ، وأسفرت عن مقتل شابة صهيونية هي ابنة زعيم حزب المفدال المتطرف والوزير في حكومة باراك ، كما قتل أيضاً زوجها المحامي ، وأصيب عشرة آخرون .

٢- عمليات الشهور الأولى (١-٢-٣-٤) من عام ٢٠٠١م :

- تفجير أكثر من خمس سيارات مفخخة بدون استشهاديين في القدس ، كل واحدة على حدة على مدار الشهور الأولى لعام ٢٠٠١م ، أسفرت عن عشرات الإصابات في صفوف الصهاينة .
- مقتل ثلاثة جنود صهاينة من سلاح الهندسة وإصابة آخرين في قطاع غزة ، في شرك عبوات ضمن عملية استدراج معقدة تم تفجير العبوة الحقيقية عبر هاتف خليوي ، وكانت العملية الأولى من نوعها .
- إصابة ضابطي مخابرات بصورة بالغة جداً في غور الأردن .
- إصابة مختار مستوطنة شافي شومرون بجراح خطيرة .

٣- العمليات الاستشهادية الأولى في شهور (٥-٦-٧) من عام ٢٠٠١م؛

-عملية الخضيرة الأولى الاستشهادية ، نفذها الاستشهاديان (المزدوج) : علاء الصبّاح - أسامة أبو الهيجاء ، أسفرت عن مقتل صهيوني واحد وجرح أكثر من ستين .

-عملية (بنيامينا-حيفا) الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي :نضال أبو شادوف ، أوقعت ثلاثة جنود قتلى وأكثر من عشرين إصابة .

-عملية (كريات موتسكين-حيفا) الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي : محمد نصر بكر ، أوقعت أكثر من خمسين إصابة .

-كما وقعت في هذه الفترة عملية قنص جندي صهيوني عن بعد في بيت لحم أسفرت عن مقتله .

-وأيضاً تم قتل اثنين من المستوطنين وجرح ثالث قرب الخليل .

٤-الهجمات القتالية والاستشهادية في شهور (٨-٩-١٠-١١) من عام ٢٠٠١م:

- هجوم غور الأردن الذي أوقع ثلاثة مستوطنين قتلى وإصابة أربعة آخرين .
- هجوم غور الأردن الثاني في نفس الفترة ، أوقع مجندة قتيلة وإصابة زوجها .
- قتل جنديين صهيونيين في عملية استهدفت معسكراً قرب طولكرم .

-عملية بيت ليد الاستشهادية الثانية- الأولى قبل انتفاضة الأقصى لهذا لم نذكرها- نفذها الاستشهادي عبد الفتاح راشد بسيارة مفخخة ، أسفرت عن عشر إصابات .

- عملية بيسان الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي أحمد دراغمة ،أوقعت ضابط مستوطنة شلوخوت قتيلاً .

- عملية الخضيرة الاستشهادية الثانية ، عملية إحياء ذكرى الشقاقي السادسة ، نفذها الاستشهاديان (المزدوج) : يوسف سويطات-نضال الجبالي ، أسفرت عن ستة قتلى صهاينة ، وإصابة أكثر من أربعين.

- إصابة ثلاثة مستوطنين في تفجير مصنع في مستوطنة كتسير .

٥- عمليات وهجمات نهاية عام ٢٠٠١م وبداية عام ٢٠٠٢م شهري« ١٢-١ » :

- عملية الخضيرة الثالثة الاستشهادية (معسكر ٨٠) ،نفذها الاستشهادي : سامر شواهنة ، أوقعت أربعة قتلى صهاينة، وأصيب فيها أكثر من عشرة .
- عملية العفولة الاستشهادية المشتركة ، نفذها الاستشهاديان (المزدوج) : عبد الكريم أبو ناعسة- مصطفى أبو سريّة ، أسفرت عن قتيلين صهاينة وأكثر من عشرين إصابة .
- قتل جندي صهيوني وإصابة آخرين بجراح خطرة قرب باقة الغربية .
- عملية اطلاق نار في القدس ، نفذها الاستشهادي يوسف عايش، وأسفرت عن جرح خمسة صهاينة.
- عملية التلة الفرنسية الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي حاتم الشويكي ، وأسفرت عن قتيلين صهاينة وجرح أكثر من ثلاثين ،كثير منهم بحال الخطر .
- مقتل مستوطنة صهيونية هي ابنة حاخام مستوطنة ألفي منشه وإصابة مستوطنين بجراح .
- عملية فندق الملك جورج الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي داود أبو صويّ ، أسفرت عن بضع إصابات.
- عملية (الشك بست-حيفا) الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي نمر أبو سيفين ، أوقعت أكثر من خمسة عشر جندياً صهيونياً بإصابات مختلفة .
- عملية اختراق الشاباك الصهيوني الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي مراد أبو العسل ، أوقعت اثنين من ضباط المخابرات .

٦- عمليات وهجمات شهري(٢-٣) من عام ٢٠٠٢م :

- عملية تل أبيب الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي صفوت أبو عيشة، وأسفرت عن عشرين إصابة .
- قتل قائد الوحدات الصهيونية الخاصة في الضفة الغربية العقيد (ايل فايس) خلال حملة على مجاهدي السرايا في قرية صيدا ، أسفرت عن استشهاد أحد مجاهدي السرايا واعتقال آخر .
- عملية العفولة الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي عبد الكريم طحاينة ، أسفرت عن قتيل صهيوني واحد وإصابة أكثر من سبعة عشر .

- عملية وادي عارة الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي رأفت أبو دياك ، أسفرت عن ثمانية قتلى صهاينة منهم خمسة جنود ، وإصابة أكثر من ثلاثين .
- مقتل شابين من المستوطنين قرب تقوع طعناً بالسكاكين .
- قتل ستة جنود ومستوطنين صهاينة في هجوم استشهادي مزدوج، نفذه فلسطينيان تسللا من لبنان ينتميان إلى حركة الجهاد الإسلامي ، وتلقيا الدعم اللوجستي من حزب الله . حسبما أكد العدو بعد تحقيقات مكثفة أجراها دامت عدة شهور ، جاء ذلك على لسان قائد عسكري صهيوني كبير، ونشره موقع الجيش الصهيوني على الشبكة الإلكترونية يوم ٣/١/٢٠٠٣م، كما جاء ذلك في جريدة الحياة يوم ٤/١/٢٠٠٣م . إلا أن حركة الجهاد لم تعلن تبنيها الرسمي للعملية لأسباب لم تتضح بعد .

٧- عمليات ومعارك نيسان ٢٠٠٢م :

- مقتل أكثر من ستة وعشرين ضابطاً وجندياً صهيونياً وجرح أكثر من مائة وأربعين في معركة جنين الكبرى التي خاضتها السرايا بقيادة الجنرال محمود طوالبة وبمشاركة العديد من أبناء الفصائل الجهادية الأخرى
- عملية (هدم السور الواقي) : (الياجور – حيفا) الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي راغب جرادات، أسفرت عن مقتل أكثر من عشرة ضباط وجنود صهاينة وإصابة أكثر من عشرين .
- مقتل جندي صهيوني وإصابة آخرين في غزة .
- مقتل مستوطنين صهيونيين في مستوطنة نتساريم في القطاع طعناً بالسكين.
- مقتل جندي صهيوني وإصابة آخر قرب منطقة (أيرز) في القطاع بقنبلتين يدويتين

٨- عمليات شهري (٥-٦) من عام ٢٠٠٢م :

- عملية العفولة الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي محمد حمدية أصيب فيها جنديان صهيونيان .
- عملية (محرقة الجنود) ؛ (مجدو) الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي حمزة السمّودي بتفجير سيارته المفخخة بحافلة عسكرية صهيونية ، أسفرت عن تسعة عشر قتيلاً صهيونياً ،منهم أربعة عشر جندياً ، وأصيب فيها أكثر من ثلاثين .

٩- عمليات شهور (٧-٨-٩) من عام ٢٠٠٢م :

- مقتل جندي صهيوني قنصاً قرب جبل (أبو غنيم) في القدس .
- إصابة اثنين من المستوطنين بين الخليل والقدس في عملية تبعتها مطاردة ساخنة طوال الليل استشهد منفذوها من الخليل .
- قتل جندي صهيوني وإصابة آخر بجراح بالغة في نابلس .
- تفجير مدرعتين صهيونيتين من طراز نجم ١ ، وإصابة ثلاثة جنود كانوا بداخلها إصابات بالغة اشتعلت فيهما النيران فترة طويلة قرب رفح .
- عملية أم الفحم الاستشهادية ، نفذها الاستشهادي مرزوق غوادرة ، أسفرت عن مقتل شرطي صهيوني، وإصابة آخرين أحدهما العميل الفحماوي الذي أبلغ عن شكوكه بالاستشهادي ، وقد جاءت هذه العملية بعد أكثر من أربعين يوماً من هدوء العمليات مما جعل العدو يظن بأنه أخمد جذوة الانتفاضة

١٠- عملية إحياء ذكرى الشقاقي السابعة في شهر ١٠/٢٠٠٢م :

- عملية (مصيدة النار) الخضيرة الرابعة الاستشهادية قرب مفترق (كركور) ، نفذها الاستشهاديان : محمد حسنين وأشرف الأسمر ، بتفجير سيارتهما المفخخة -جيب كبير- بحافلة صهيونية عسكرية ، أسفرت عن أكثر من أربعة عشر قتيلاً صهيونياً ، معظمهم من الجنود ، وإصابة أكثر من خمسين بجراح، كثير منها خطرة .

١١- عمليات ومعارك شهر ١١/٢٠٠٢م :

- إصابة ثلاثة جنود صهاينة في معركة استشهادية دامت عدة ساعات من منتصف ليل الخامس من رمضان حتى سحوره ، استشهد فيها فارس السرايا القائد اياد صوالحة في جنين .
- مقتل ضابط صهيوني ، وإصابة ضابط آخر في شرك عبوات ناسفة مموهة قرب نتساريم في القطاع.
- معركة (زقاق الموت) الاستشهادية في الخليل ، نفذها الاستشهاديون : ولاء سرور ، ومحمد المحتسب ، وأكرم الهانيني ، أوقعت ما لا يقل عن أربعة عشر جندياً صهيونياً ، منهم أربعة من كبار الضباط،

أحدهم قائد منطقة الخليل العميد (درور فاينبرغ) ، وهو أعلى رتبة عسكرية تسقط خلال انتفاضة الأقصى ، وإصابة أكثر من خمسة عشر جندياً آخرين .

-العملية البحرية الاستشهادية ، وهي الأولى من نوعها ، نفذها الاستشهاديان (المزدوج) :جمال اسماعيل ومحمد المصري ، أسفرت عن غرق دبور بحري صهيوني عسكري، واعترف العدو بإصابة أربعة من جنود بحريته .

-إصابة ضابطين صهيونيين بجراح بالغة جداً بتفجير عبوة ناسفة كبيرة في جيب صهيوني قرب شويكة.

١٢-عمليات شهر ١٢/٢٠٠٢م :

-مقتل حاخام مستوطنة إيلي سيناي وإصابة اثنين من المستوطنين في هجوم ناري في قطاع غزة .

-إصابة خمسة جنود صهاينة ، أحدهم جراحه بالغة في معركة استشهادية دامت عدة ساعات، استشهد فيها شيخ السرايا القائد حمزة أبو الرب (أبو إسلام) في قباطية .

-مقتل أكثر من أربعة جنود ومستوطنين صهاينة، وإصابة عشرة آخرين في هجوم استشهادي على مستوطنة عتنائيل قرب الخليل ، نفذه الاستشهاديان :أحمد الفقيه ومحمد شاهين .

وهناك عشرات العمليات الاستشهادية والقتالية للسرايا في قطاع غزة لم تأخذ نصيبها الإعلاميّ بسبب محدودية خسائرها ، لم يرد ذكرها ،كما لم يرد ذكر عملية (قادش) الاستشهادية المزدوجة قرب جنين، والتي نفذها الاستشهاديان (هاني وربيع زكارنة) انتقاماً لاغتيال القائد (حمزة أبو الرب) ، والتي وقعت خلال إعداد مادة هذا الكتاب ،ليصل مجموع القتلى الى أكثر من (١٥٠) قتيلاً صهيونياً ، منهم أكثر من مائة ضابط وجندي، وما لا يقل عن (٧٠٠) جريح صهيوني، أكثر من نصفهم من العسكريين، علماً بأن نتائج هذه العمليات جميعها جاءت حسب الاعتراف الصهيوني الرسمي ،وبذلك فان سرايا القدس تتبوأ في انتفاضة الاقصى ، وبجدارة، المركز الاول في المقاومة الباسلة ، وفي استهداف العسكريين الصهاينة.

* * *

ملحق رقم (٢)

« لوائح شرف لقادة الجهاد الإسلامي/الجناح العسكري؛ الشهداء والأسرى في منطقة جنين الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب صراحة او ضمناً »

لائحة شرف(١) :

الشهيد الأسطورة

القائد عصام براهمة

من عنزة ، استشهد وهو خاطب

مؤسس عشاق الشهادة؛ الجناح العسكري للجهاد الإسلامي في منطقة جنين في الانتفاضة الأولى .

يقف خلف سلسلة عمليات عسكرية نوعية امتدت من شارع جنين نابلس الحاذي لقريته حتى رام الله. سقط فيها عشرات الصهاينة بين قتيل وجريح .

قضى في سجون الاحتلال أكثر من خمس سنوات .

صوّام قوّام ، ذكر شقيقه أنه عندما كان يقترب من باب غرفة عصام كان يسمع نشيجه وهو يناجي الله عز وجل .

كان يمارس الرياضة بشدة وعنف .

كان من قادة فتح ، ثم تركها بعد أن درس لسيد قطب ، وبعد محاورات طويلة مع عدد من قادة الجهاد

الإسلامي .

كان ممن يكثرون المطالعة حيث قرأ بالإضافة لسيد قطب لمالك بن نبي وراشد الغنوشي وغيرهما ...

كان يتمتع بلياقة بدنية ومهارة عسكرية ممتازة .

تعرض لحملات تحريض ومؤامرات كبيرة داخل السجن وخارجه ، لكنه تجاوزها - بفضل الله سبحانه- بصبر وعزيمة ...

طلب الشهادة حتى نالها بجدارة في معركة مشهودة دامت تسع ساعات ، وهبه الله خلالها كرامات سمع بها العالم أجمع ، حيث تمكن من قتل قائد الوحدات الخاصة والعديد من أفرادها وإصابة العديد منهم في معركة استخدم خلالها العدو للمرة الأولى صواريخ مضادة للدروع ضد أفراد ...

* * *

لائحة شرف(٢) :

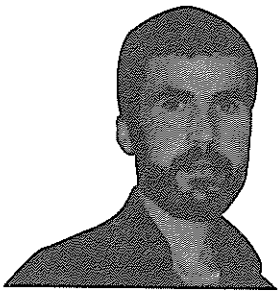

الشهيد العنيد

القائد صالح طحاينة

من سيلة الحارثية

كان من الرعيل الأول الذي قاد بدايات الجهاد الإسلامي في منطقة جنين في منتصف الثمانينات ، كما كان له شرف قيادة العمل العسكري للجهاد الإسلامي منذ بدايته ...

قضى حياته كلها مع بدء الانتفاضة الأولى منذ عام ١٩٨٧م حتى استشهاده عام ٩٦م بين المطاردة والسجون، فكان إما مطاردا وإمّا سجيناً ...

قضى في سجون الاحتلال أكثر من سبع سنوات موزعة على عدة (حبسات) بين النقب وجنيد وجنين ونابلس.

تعرض للمطاردة ثلاث مرات .

شارك في تنفيذ العديد من العمليات العسكرية أبرزها عملية إطلاق نار عن قرب من مسدس على مستوطن من (قاديش) ، كان يعمل ضابطا في حرس الحدود ، ولم يتركه صالح إلا وقد غلب على ظنه أنه قتله ...

شارك الشهيد القائد عصام براهمة في تأسيس الجهاز العسكري للجهاد الإسلامي في منطقة جنين في فترة ٩١م. – ٩٣م. والذي أطلق عليه (عشاق الشهادة) ...

اعتقل المرة الأخيرة في كمين للقوات الخاصة الصهيونية قرب قرية مصمص الواقعة داخل الخط الأخضر حيث أصيب إصابة بالغة بالرئة ...

تعرّض لتحقيق عنيف، وبقي في زنازين التحقيق في سجن جنين ستة شهور، ولم يخرج منها إلا بعد أن حكمته المحكمة الصهيونية بالسجن ثلاثا وثلاثين سنة .

تمكن -بفضل الله- من الهرب من السجن بعد عملية تبديل مركّبة في جنيد، ثم في النقب ...

أصبح المطلوب رقم (١) لأجهزة أمن (عرفات - بيريس) حتى نال الشهادة اغتيالا بطريقة بشعة، وبعد تعذيب جسدي آثم في مدينة رام الله .

له شقيق استشهادي (سليمان)، وآخر أسير (ابراهيم)، وابن عم استشهادي (عبد الكريم) ...

عُرف صالح بالتعبد الكثير؛ ذكراً، وقيام ليلٍ، وصيام نوافل، وخاصةً في فترة السجن الأخيرة وفترة المطاردة الأخيرة التي استشهد فيها ...

* * *

لائحة شرف(٣) :

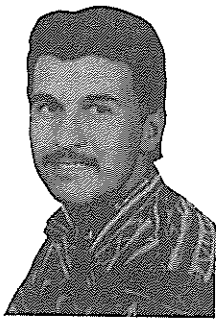

الشهيد الطاهر

القائد أنور حمران

من عرّابة ، لديه ثلاثة أطفال

كان من الرعيل الأول الذين قامت بدايات الجهاد الإسلامي في منطقة جنين على أيديهم في بداية الانتفاضة الأولى رغم أنه كان في مقتبل العمر (أقل من ١٥ سنة)

قاد حركة الجهاد الإسلامي في منطقة جنين عامي ٩٧ +١٩٩٨م .

عمل مسؤولا في الساحة الأردنية في الحركة عندما كان يدرس هناك (درس الصيدلة) .

أبعده النظام الأردني قبل تقديمه الامتحانات الأخيرة للحصول على شهادة التخصص ...

قضى في سجون الاحتلال ما يقارب خمس سنوات موزعة على عدة فترات اعتقال .

قضى في سجون السلطة أكثر من عامين متنقلا بين سجون جنين ، أريحا ، نابلس ، جنيد ...

له شرف توفير الأجواء التي مهدت للانطلاقة المباركة لسرايا القدس في شمال الضفة ، وكان له شرف مماثل في عملية محني يهودا الاستشهادية في أيام أوسلو السوداء ...

نال الشهادة اغتيالاً في نابلس حيث كان من أوائل القادة الذين اغتالهم العدو في الانتفاضة ...

* * *

لائحة شرف(٤) :

شهيد الإصرار والتحدي

القائد إياد الحردان

من عرّابة

من مجاهدي الرعيل الأول للجهاد الإسلامي في منطقة جنين منذ بداية الانتفاضة الأولى حيث لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره .

عمل مع الشهيد عصام براهمة وتلقى التدريب على يديه .

قضى في سجون الاحتلال أكثر من أربع سنوات .

كان له مع سجون السلطة حكايات تطول، فقد دخلها سبع مرات، وتعرض فيها لتعذيب شديد، وكان يعاني جراء ذلك من انزلاق في فقرة من فقرات العمود الفقري.

له فضل كبير بوضع اللمسات الأساسية لانطلاق سرايا القدس في منطقة جنين.

كان لشخصيته ، ومن ثم لاستشهاده، تأثير كبير على العديد من قادة السرايا الذين برزوا فيما بعد، ومن ضمنهم القائد الشهيد محمود طوالبة الذي انتظم على يديه في السرايا .

كان العدو يحسب له ألف حساب حتى وهو في سجون السلطة ، وقد بذل العدو جهوداً خاصة لاغتياله عبر تفخيخ الهاتف العمومي لمبنى المقاطعة حيث كان يعتقل.

كان مسؤولاً عن عدة عمليات، وعن تشكيل عدة مجموعات قبل انتفاضة الأقصى .

عمل مع الشهيد القائد صالح طحاينة في فترة عام ٩٦م. وبعد استشهاد صالح تعرض للملاحقة من الاحتلال، وأصبح مطارداً ...

كان لاستشهاده، وهو سجين، أثر واسع جدا على مشاعر الناس التي هبت ثأرا لدمه ، وقد ترك ذلك آثاره على مجمل مسيرة سرايا القدس في فلسطين، والتي كان من أبرز محطاتها معركة مخيم جنين .

* * *

لائحة شرف(٥) :

الشهيد الصلب

القائد محمد بشارات

من طمون ، استشهد وهو خاطب

مقاتل عنيد له فضل كبير في الزخم الجهادي للسرايا في بداياتها .

قضى في سجون الاحتلال سنوات عديدة .

قضى في سجون السلطة ما يقارب السنتين لدوره السابق في كتائب القسام .

عاهد الشهيد أنور حمران على حمل سلاح الجهاد الإسلامي والقتال تحت رايتها ، وأوفى بوعده رغم الضغوطات الكثيرة والإغراءات الأكثر .

شن عدة هجمات مع مقاتلي السرايا في الغور وطريق نابلس–جنين، حيث قتل وأصيب العديد من الصهاينة.

تبعه شقيقه يوسف على درب الجهاد الإسلامي الذي قاد العديد من العمليات في منطقة الخليل حتى استشهاده، حيث كان هناك –اصلاً– للدراسة في المعهد .

نال الشهادة بصواريخ الأباتشي التي قصفت سيارته مع ابن عمه وليد وزميلهما في الجهاد سامح أبو حنيش.

* * *

لائحة شرف(٦) :

الشهيد القرآني
القائد أيمن دراغمة أسد الغور
من طوباس ، متزوج ولم يُرزق بأطفال

يحفظ كتاب الله كاملاً ، حيث أكمل حفظه في سجن تلموند .

كان يداوم على قيام الليل وصيام التطوع .

كان يمارس الرياضة الصباحية حتى وهو صائم .

كان في عام ٩٩م أقدم معتقل إداري في سجون العدو حيث قضى ست سنوات إدارياً .

قضى أيضا غيرها في سجون الاحتلال ما يقارب خمس سنوات على فترتين .

نفذ العديد من الهجمات القتالية ضد جنود العدو ومستوطنيه وخاصة في الغور حيث قتل في إحداها ثلاثة مستوطنين وجرح أربعة ، وكان معه الشهيدان؛ محمد ياسين ويوسف سويطات، وفي أخرى سقطت مجندة صهيونية وجرح زوجها .

قاد ووجه وأوصل الاستشهادي أحمد دراغمة لمستوطنة شلوخوت قرب بيسان مشيا على الإقدام حيث سقط ضابط أمن المستوطنة قتيلا .

قضى خلف قضبان الأمن الوقائي أكثر من أربعة أشهر مع القائد الشهيد الشيخ محمود .

كان له تأثير كبير في صقل الشخصية القيادية للشهيد طوالبة حيث قضيا معا فترة الاعتقال في سجون الأمن الوقائي .

له شقيق استشهد قبله وشقيق استشهد بعده (معمر) .

تمنى الشهادة بصدق فنالها مع شقيق زوجته (فؤاد) خلال تنفيذ عملية جهادية.

* * *

لائحة شرف(٧) :

بطل العمليات النوعية

الشهيد القائد محمد ياسين العانيني

من عانين ، متزوج ولم يُرزق بأطفال

صبور ، سكوت ، حازم.

قضى في سجون العدو ست سنوات لدوره الريادي في الجهاد الإسلامي في الانتفاضة الأولى .

تولى عملية توصيل العديد من الاستشهاديين للداخل خاصة بطل بنيامينا نضال أبو شادوف .

قاد ونفذ العديد من العمليات النوعية، أبرزها عملية الغور مع أيمن ويوسف، والتي أودت بحياة ثلاثة صهاينة وجرحت أربعة آخرين . كما نسق ووجه واختار منفذي عملية الخضيرة الناجحة التي نفذها الاستشهاديان؛ يوسف سويطات ونضال الجبالي.

شارك في الدفاع عن مخيم جنين في هجوم آذار مع القائد ثابت المرداوي .

نال الشهادة في قرية سيريس حيث قاتل ببسالة ورباطة جأش، وكانت آخر كلماته : (الحمد لله أني نلت الشهادة).

قال بعض قادة العدو بعد استشهاده : لقد كان بمثابة كابوس .

* * *

لائحة شرف(٨) :

الشهيد المتبتّل

القائد وائل عسّاف

من عرّابة

رغم صغر سنه، حيث كان عمره لحظة الشهادة دون العشرين إلا أنه امتاز بفقه شرعي أكبر من عمره بكثير، ويبدو ذلك جليا في وصيته ...

من أبرز الأسماء التي شاركت في تأسيس السرايا في منطقة جنين منذ اللحظات الأولى، وقد هيأه الشهيد القائد إياد الحمران لقيادة السرايا رغم صغر سنّه ...

شارك في العديد من العمليات النوعية ...

جال منطقتي جنين وطولكرم بحثا عن الجهاد حتى الشهادة ...

اعتقلته السلطة لمدة سنة قبل انتفاضة الأقصى، وبذلك حرم من التفوق في الثانوية العامة (التوجيهي) كما كان متوقعا ...

حفظ معظم كتاب الله سبحانه وتعالى ...

نال الشهادة مع حبيبه وصديق دربه القائد أسعد دقة، وبالإضافة لهما المجاهد البطل سفيان العارضة، وشقيقته بلقيس بعد اشتباك عنيف مع قوة كبيرة من الجيش الصهيوني في عرابة ...

* * *

لائحة شرف(٩) :

الشهيد العابد

القائد أسعد دقّة

من عتيل

أحد مجاهدي الرعيل الأول الذين أرسوا وجود الجهاد الإسلامي في منطقة طولكرم رغم صغر سنّه إذ ذاك ، ولا نبالغ إن قلنا بأنه كان المؤسس الحقيقي للجهاد الإسلامي هناك ...

كان حتى استشهاده القائد الأبرز لحركة الجهاد الإسلامي في منطقة طولكرم .

قاد سرايا القدس في منطقة طولكرم بجدارة وفاعلية، وكان له تأثير على وضع السرايا في منطقة جنين حتى استشهد في عرّابة ...

قضى في سجون الاحتلال سنوات عديدة .

قضى في سجون السلطة أكثر من سنتين ونصف على مدى عدة فترات اعتقالية

قاد العديد من العمليات الهجومية ضد العدو قتل خلالها العديد من الصهاينة، وجرح الكثير منهم .

كثير الصيام والقيام ... يعشق الصمت وطول التأمل ... ولا تنقصه رغم ذلك روح الدعابة .

متواضع جدا ... أوصى أن لا يوصف بأكثر من (جندي في سبيل الله) .

نال الشهادة مع أخيه وحبيبه وصديق دربه وائل عساف بالإضافة للمجاهد الشهيد سفيان العارضة وشقيقته بلقيس بعد قتال عنيف دار بينهم وبين قوات ضخمة من العدو في عرّابة .

* * *

لائحة شرف (١٠) :

شيخ المقاومة

الشهيد المؤسس رياض بدير

من طولكرم ، لديه الكثير من الأبناء وبعض الأحفاد .

من مؤسسي الجهاد الإسلامي في الضفة عامة وطولكرم خاصة .

التقى بالشهيد المؤسس الدكتور فتحي الشقاقي عدة مرات في الضفة في سعيه لبث فكر الجهاد بين الناس، وقد نام الدكتور الشهيد الشقاقي في منزله عدة مرات في سعيه لنشر الفكرة الجهادية ...

عمل في سلك التعليم ، ولا يزال الكثير من الطلبة الذين درسوا على يديه يذكرونه بالخير، ويقرّون انه أثر في توجهاتهم الوطنية والدينية في فترة التدريس .

فصل من عمله في التدريس في فترة الاحتلال الاسرائيلي ما قبل قدوم السلطة ، ثم أعادته السلطة للتدريس لكنها ما لبثت أن فصلته أيضاً .

قضى فترة في سجون الاحتلال ، كما اعتقل في سجون السلطة أكثر من مرة ، وفي المرة الأخيرة هرب من السجن بعد ان قصفه الطيران الصهيوني إذ أحدث فتحة في سقف الغرفة تمكن ومن عنده من المجاهدين من التسلق والخروج منها ...

لعله إلى حد ما حاذى سيرة القسام وتلاميذه إذ باع بيته وسيارته، واشترى سلاحاً وهُرِع إلى قلعة الجهاد ، مخيم جنين، حيث ترك وصيته عند أهله، وقاتل قتال الأبطال حتى استشهد في اليوم الأخير للمعركة عندما هدمت الجرافات المنزل عليه وكان جريحاً إذ أصيب في فخذه لكنه رغم ذلك رفض الاستسلام .

عثر على جثمانه تحت الأنقاض، ووجد قابضا على بندقيته يضمها إلى صدره، وأصبعه على الزناد ، وأمامه مصحف كان يقرأ منه ...

* * *

لائحة شرف (١١) :

الشهيد المشرق

القائد طه الزبيدي

من مخيم جنين

قاد في معركة المخيم فرقة مقاتلين من السرايا تمركزت في حارة الدمج .

قبل ذلك كان مسؤولا عن تخزين سلاح السرايا وتوزيعه .

عمل مساعدا للقائد الأسير ثابت المرداوي وأصبح ساعده الأيمن بعد اعتقال الشهيد العانيني .

تولى الحرب النفسية ضد العدو أثناء معركة المخيم حيث كان يوجه نداءات للجنود الصهاينة، اعترف بعض الجنود فيما بعد وعلى صفحات الجرائد العبرية أنها –خاصة الأيام الأولى – كانت تسبب لهم الذعر والرعب ...

استشهدت والدته في اقتحام آذار كما أسر شقيقه يحيى في معركة المخيم وهو أيضا من السرايا ، وله شقيق آخر مطارد من قيادي حركة فتح ...

اشتهر عنهم أنهم أوصوا شقيقتهم قبل المعركة أن تتم زواجها في موعده المحدد حتى لو استشهدوا الثلاثة ...

كان معروفا بأخلاقه الحسنة ومعاملته الدمثة المحببة .

اشترك في العديد من العمليات على الشوارع الالتفافية، كما ساعد في التجهيز لعدة عمليات استشهادية ...

* * *

لائحة شرف(١٢) :

الشهيد القدوة

الشيخ القائد خالد زكارنة

من دير غزالة

استشهد بعد أن رزقه الله مولوده البكر (أسامة) .

امتاز دوما بخلق دمث ووعي شرعي كبير.

حاصل على بكالوريوس شريعة من جامعة اليرموك في الأردن، وسجل للالتحاق ببرنامج الماجستير بكلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية في نابلس .

تمتع بقوة بدنية ، وحاصل على شهادة تدريب الكراتيه حيث حصل على (دان ١ دولي) ، وعمل مدربا في ناد رياضي كان يتبع لحركة الجهاد الإسلامي في مدينة جنين .

أتقن استخدام جميع الأسلحة الفردية ببراعة ، كما أتقن إطلاق الصواريخ المضادة للدروع .

مهندس متفجرات من الطراز الأول .

من الذين استفادوا من خبراته الشهيد القائد إياد صوالحة .

قضى في سجون الاحتلال أكثر من ثلاث سنوات متنقلا بين سجون مجدو وشطة وبئر السبع .

قضى في سجون السلطة أكثر من سنتين ونصف ولم يخرج إلا بإجازة مفتوحة حتى استشهاده .

شغل موقع قائد عمليات سرايا القدس في شمال فلسطين حيث أشرف على الكثير من العمليات أبرزها عملية الياجور (عملية هدم السور الواقي) التي نفذها الاستشهادي البطل راغب جرادات ...

نال الشهادة في سبيل الله قرب قرية سيلة الحارثية بعد تنفيذ هجوم بصاروخ لاو ضد دورية صهيونية .

اجتمع بالمؤسس الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي في دمشق .

حصل على التدريبات لإعداد المتفجرات واستخدام الأسلحة في لبنان .

* * *

لائحة شرف (١٣) :

فارس السرايا

الشهيد القائد اياد صوالحة

من كفر راعي

تزوج من فتاة فلسطينية الأصل كرواتية الجنسية قبل استشهاده ببضع شهور ما زالت معتقلة حتى الآن تمهيداً لإبعادها .

قضى في سجون العدو أكثر من سبع سنوات ، وكانت المحاكم الصهيونية قد حكمت عليه بالسجن المؤبد .

المطارد الأبرز للعدو منذ الانتفاضة الأولى ولم يتجاوز عمره خمسة عشر عاماً .

حادّ الذكاء . . بهيّ الطلعة . .دائم الابتسامة . .

نسف العدو منزل ذويه خلال مطاردته .

يمتاز بالتخطيط المحكم والدهاء الشديد والحرص على السنة .

مسؤول عن أبرز عمليات السرايا التي تعتبر أبرز عمليات المقاومة الفلسطينية في تاريخها مثل عمليتي مجدو وكركور واختراق الشاباك الصهيوني .

استشهد في معركة رمضانية ليلية أصيب خلالها ثلاثة جنود بعد أن جيّش له العدو حملة ضخمة على منطقة جنين لمدة سبعة عشر يوماً .

ردت السرايا على استشهاده بعملية ضخمة هي الأشد في هذه الانتفاضة سقط خلالها أربعة عشر جندياً صهيونياً أبرزهم قائد منطقة الخليل العسكري درور فاينبرغ وثلاثة ضباط آخرين .

* * *

لائحة شرف (١٤) :

شيخ السرايا

الشهيد القائد حمزة أبو الرب

من قباطية

شيخ أربعيني له ستة أبناء تجاوز بعضهم الستة عشر عاماً .

أستاذ متميز في علم التجويد ، إمام وخطيب مسجد .

قضى في سجون العدو ما يقارب ست سنوات.

ينتمي للجهاد الإسلامي منذ بدايات الفكرة .

ساهم مع الشهيدين عصام براهمة وصالح طحاينة في تأسيس عشاق الشهادة في الانتفاضة السابقة.

يقف خلف العديد من العمليات الاستشهادية والتفجيرية .

هدم العدو منزله بعد عملية أم الفحم الاستشهادية .

استشهد في معركة ليلية دامية دامت عدة ساعات أصيب خلالها خمسة جنود .

ردت السرايا على استشهاده بعد يوم واحد ولم يزل خبر استشهاده يتردد ، بعملية استشهادية مزدوجة في مستوطنة عتنائيل سقط خلالها أكثر من أربعة جنود ومستوطنين قتلى ، وأكثر من عشرة مصابين .

* * *

لائحة شرف(١٥) :

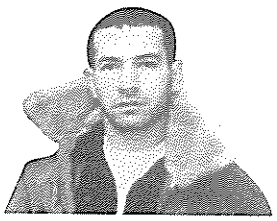

صقر السرايا

الأسير القائد ثابت مرداوي

من عرّابة

رزقه الله بطفله البكر (أسامة) بعد أسره ببضعة شهور .

هو بالأصل كاتب وعاشق للفكر والسياسة .

حفظ كتاب الله كاملا حيث أتم حفظه في مجدو .

قضى في سجون العدو أكثر من اربع سنوات .

قضى في سجون السلطة أكثر من سنة ونصف .

تولى قيادة السرايا بعد استشهاد إياد مع وائل عساف ثم مع محمود طوالبة والحاج علي الصفوري .

له علاقة مباشرة بأغلب عمليات السرايا والتي قتل فيها عشرات الصهاينة وجرح المئات .

حاولت السلطة اعتقاله مرات عديدة لكنها فشلت أمام إصراره القاطع برفض الاعتقال .

حوّله العدو لمحكمة خاصة مع مروان البرغوثي وقادة آخرين .

قلده الأمين العام للحركة وسام (صقر السرايا) .

قاتل قتال الأبطال في معركة المخيم الكبرى حيث ارتبط اسمه بالهجمات الجريئة .

* * *

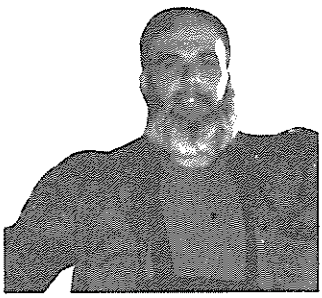

لائحة شرف(١٦) :

الأسير القائد

الحاج علي الصفوري

من مخيم جنين

لديه العديد من الأبناء .

انخرط في العمل العسكري للسرايا ، وترك حركة فتح في بداية الانتفاضة .

قضى في سجون العدو أكثر من سبع سنوات .

تسلم قيادة أحد أجنحة السرايا في منطقة جنين .

وقف خلف العديد من العمليات الاستشهادية خاصة العملية المشتركة في العفولة مع كتائب الأقصى .

ساهم في تجهيز العديد من الاستشهاديين تحت قيادة طوالبة ومرداوي في بداية علاقته بالسرايا .

* * *

ملحق رقم (٣)

بيان لحركة الجهاد حول اعتقال احد كوادر الحركة

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صادر عن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

لمصلحة من تعتقل السلطة المجاهدين؟

تعلن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين أن جهاز الأمن الوقائي في الضفة الغربية قد اعتقل بعد ظهر اليوم الأخ المجاهد محمود طوالبة الشهير بالنورسي، من كوادر حركة الجهاد الإسلامي في مخيم جنين، وذلك في عملية استدراج على طريق مخيم- مدينة جنين، قام بها كل من: حازم عطاالله (ابن عطاالله عطاالله الملقب بأبو الزعيم)، ومهند أبو علي، وهشام ديب من عناصر الأمن الوقائي في جنين.

والمجاهد محمود النورسي من المطلوبين للسلطات الصهيونية، حيث يزعم العدو أنه من القيادات الفاعلة في الانتفاضة والمقاومة. وقد تم نقل المجاهد النورسي إلى سجن تابع للأمن الوقائي في مدينة نابلس. وإثر انتشار خبر اعتقال الأخ المجاهد، انطلقت مساء اليوم مظاهرة حاشدة ومسيرة احتجاجية غاضبة من مخيم جنين باتجاه المدينة، وتوجهت إلى مقر الوقائي، ونددت المسيرة بنهج الاعتقال السياسي، وعودة التنسيق الأمني بين أجهزة السلطة والاستخبارات الصهيونية الأمر الذي نجم عنه سلسلة من الاغتيالات وعمليات اختطاف واعتقال العديد من أبناء شعبنا على يد قوات الاحتلال الصهيوني. ومازال الغليان يسود جماهير شعبنا في محافظة جنين الباسلة التي كانت ولازالت هاجس الصهاينة ومصدر رعبهم الدائم.

إن بعض أجهزة أمن السلطة التي لم تقذف حجراً، ولم تطلق رصاصة، ولم تقدم قطرة دم واحدة طيلة

فترة الانتفاضة دفاعاً عن الشعب الفلسطيني في مواجهة العدو الصهيوني إلا ما كان من بعض شرفائها المتمردين على هذه الأجهزة ، تتحرك اليوم للدفاع عن هذا العدو ولضمان أمنه واستقراره، بقمع الشعب الفلسطيني وملاحقة أبنائه الشرفاء ومطاردتهم، والزجّ بهم في السجون والمعتقلات.

إننا نحمل جهاز الأمن الوقائي في الضفة، وعناصره المذكورين في هذا البيان تحديداً ، المسؤولية المباشرة والكاملة عن سلامة الأخ المجاهد محمود النورسي وحياته، ونطالب بالإفراج الفوري عنه هو وكافة المعتقلين في سجون السلطة من كافة القوى. كما نحذر السلطة وجهاز الأمن الوقائي من القيام بأية مسرحيات أو ترتيبات مع أجهزة الأمن الصهيونية، لتسليم المجاهد النورسي للعدو، أو إعطاء الضوء الأخضر لتصفيته بإرشادهم إلى مكان تواجده.

إننا في حركة الجهاد الإسلامي لا نزايد على أحد ، ولا نريد أن نحرج أحداً ، ولكن من حقنا أن نسأل ونكرر السؤال، ونحن نتعرض لظلم، بل لبطش ذوي القربى: لمصلحة من تجري هذه الاعتقالات؟ ولماذا تصر بعض أجهزة السلطة على أن تكمل الدور الذي يقوم به العدو، وتكمل الحلقة في حصار الشعب الفلسطيني وقمعه؟ لماذا تصر هذه الأجهزة على أن تكون الرئة التي تتنفس من خلالها أجهزة أمن العدو، وتطل عبرها إلى الشارع الفلسطيني وانتفاضته ومقاومته الباسلة؟ نعرف أن مجاهدي شعبنا ومناضليه المظلومين قد سئموا المناشدات، وأوشك صبرهم على النفاذ ، في ظل ممارسات خاطئة ولامسؤولة، لكننا مازلنا نأمل أن يثوب أولئك إلى رشدهم، وأن ينحازوا إلى شعبهم المضطهد ، ويدافعوا عن أبنائه الشرفاء ، في مواجهة العدو الذي لم ولن يرحم أحداً ،ولا نظنه سيرحم، ولم يفرق بين أحد من شعبنا ، ولا نظنه سيفرق.

حركة الجهاد الإسلامي

في فلسطين

٢٨ شعبان ١٤٢٢هـ

الموافق ١٤/ ١١/ ٢٠٠١م

ملحق رقم (٤)

سرايا القدس/جنين: استشهاديون جاهزون لمواجهه العدو

خاص/ نداء القدس ٢٠٠٢/٤/٣

اعلنت سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الاسلامي ان العشرات من الاستشهاديين جاهزون لتنفيذ عمليات استشهادية في العمق الصهيوني ومواجهه أي عدوان يستهدف مدينة جنين ومخيمها .

وقال الحاج علي الصفوري، القائد العسكري في السرايا ، انها جهزت للعدو مفاجآت لا يتوقعها ، وانها مصممة على رد الصاع صاعين وتلقينه درسا لن ينساه ، واضاف الصفوري : حصارهم وعدوانهم وقمعهم وقتلهم وارهابهم لن يخيفنا او يرهبنا او يركعنا ، السرايا ، ومعها كل المجاهدين ، سيردون عليهم ، ويواجهونهم ، ويتصدون لهم ، وسنهاجمهم في العمق ؛ في القدس وحيفا ويافا وكل مكان ، ونرحب بهم في مقبرة خاصة اعددناها لهم في مخيم جنين.

وقال : إن السرايا عاهدت الشهداء ان تفرض حظر التجول على المدن الصهيونية والثأر لكل قطرة دم تراق في ارضنا المقدسة ، واضاف الصفوري : ندعو جنود شارون الى رفض اوامره ، لان دخولهم للمعركة وللمخيم وارض النار وعاصمة الاستشهاديين سيكون باذن الله اليوم الاخير في حياتهم .

ملحق رقم (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين)

بيان صادر عن (سرايا القدس)

عملية كسر السور الواقي والصعود إلى متسادا يهودية جديدة

تعلن (سرايا القدس)، الجناح العسكري لحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين مسؤوليتها عن العملية الإستشهادية البطولية التي وقعت في حيفا صباح اليوم والتي أسفرت عن مقتل أكثر من عشرة ضباط وجنود وإصابة أكثر من ثلاثين صهيونياً معظمهم من الجنود. وتعلن(سرايا القدس) أن منفذ العملية هو الاستشهادي البطل:

راغب أحمد عزت جرادات (١٧ عاماً) من سيلة الحارثية بمنطقة جنين

وبرغم التأخير في الإعلان عن هذه العملية الذي فرضته ظروف الحرب الميدانية التي يخوضها شعبنا الفلسطيني، فإننا نؤكد قدرة مجاهدينا الأبطال على اختراق كل الحواجز الأمنية للعدو المجرم وكسرها، ولن يمنعنا أي سور أو جدار من الوصول إلى عمقه الأمني.

و(سرايا القدس) تؤكد بهذه العملية البطولية النوعية أنها جزء من ردنا المؤلم على مجازر مخيم جنين ونابلس وبيت لحم والخليل، التي سطر فيها أبناء شعبنا أروع ملحمة بطولية في تاريخ هذه الأمة.

جهادنا مستمر وعملياتنا متواصلة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

سرايا القدس

الجناح العسكري لحركة الجهاد الاسلامي

٢٨ محرم ١٤٢٣هـ الموافق في ٢٠٠٢/٤/١٠م

ملحق رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

(من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)

تزف (سرايا القدس)، الجناح العسكري لحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين، وتؤكد لجماهير شعبنا وأمتنا نبأ استشهاد:

القائد الكبير والمجاهد الرمز

الشهيد محمود أحمد محمود طوالبة (النورسي)

القائد في (سرايا القدس) الذي زرع الرعب في قلوب الصهاينة بالعمليات الاستشهادية، وقاد واخوانه المقاتلون الأبطال ملحمة الفداء والبطولة الأسطورية في معركة الدفاع عن مخيم جنين البطل في وجه العدوان الصهيوني الهمجي. وبعد مقاومة عنيفة وضارية من المجاهدين لعشرة أيام، استطاع العدو تشخيص المكان الذي يتواجد فيه القائد الفارس محمود طوالبة، عقب الكمين البطولي الذي نفذه المجاهدون الأبطال ضد جنود الاحتلال، وقُتل فيه على الفور ثلاثة عشر جندياً صهيونياً، وأصيب سبعة آخرون، وقد ارتفع عدد القتلى لاحقاً إلى خمسة عشر جندياً باعتراف العدو.

بعد هذه العملية البطولية النوعية والجريئة صب العدو جحيم ناره بصواريخ (الأباتشي) ومدافع الدبابات على المكان الذي تواجد فيه القائد محمود طوالبة مع عشرات المجاهدين، مما أسفر عن استشهاده مع العديد من إخوانه الأبطال. إننا نقول لوزير حرب العدو الذي أعلن متبجحاً بالأمس أن من بين (٤٨) جثماناً تم تشخيصها في المخيم، هناك (٤٥) جثماناً لمقاتلين من (سرايا القدس) في حركة الجهاد الإسلامي، نقول لهذا المجرم القاتل ورئيسه السفاح شارون: لا تفرحوا، واسمعوا رسالة محمود طوالبة لكم:

أيها القاتل المجنون صبرك
دمي المسفوح في أرض المخيم
يحفر فوق الصخر ميلادي وقبرك..

إن (سرايا القدس) إذ تحتسب عند الله، القائد المجاهد محمود طوالبة الذي أسمته وسائل الإعلام الصهيونية والغربية بالجنرال طوالبة، وعشرات المجاهدين الأبطال الذين ارتقوا إلى العلا شهداء دفاعاً عن المخيم الصامد وفلسطين والأمة، لتؤكد أنها لن تنكسر ولن تنحني أمام العاصفة الصهيونية الأمريكية الحاقدة، ولن تتراجع عن طريق الجهاد والاستشهاد، وستواصل عملياتها في قلب العمق الصهيوني بإذن الله، وما عملية حيفا الاستشهادية التي اخترق بها الشهيد البطل راغب جرادات (السور الواقي) للعدو في أوج معركة المخيم، إلا دليل على قدرة مجاهدينا الأبطال وعلى فشل حرب شارون الخاسرة في تحقيق الأمن الصهيوني.

إننا في (سرايا القدس) نعاهد الشهيد القائد محمود طوالبة على أن نواصل دربه، وأن نحمل دمه ودم كل الشهداء أمانة في رقابنا، وأن يظل سيفه مُشرعاً نضرب به رقاب المحتلين في كل بقعة من فلسطين حتى رحيل آخر صهيوني عن أرضنا لترتفع رايات النصر والكرامة خفّاقة فوق المسجد الأقصى بإذن الله.

(سرايا القدس)

الجناح العسكري لحركة الجهاد الاسلامي

٨ صفر١٤٢٣ هـ

الموافق ٢٠/٤/٢٠٠٢م

الفهرست

الاهداء ٥

مقدمه ٧–٨

قبل البدء ... وملاحظات مهمة

إضاءة

هذا هو الطريق :

كلمة الامين العام لحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين بمناسبة استشهاد الشيخ محمود ٩–١٢

الفصل الأول

الجذور ١٣–١٧

مخيم جنين ..النشأة والتكوين ... ١٤

مقدمة ١٤

النشأة ١٤

التكوين ١٥

السكان ١٦

التضاريس ١٦

الوضع الديمغرافي ١٦

الاحياء والحارات ١٧

الفصل الثاني : «السيرة الذاتية للشيخ محمود» ١٩-٤٤
اولاً : عناوين للمرور ... الشمائل والصفات الشخصية ... ٢٠
الايمان الصادق وحب الله ورسوله ... ٢٠
ذكرى الآخرة وموقف الحساب ... ٢٠
حب الشهادة ٢١
التواضع ٢١
الرجولة ٢١
الزهد ٢٢
الصدق ٢٢
حسن المعاملة والخلق الحسن ٢٢
العطف على الفقراء والمساكين ٢٢
صلة الرحمه ٢٣
الحياء والحرص على الحقوق ٢٣
المناصحة وحب الهدايا ٢٣
ثانياً : لحظة البداية ...رحلة اللجوء والتشدد ٢٥
الميلاد والنشأة ٢٧
البحث عن الرزق ٢٨
طريق المقاومة ٢٨
ثالثاً : في خط الدعوة الى الله ٣١
رابعاً : في البيت ومع الارحام ٣٤
خامساً : محمود زوجاً وأباً ٣٧
سادساً : مع الجيران والفقراء والمحتاجين ٤١

الفصل الثالث : «رحلة الإنتماء والصعود في السلم القيادي» ٤٥ – ٦٤

* البدايات ٤٦

– حسرات بعضها فوق بعض ٤٦

– قدوته محمد ﷺ ونموذجه المعاصر إياد حردان ٤٨

* محمود ، قائد القتال الشعبي بلا منازع ٥٠

* محمود ، خلف قضبان الأمن الوقائي ٥٢

– الأمين العام يرشد ويوجه ٥٤

– الحملة الظالمة تدخل طور المؤامرة القذرة ٥٦

– سجن نابلس المركزي . . . ملتقى الأحرار ٥٨

* وعاد فرسان الجهاد ٥٨

* عودة الى الوراء . . . المطاردة ومحاورة الأهل ٥٩

* حوار حول زر التفجير ٦١

* شطب من قاموسه . . . اسرائيل والجبن والهرب ٦٢

* محمود يرسل شقيقه لتنفيذ عملية استشهادية ٦٣

الفصل الرابع: «في سجون الظالمين» ٦٥ – ٧٢

«شهادات تكشف جوانب مهمة من شخصية الشيخ محمود أثناء اعتقاله في سجون الظالمين»

* الشهادة الأولى ٦٦

– الصلاة مع الجنائيين ٦٦

– محمود القائد الحازم ٦٨

* الشهادة الثانية ٧١

الفصل الخامس: محمود يقود الصمود ٧٣ – ٧٧
« هجمة الصهاينة الرابعة على المخيم »

الفصل السادس : دم يعانق النصر ... المعركة المعجزة والشهادة ٧٩ – ١٥٥
« الاجتياح الأخير للمخيم واستشهاد الشيخ محمود »

- استعراض عاجل ٨٠
- التحضيرات ٨٤
- أشراك المجاهدين ونصب الكمائن ٨٥
- القتال ٨٥
- القنص ٨٥
- معالجة الخلل ٨٥
- التحريض ٨٦
- فك الحصار ٨٦
- توزيع الذخائر والعبوات ٨٦
- الإطمئنان على المقاتلين ٨٦
- تسديد ديون المقاتلين ٨٦
- ايصال التموين الى الأسر المحتاجة ٨٧
- القيام بأعمال الإنقاذ ٨٧
- مداعبة الأطفال ٨٧
- التخطيط لخطف الجنود ٨٧
- السهر والحراسة ٨٧
- ذروة التضحية ٨٨

- الشوق الى الله والتقرب اليه ٨٨
* الصيام ٨٨
* استئذان الناس ٨٩
* طريقة قتاله وتنوع أدواره ٨٩
- شهادات تبرز دور الشيخ محمود في معركة المخيم الأخيرة ٨٩
* أ.ت. مقاتل من سرايا القدس ٨٩
* الآنسة ف.ت. ممرضة ٩٣
* أبو رشدي ٩٣
* أ. أبو الهيجاء ٩٤
* سعيد الطوباسي ٩٥
* المقاتل ح.غ. ٩٨
* الشاب يوسف صالح ٩٨
* خليل طوالبه ٩٩
* مقاتل كتائب القسام ١٠٠
* ت.م. شاهد عيان ١٠٠
* فضل (من الأمن الوطني) ١٠١
* الطالب مراد ١٠٢
* الطالب علاء ١٠٢
* هشام عيسى سمارة ١٠٣
* الشيخ بسام السعدي ١٠٤
* أ. أ. هـ. مقاتل من سرايا القدس ١٠٦

* المقاتل ف.س. ١٠٦
* عبد الرحمن راغب ١٠٧
* المقاتل منير أ.ع. ١٠٨
* المقاتل ع.ب.س. ١٠٨
* والد الشهيد محمود طوالبه ١٠٩
* ميسون طوالبه ١١٠
* ظريفة طوالبه ١١١
* علاء طوالبه ١١٢
* ابو عماد الغريب ١١٢
* وجيهة ١١٢
* منير عرسان ١١٤
* م.م. / مخيم جنين ١١٥
* مقاتل من فتح : ك.ض. ١١٦
* مقاتل من فتح : أ.ن. ١١٦
* م. النورسي ١١٧
* الطالب منتصر ١١٨
* الطالب ضياء ١١٨
* الطالب نديم ١١٩
* الحاجة ام وضاح ١١٩
* هيثم عوض ابو زينه ١٢٠
* حسن ح.ع. ١٢١

* م.س. ١٢٢
* محمد ابراهيم ١٢٢
* والدة الشهيد القائد ١٢٢
* شقيق الشهيد زياد العامر ١٢٤
* محمد فرج ١٢٤
* المقاتل يحيى ف. ١٢٤
* الشاب هيثم ١٢٥
* دلال سمارة ١٢٥
* فتحي خالد دمج ١٢٦
* سعيد سويطات ١٢٧
* ام محمد ١٢٨
* خالد ابو ع. ١٢٩
* م.ط. (مخيم جنين) ١٣٠
* أ.ب.غ. من انصار حماس ١٣٢
* الشهيد إياد ابو الليل (كتائب عز الدين القسام) ١٣٢
* السائق ج.ق. ١٣٤
* الشهيد ابراهيم بسام السعدي ١٣٥
* الشهيد عبد الكريم بسام السعدي ١٣٦
* الأستاذ امين المبيض ١٣٨
* القائد الاسير ثابت المرداوي ١٣٩

- قبل ان تنتهي المعركة، وحتى لا ننسى... ١٤٨
أبو أسامة وراغب يكملان الشق الآخر من المعركة / الإنتصار
- بعد المعركة ... رسالة اصرار ١٥١
- المعركة في عيون الصهاينة ١٥٢
- رسالة قوى وحركات التحرر العربية والصديقة في عزاء الشهيد قائد المعركة ١٥٤

الفصل السابع : محطات عاجلة ١٥٧-١٦٩
- مع الشيخ محمود ... حبّ كسر العاصفة ١٥٨
* محمود والأمين العام للحركة د. رمضان عبد الله ١٥٨
* محمود وأياد الحردان ١٥٨
* الشيخ محمود وأيمن دراغمة ١٥٩
* الشيخ محمود وأبو جندل ١٥٩
- طوالبة ... عنوان للإحتجاج السياسي والوطني ١٦١
* المشهد الأول ١٦١
* المشهد الثاني ١٦٣
- طوالبة في الخيال الشعبي ... حبيب الناس ١٦٤

الفصل الثامن : بأقلامهم... ١٧١-١٩٦
- أبو القسام : ١٧٢
محمود طوالبه ... الأسم الأشهر والعنوان الأبرز

- رائد عباس : ١٧٦
كلمات عن القائد الأسطورة
- علي السمودي : ١٧٩
كلمات عن الفارس الذي امتطى صهوة التاريخ
- ناصر ابو بكر : ١٨٣
طوالبة ... طوالبة
- محمد البلاص : ١٨٥
محمود طوالبه كما عرفته
- عصري فياض : ١٨٩
الشيخ محمود
- ديب حوراني : ١٩١
المجد والعزة والبطولة غصون في شجرة عظيمة ... هي محمود طوالبة
- عاطف ابو الرب : ١٩٣
محمود الإنسان ... يداعب الأطفال
- حركة الجهاد الإسلامي : ١٩٥
الجنرال طوالبة ... قائد معركة مخيم جنين

الفصل التاسع : « سيرة من ألم ودم » ١٩٧ – ٢٢٥
طوالبة في السباق الزمني للعطاء العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين / جنين
- البدايات ١٩٨
- تطور الأداء الجهادي ١٩٩
- چلعاد (ليلة المناجل) ١٩٩

- عشاق الشهادة ... عصام براهمة في ذروة المجد ٢٠٠
- الجهاد ماض رغم اوسلو ٢٠٤
- سرايا القدس ... الإنطلاق المبارك والعطاء المميز ٢٠٧
- أنور وأياد، أطلقوا جيل أسامة ٢٠٩

بدل الخاتمة ... رصاصك يكسر كل حصار ٢٢٦

الملاحق ٢٢٩-٢٥٩

- ملحق رقم (١) : ٢٣٠
موجز سريع لأبرز بطولات سرايا القدس في فلسطين
منذ بداية إنتفاضة الأقصى وحتى ٢٠٠٢/١٢/٣١
- ملحق رقم (٢) :
لوائح شرف ٢٣٦
* عصام براهمة ٢٣٦
* صالح طحاينة ٢٣٨
* أنور حمران ٢٤٠
* إياد الحردان ٢٤١
* محمد بشارات ٢٤٢
* أيمن دراغمة ٢٤٣
* محمد ياسين ٢٤٤
* وائل عساف ٢٤٥

* أسعد دقة ٢٤٦
* الشيخ رياض بدير ٢٤٧
* طه الزبيدي ٢٤٨
* خالد زكارنه ٢٤٩
* إياد صوالحة ٢٥٠
* حمزه ابو الرب ٢٥١
* ثابت مرداوي ٢٥٢
* الحاج علي الصفوري ٢٥٣
- ملحق رقم (٣) :
بيان لحركة الجهاد حول اعتقال احد كوادرها ٢٥٤
- ملحق رقم (٤) :
سرايا القدس : استشهاديون لمواجهة العدو ٢٥٦
- ملحق رقم (٥) :
بيان لسرايا القدس حول عملية راغب جرادات الإستشهادية ٢٥٧
- ملحق رقم (٦) :
بيان لسرايا القدس حول استشهاد الشيخ محمود طوالبه ٢٥٨

عشاق الشهادة في محافظة جنين

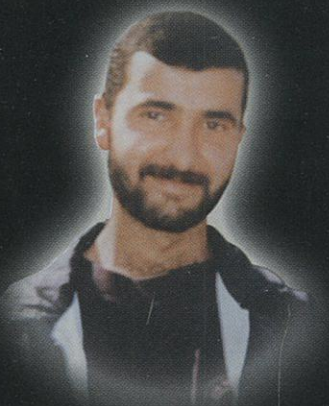

الشهيد سليمان طحاينه

الشهيد صالح حمامده

الشهيد حسن براهمه

الشهيد
يوسف الصغير

الشهيد صالح طحاينه

الشهيد حافظ ابو معلا

الشهيد عصام براهمه

شهداء ما بعد المعركة في محافظة جنين

الشهيد عبدالكريم السعدي

الشهيد ابراهيم السعدي

الشهيد
يوسف السعدي

الشهيد عبدالهادي عمري

الشهيد سامي النورسي

شهداء وانصار الجهاد في منطقة جنين

الشهيد اياد السايس

الشهيد ياسر السايس

الشهيد نعمان جرادات

الشهيد حسام نزال

الشهيد سامر عاروري

الشهيد خليل عمور

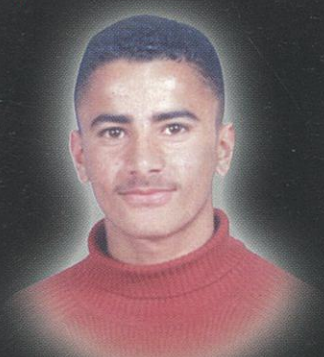

الشهيد نضال الكستوني

استشهاديو سرايا القدس في منطقة جنين

الشهيد مصطفى ابو سريه

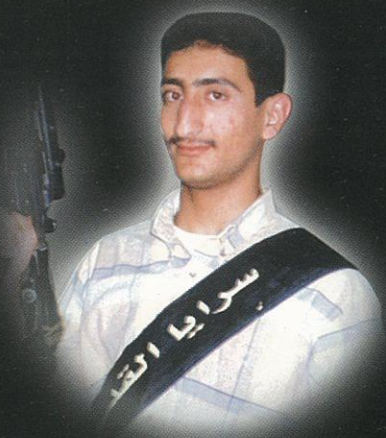

الشهيد محمد حمديه

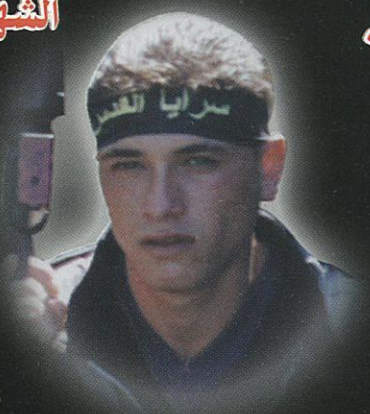

الشهيد
عبد الكريم طحاينه

الشهيد هاني زكارنه

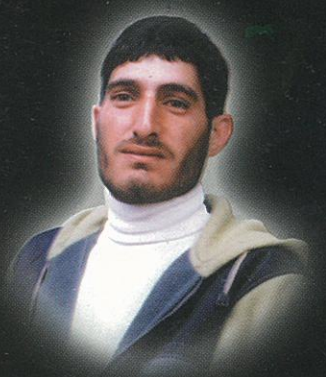

الشهيد محمد نصر

استشهاديو سرايا القدس في منطقة جنين

الشهيد ربيع زكارنه

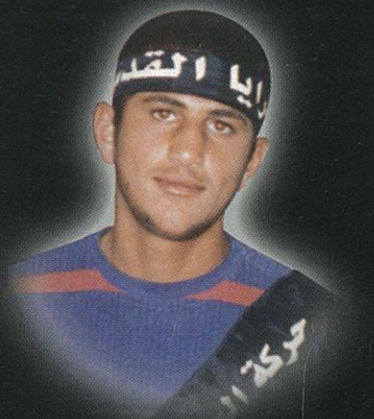

الشهيد حمزه سمودي

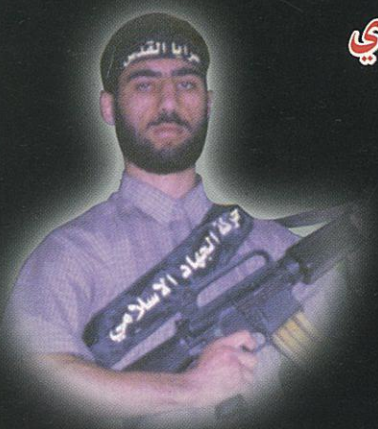

الشهيد
سامر شواهنه

الشهيد مرزوق غوادره

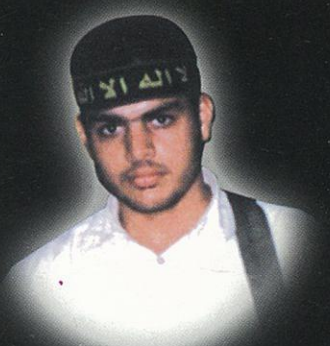

الشهيد محمد حسنين

شهداء سرايا القدس في منطقة جنين

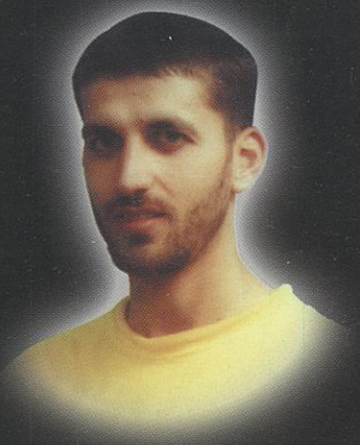

الشهيد اياد صوالحه

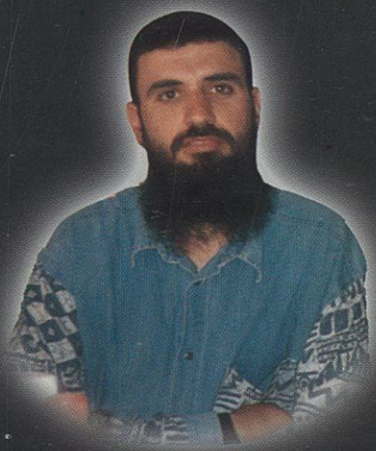

الشهيد خالد زكارنه

الشهيد اسامه تركمان

الشهيد حمزه ابو الرب

شهداء سرايا القدس في منطقة جنين

الشهيد مصطفى ياسين

الشهيد محمد ياسين

الشهيد
سامح ابو حنيش

الشهيد وسيم سباعنه

الشهيد وليد بشارات

شهداء سرايا القدس في منطقة جنين

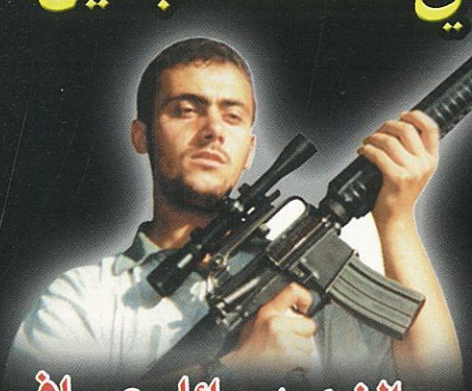

الشهيد وائل عساف

الشهيد انور حمران

الشهيد اياد حمدان

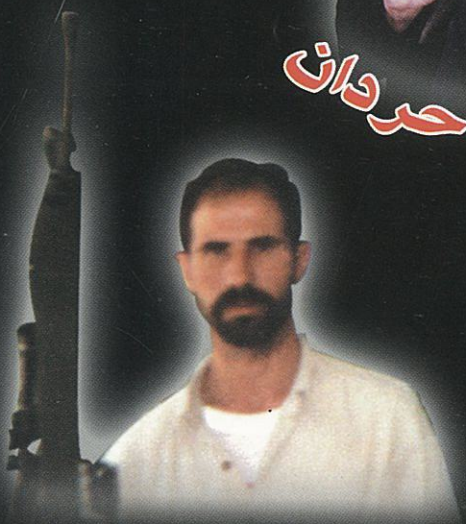

الشهيد محمد موسى

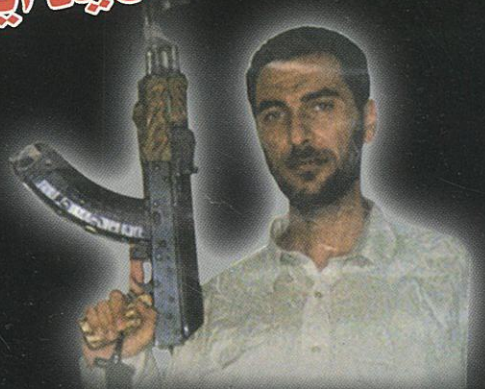

الشهيد اسعد دقة

شهداء سرايا القدس في منطقة جنين

الشهيد جلال محاميد

الشهيد اسامه ابو خليل

الشهيد
يوسف بشارات

الشهيد سفيان عارضه

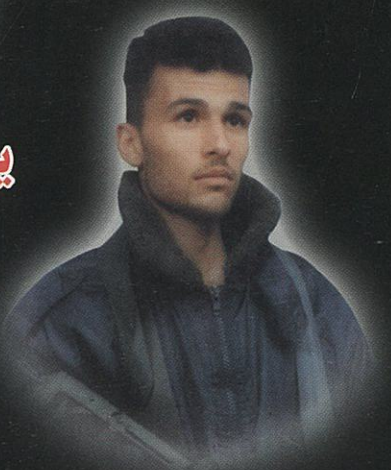

الشهيد محمد ابو شهاب

استشهاديو سرايا القدس في منطقة جنين

الشهيد رأفت ابو دياك

الشهيد راغب جرادات

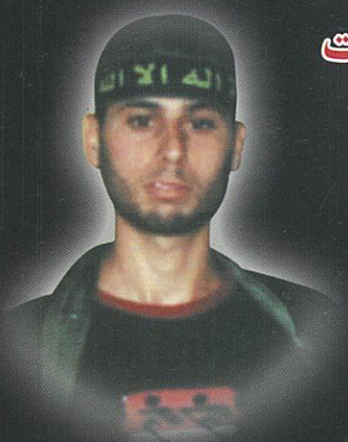

الشهيد
اشرف الاسمر

الشهيد اسامه ابو الهيجاء

الشهيد احمد دراغمه

استشهاديو سرايا القدس في منطقة جنين

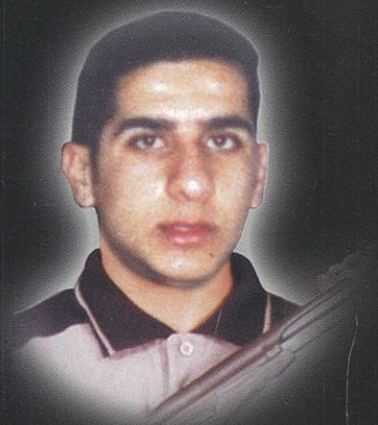

الشهيد علاء الصباح

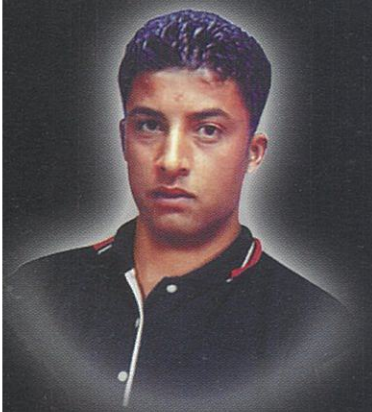

الشهيد نضال ابو شادوف

الشهيد
نضال جبالي

الشهيد نمر ابو سيفين

الشهيد يوسف سويطات

شهداء سرايا القدس في منطقة جنين

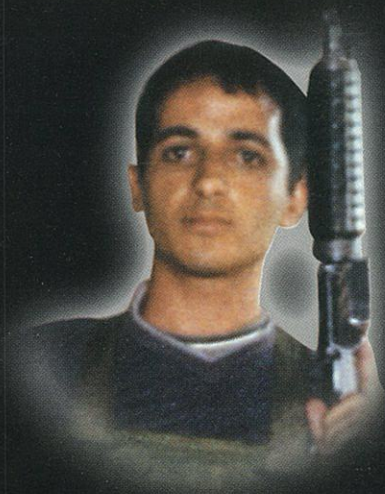

الشهيد فؤاد بشارات

الشهيد محمد بشارات

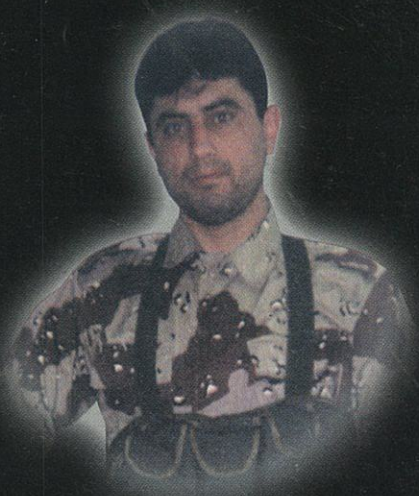

الشهيد ايمن دراغمه

الشهيد معمر دراغمه

شهداء سرايا القدس في منطقة جنين

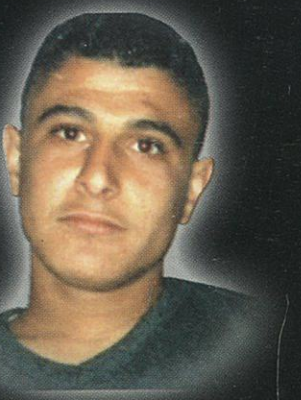

الشهيد اياد المصري

الشهيد ابراهيم منيزل

الشهيد
امين بشارات

الشهيد واثق اغباريه

الشهيد ربيع الفار

كوكبة شهداء سرايا القدس في ملحمة مخيم جنين

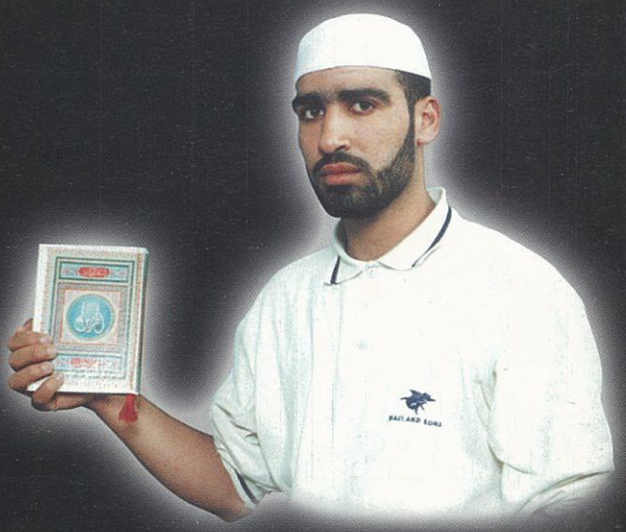

الشهيد محمود طوالبه

الشهيد رياض بدير

الشهيد عبد الرحيم فرج

الشهيد طه الزبيدي

كوكبة شهداء سرايا القدس في ملحمة مخيم جنين

الشهيد شادي نوباني

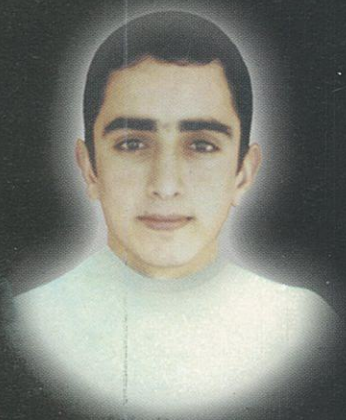

الشهيد منير وشاحي

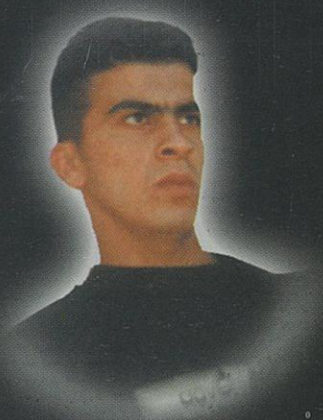

الشهيد نضال سريطات

الشهيد نايف قاسم

الشهيد محمد حويطي

شهداء وانصار الجهاد في منطقة جنين

الشهيده بهجه السعدي

الشهيده بلقيس عارضه

الشهيدة
سميره الزبيدي

الشهيد بسام السعدي

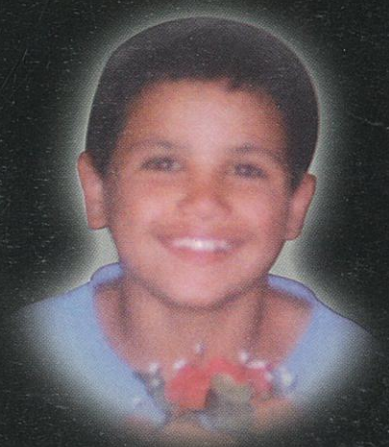

الشهيد اسد قريني